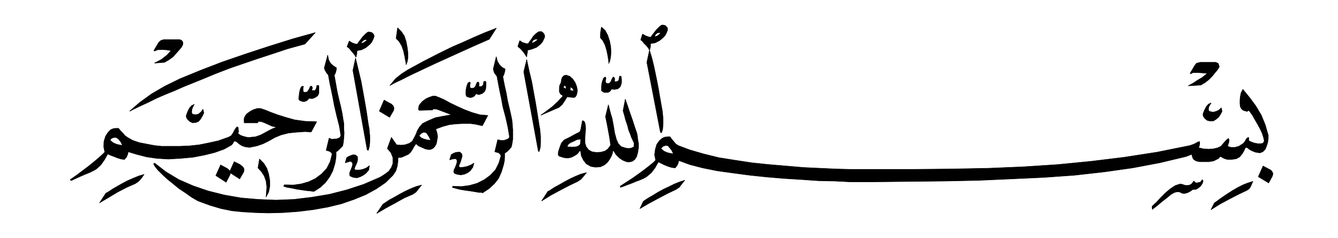
الرّد الوافي
على من زعم بأنّ ابن باديس سلفيّ

كتبته

أم أيوب نورة حسن غاوي



بسم اللّه الرحمن الرّحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله. **«يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون»** [1] **«يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء، واتّقوا الله الّذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا»** [2] **« يا أيها الّذين آمنوا اتقّوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما».** [3]

أمّا بعد.. فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وشرّ الأمور محدثاتها وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار...

في الفترة الأخيرة، بدأت تسري في أوساط الشّباب السّلفي في بلادنا ظاهرة غريبة، مفادها أنّ الدّعوة السّلفية انبثقت جذورها من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبدأت هذه الأقوال تنتشر على ألسنة طلاّب العلم في خطبهم أو دروسهم، وحتّى في بعض مقالاتهم، الأمر الّذي جعلني أقف أمام هذه الظّاهرة موقف الباحث المنصف، الّذي ينشد الحقّ ويطلبه ثمّ يسارع إلى نشره بالأدلّة البيّنة الّتي لا يعتريها كدر..وعلى الرّغم من شهرة الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله، إلاّ أنّ هذه الشّهرة لاتجعلنا نحكم بسلفيّة الرّجل والقطع بها دون أن نتّفق جميعا على نقاط محدّدة، وهذه النّقاط تتمحور فيما يأتي :

ما هو مفهوم السّلفية الّتي ندعو إليها ؟ وما مفهوم السّلفية عند البعض ؟ ولماذا برزت هذه الظّاهرة (ظاهرة نسبة السّلفية في الجزائر "لابن باديس" رحمه الله)، وماهي دوافعها وأهدافها ؟ ولماذا لم تجر دراسة دقيقة لشخصية "ابن باديس" رحمه الله وفق ضوابط سلفيّة حقيقية ثمّ يأت الحكم بعدها عليه في نهاية المطاف للخروج بنتيجة ؟ فإمّا الحكم بسلفيته مطلقا، وإمّا أنّ الرّجل صاحب سلفيّة فيها دخن، وإمّا خلع ثوب السّلفية عنه بالكلية..ولقد رجعت إلى كتب الرّجل وقرأت الكثير منها، فوجدت فيها مسائل وأقوالا جانب

---

[1] سورة آل عمران . آية [102].

[2] سورة النساء . آية [1].

[3] سورة الأحزاب . آية [70 و 71].

فيها هذا الشّيخ الصّواب، وإنّني أعلم علم اليقين أنّ كلّ إنسان يؤخذ من كلامه ويترك إلاّ النّبيّ المصطفى صلّى الله عليه وسلم، إلاّ أنّني وجدت أنّ هذه الأخطاء كبيرة وليست من النّوع الّذي يستهان به. ومن أجل أن أقف مع الشّيخ "ابن باديس"، ومع غيره من علماء جمعيته آثرت الكتابة في هذا الموضوع متوكّلة على الله عزّوجلّ، وراجية منه العون في سبيل إنجاز بحثي هذا حتّى لا تختلط الأمور ببعضها، فيُحكم على السّلفي بالمروق عن سلفيته ويحكم على من لم يكن سلفيّا بالسّلفية، فتضطرب الأمور بسبب ذلك اضطرابا لا نظير له، وتختل المعايير والضّوابط والموازين . فالله أسأل أن يوفّقني ويجعل هذا البحث يحمل حقا فلا أقع في ظلم العباد، إنّه نعم المولى ونعم المجيب .

كتبته

– أم أيوب نورة حسن غاوي –

من هو ابن باديس ؟

* ولد "عبد الحميد بن باديس" في مدينة قسنطينة عاصمة الشّرق الجزائري سنة 1889م.

* تلقّى علمه الأوّل على يد الشّيخ "محمّد المداسي"، الّذي لقّنه حفظ القرآن الكريم حتّى أتمّه.

* في عام 1903م، تلقّى الكثير من العلوم على يد شيخه "حمدان الونيسي"، الّذي كان له أثر كبير في قلب "ابن باديس".

* ولمّا بلغ خمسة عشر عاما من عمره زوّجه أبوه..

* سافر إلى تونس عام 1908م ليتمّ تعليمه في جامعة الزّيتونة، وهناك تَتلْمَذَ على يد شيوخ هم : "محمّد النّخلي القيرواني" و"الخضر بن الحسين" وشيخه "محمّد الطّاهر بن عاشور"، الّذي كان له دور كبير في حياة الشّيخ "ابن باديس"، رغم ما حصل بينهما فيما بعد من خلاف بسبب فتوى (التجنس).

* تخرّج من جامع الزّيتونة عام 1911م بعد أن تحصّل على شهادته، ومكث بتونس سنة كاملة يشتغل بالتّدريس هناك.

* رجع "ابن باديس" من تونس إلى الجزائر وبدأ يشتغل بالتّعليم، وفي الجامع الكبير بقسنطينة بدأ يلقي الدّروس والمواعظ على النّاس، ثمّ قطع ذلك كلّه بسفره إلى المملكة العربية السّعودية لأداء فريضة الحجّ، حيث تعرّف هناك على رفيق دربه الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي"، فكانت علاقتهما متينة وكانا دائمي التّفكير في كيفية خلاص وطنهما الجزائر من الجهل والاستعمار..

* اتّخذ "ابن باديس" من (الجامع الأخضر) معقلا له، لبثّ النّشاط العلمي والتّربوي في آن واحد.

* اشتغل بالصّحافة فأصدر جريدة "المنتقد" عام 1926م، ولمّا أصدرت الأوامر من قِبل فرنسا لتعطيل الجريدة واصل "ابن باديس" نشاطه في صحف أخرى منها "الشّريعة" و"السّنة" و"الصّراط"، ولمّا لقيت جميعُها المصير نفسه أصدر الشّيخ "ابن باديس" جريدته الشّهيرة "البصائر" الّتي استمرّ إصدارها حتّى بعد وفاته، ولم تكن توقّفت إلاّ في فترة الحرب العالمية الثانية ـ وآخر تاريخ لصدورها كان عام 1957م.

* وفي عام 1931م انعقد اجتماع كبير في نادي "التّرقي" بالعاصمة الجزائريّة كانت نتيجته تأسيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين)، والّتي انتخب "ابن باديس" كرئيس لها، وانتخب "محمّد البشير الإبراهيمي" كنائب للرّئيس، وكان من أبرز رجالها "الطّيب العقبي" و"محمّد الأمين العموري" و"مبارك محمّد الميلي" و"إبراهيم بيوض" و"العربي التّبسي" و"محمّد خير الدّين"..[1]

* وبعد سنوات من العمل توفي "ابن باديس" رحمه الله في يوم 16 أفريل 1940م ـ، وكان الرّجل خليطا من أفكار "جمال الدّين الأفغاني" و"محمّد عبده" و"محمّد رشيد رضا" وغيرهم ـ وقد كتب عنه الكثيرون، ولكن ليس بالزّاوية نفسها الّتي سيتضمّنها موضوع هذا الكتاب، الّذي سيتعرّض لدراسة علم "ابن باديس" من منظور المنهج السّلفي الصّحيح عقيدة وعبادة وتصوّرا ومنهجا وغيرها من المجالات.

ما هو مفهوم السّلفية عند السّلفيين الحقيقيّين وعند غيرهم ؟

تنتسب السّلفية إلى السّلف الصّالح، فهي تريد العودة بالنّاس إلى ما كان عليه السّلف الأوّل، إيمانا منها بأنّه لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلها، وليست السّلفية دعوة إلى حزبيّة ضيّقة أو عمى في التّعصّب للأشخاص، أو تأثّرا بقوانين وضعيّة مع إلباسها ثوب الإسلام، بل هي دعوة عظيمة تسير على منهاج النّبوة فتقْتفي آثار المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، فاهمة الإسلام بفهم أصحابه رضيّ الله عنهم والّذين يلونهم، معلنة في هذا العصر ارتباطها الوثيق بالعلماء الكبار الّذين أفنوا أعمارهم في خدمة معالمها باعتبارهم أهل الحلّ والعقد الّذين يقفون كالسّراج المضيء في نوازل الأمّة، ((ولذلك فكلمة السّلف

---

[1] هذه التّرجمة مأخوذة من كتب متنوّعة ألّفها أصحابها عن "ابن باديس"..

اكتسبت هذا المعنى الاصطلاحي، والّذي لا يتجاوزه إلى غيره،[1] أمّا من حيث "الزّمان" فهي تستعمل للدّلالة على خير القرون وأولاها بالاقتداء والاتباع، وهي القرون الثّلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية على لسان خير البرية محمّد صلّى الله عليه وسلّم بقوله : "خير النّاس قرني ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الّذين يلونهم ثمّ يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينَه ويمينُه شهادَتَه" ، ولكنّ التّحديد الزّمني غير دقيق لعصر مفهوم السّلف، حيث نرى كثيرا من الفرق الضّالة والبدع قد أطلّت برؤوسها في تلك الفترة الزّمنية، لذلك فوجود الإنسان في ذلك العصر لا يكفي للحكم عليه بأنّه على منهج السّلف ما لم يكن موافقا للصّحابة رضي الله عنهم في فهم الكتاب والسّنة، ولذلك يقيّد العلماء هذا المصطلح بـ (السّلف الصّالح)..وبهذا يظهر أنّ مصطلح (السّلف) حين يطلق لا يُصرف إلى السّبق الزّمني فقط، بل إلى أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان، وعلى هذا الاعتبار استقرّ مصطلح "السّلف" فهو يطلق على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج، على ما كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه قبل الاختلاف والافتراق ـ وأمّا السّلفية فهي نسبة إلى "السّلف" وهو انتساب محمود إلى منهج سديد، وليس ابتداع مذهب جديد.

قال شيخ الإسلام "ابن تيمية" رحمه الله في "مجموع الفتاوى" (149/4) :

« ولا عيبَ على من أظهر مذهب السّلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق فإنّ مذهب السّلف لا يكون إلاّ حقّا».. وقد يظنّ بعض النّاس ممّن يعرفون، ولكنّهم يَحرفون عند ذكر السّلفيّة أنّها إطار جديد لجماعة إسلامية جديدة انتزعت نفسها من قلب دائرة الجماعة الإسلامية الواحدة، وهي تتّخذ لنفسها من معنى هذا العنوان وحده مفهوما معيّنا، فتمتاز عن بقيّة المسلمين بأحكامها وميولاتها بل تختلف عنهم حتّى بمزاجها النّفسي ومقاييسها الأخلاقية، وليس لذلك واقع البتّة في المنهج السّلفي إذ السّلفية تعني الإسلام المصفّى من رواسب الحضارات القديمة، وموروثات الفرق العديدة بكماله وشموله كتابا وسنّة بفهم السّلف الممدوحين بنصوص الكتاب والسّنة)).[1]

فالسّلفية منهج قائم يرتكز معناه على ما يأتي :

1. "كلمة السّلف" تطلق لغة على من تقدّمنا وسبقنا والقوم السّلاف هم المتقدّمون، أمّا اصطلاحا فقد اختلفت آراء العلماء في ذلك، ولكن أرجح الأقوال أنّ كلمة السّلف تطلق على القرون الثّلاثة المشهود لها بالخيرية، مع ضرورة تقييد مصطلح السّلف عند استعماله بقول (السّلف الصّالح)، حتى لا تكون الفترة الزّمنيّة وحدها هي المعيار.. فالمعيار إذن هو وجود الشّخص الصّالح في أفضل القرون حتّى يشمله قول (السّلف الصّالح).

---

[1] يُقصد بكلمة السّلف هنا الصّحابة رضوان الله عليهم اصطلاحا مع تفصيل واسع في هذا الموضوع...

[1] (لماذا اخترت المنهج السّلفي) للشيخ الفاضل "سليم الهلالي"، [ص 32 و33 و34].

2. السّلفية منهج منضبط متكامل مستقى من النّبْعَين الصّافيين كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وعليه فإنّ أصحاب هذا المنهج لا يقدّمون على هذين النّبعين العظيمين عقلا ولا عادة أو عرفا، ولا يخضعون للتّيارات الفكريّة ولا للفرق المنحرفة عن منهاج أهل السّنة والجماعة، وشعارهم دائما قال الله..قال رسوله صلّى الله عليه وسلّم، قال الصّحابة والّذين يلونهم من سلفنا الصّالح..

3. شعار الدّعوة السّلفية العظيم في هذا القرن عُرف تحت اسم التّصفية والتّربية، وهذا الشّعار متمثّل في تصفيّة العقيدة والعبادة والأخلاق، والمعاملات والسّياسة من كلّ الانحرافات والشّبهات والتّرهات والأباطيل مع تربية النّشئ وفق هذه الأصول العظيمة..

4. الدّعوة السّلفية عُرف أصحابها باهتمامهم الكبير بعلم الحديث فالفضل يرجع إليهم بعد الله في تعريف هذا العلم للنّاس، وقد كان لشيخ السّلفية وإمامها في هذا العصر الشّيخ العلاّمة "الألباني" رحمه الله قدم السّبق في هذا العلم والدّعوة إلى النّهل منه..

5. وعلماء السّلفية أحيوا علم "الجرح والتّعديل" دون أن تأخذهم في الله لومة لائم ودون مجاملة أحد، وقد كان للشّيخ العلاّمة "ربيع بن هادي" شرف حمل لواء هذا العلم في عصرنا..

6. « تاريخ دعوة أهل السّنة[1] قديم، فهم يرجعون بدعوتهم إلى ما كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه رضيّ الله عنهم، ومن تبع هداهم ممّن جاء بعدهم، وأمّا غيرهم فتبدأ دعواتهم بمؤسّسيها ونُظّارها، وربّما نظر بعضهم بلسان الحال أوالمقال إلى هدى محمّد صلّى الله عليه وسلّم ـ الّذي هو خير الهدى ـ أنّه لا يصلح الوقوف عنده في هذا الزّمان، مع أنّه لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلها..»[2].

ولو ذهبت استقصي الفروق بين الدّعوة السّلفيّة وغيرها من الدّعوات الباطلة لاحتجت في ذلك إلى مجلّدات، ولكن فيما كتبته سابقا كفاية في تعريف معالم السّلفيّة لمن أراد التعلّم والمقارنة بين دعوتنا ودعوة غيرنا..ولقد احتجت إلى مثل هذه التّعريفات والتّأصيلات لكي يفهم القارئ أنّ السّلفية ليست كلمة جوفاء تطلق على كلّ من هبّ ودبّ، بل هي طريق واضح المعالم، بارز السّمات، لا يعتنقه إلاّ من أحبّ منهج السّلف الصّالح

---

[1] المقصود بأهل السّنة السّلفيون طبعا..

[2] رسالة (رفع الحجاب عن الفرق بين دعوة أهل السّنة ودعوة أهل البدع والأحزاب) "لأبي الحسن مصطفى بن اسماعيل السليماني".

حقّا، ولقد شاعت في دنيا العباد ألفاظ ومصطلحات قد يتدثّر بها بعض النّاعقين، فنجد ذلك الاسم برّاقا في ظاهره بينما مضمونه يكون ملغوما كما يقال..فقد يطلق اسم السّلفية في حالات كثيرة عند أصحاب الدّعوات الهدّامة، ولكنّه لا يعني "السّلفيّة" بمعناها الصّحيح السّليم، وبالتّالي يكون قد وقع للفظ "السّلفيّة" حديثا ما وقع للفظ "أهل السّنة" قديما، حيث أرادت بعض الفرق قديما أن تتدثّر بدثار "أهل السّنة"، وهي أبعد ما تكون عن ذلك مثل الأشاعرة الضّلال الّذين أرادوا إلصاق عقيدتهم بعقيدة السّلف الصّالح زورا وكذبا وبهتانا..ولذلك يمكنني أن أقول إنّه ليس كلّ من يقول : "أنا سلفي".. أو"أنا على عقيدة السّلف" هو كذلك حقا إذا صدر منه ما يخالف منهج السّلف عقيدة وعبادة، فقد يكون المقصود بالسّلفية عند البعض ما يأتي :

1. الصّحف والجرائد مثلا تطلق لفظ السّلفية على بعض الشّخصيات، ويقصِدُ بها أصحابها التديّن والمتديّنين : فقد يتحدّث الصّحفي مثلا عن مجرم "خارجيّ مارق"، ويقول هو سلفيّ ويقصد بذلك "المتديّن".. أيّ متديّن ولو كان صوفيّا، ولو كان معتزليّا، ولو كان شيعيّا إلخ...
2. الدّارسون للأدب العربي مثلا يتحدّثون عن الأدباء والشّعراء، وعندما يصلون للحديث عن أديب متديّن، يقولون الشّاعر السّلفي أو الأديب السّلفي فلان بن فلان..ولكنّهم لا يقصدون السّلفيّة بمعناها الصّحيح الأصيل.. وكلّ ما في الأمر أنّهم يعنون بذلك (نزعة) التّديّن في ذلك الأديب أو الشّاعر..
3. بعض دعاة جماعة الإخوان المسلمين، ومن كان على شاكلتهم يزعم أنّه سلفيّ العقيدة، وعندما تأتي لدراسة "سلفيّة" عقيدته تجده أشعريّا قُحًا.. فيفهم من ذلك أنّهم يطلقون لفظ السّلفيّة (عقيدة) على العقيدة الأشعرية.. وليس كما نقصد نحن بأنّ العقيدة الصّحيحة السّلفية الحقّة، تكون بعيدة عن التأويل والتّعطيل والتّمثيل والتّشبيه والتّحريف والتّفويض، وغيرها من الانحرافات..
4. قد يُطلق البعض لفظ السّلفية عندما يكونون في صدد الرّد على الشّيعة والتّشيع، فيقصدون بفُلان سلفيّ أنّه ليس شيعيًا، ولا يقصدون السّلفية بمعالمها وشروطها وأصولها..
5. وقد يطلق بعضهم لفظ السّلفية على من كان سلفيًّا في جانب من الجوانب، كأن يكون سلفيّ العقيدة ولكنّه زائغ في منهجه، كأن يكون إخوانيّا أو تبليغيّا، ونسي هؤلاء أنّ السّلفية (كلّ) لايتجزّأ..

ولكلّ ما سبق ذكره آنفا، رفضت بشدّة أن تُنسب السّلفية في الجزائر إلى الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله، وأن يُنسب هو إلى السّلفية إلاّ بعد إجراء دراسة سلفية مجهريّة دقيقة على شخصيّة الرّجل، وأسأل الله أن يقيّض لنا عالما كبيرا يقوم بهذه المهمّة.. وفي انتظار

ذلك قُمْتُ بدراسة بعض كتب الرّجل، وتتبّع بعض الأخطاء الّتي (بلا شكّ) لا تصدر من عالم سلفيّ خالص.. وسأسرد هذه الأخطاء الواحدة تلو الأخرى مع الوقوف معها إن احتاج الأمر إلى ذلك.. إلى أن يقوم واحد من أهل العلم بالحكم عليه، إيمانا منّي بأنّ الحكم الأخير في هذه الأمور يعود إلى أهل العلم والفضل العلماء الكبار الّذين لهم قدرة على تمييز الأمور وعدم خلط هذا بذاك..وهذه المحاولة مجهود متواضع حاولت فيه قدر استطاعتي أن أكون منصفة غير جانية ولا ظالمة.. والله أسأل أن يوفّقني إلى ذلك..

من أخطاء الشّيخ ابن باديس : وجود الإباضيّة في جمعيّته

تميّزت الدّعوة السّلفية بعدم جمعها بين الغثّ والسّمين، فهي تختلف مع غيرها من الدّعوات في هذه النّقطة بالذّات، فالدّعوة السّلفية لا يهمّها تَكْتيل الأفراد وجمعهم تحت لواء واحد مع انفراد كلّ واحد منهم بعقيدته، بل دعوتنا تجمع أفرادا ذوي معتقد واحد ومنهج واحد ومسلك واحد، أمّا غيرها من الجماعات فلا يهمّها لا الخلاف العقدي ولا الشّرعي بل غاية مبتغاها أن تجمع خليطا من هذا وذاك، لأنّ تكتيل العدد هو هدفها المنشود، وسرّ الخلاف بين دعوتنا وغيرها من الدّعوات أنّ السّلفية لها منهج واضح بيّن في العقيدة والعبادة والتشريع وفي جميع المجالات، وطريقها هو طريق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وطريق صحابته رضيّ الله عنهم من بعده وطريق من سار على هداهم، ولمّا برز أهل الأهواء وخالفوا هذا الخطّ الواضح البيّن وقع الاختلاف وتعذّر جمع النّقيضين تحت لواء واحد، قال الإمام "الشّاطبي" رحمه الله : «إنّ للرّاسخين طريقا يسلكونها في اتّباع الحقّ وأنّ الزّائغين على طريق غير طريقهم»..[1]، ويزداد جمع النّقيضين تأكيدا حينما يزداد أهل الأهواء إصرارًا على مجانبة الحقّ والإعراض عنه.. ولهذا ردّ علماؤنا قديما وحديثا على أهل الأهواء والبدع ولم يحابوا في دين الله أحدا، بل جعلوا الرّد على هؤلاء من أنواع الجهاد، وجعلوا المجاهرة بكلمة الحقّ في وجوه المنحرفين من أعظم أنواع القربات إلى الله تعالى، ولم يتردّدوا في بذل النّصح لهؤلاء فإن أعرضوا عقّبوا عليهم بكلمات قاطعة تليق بمن زاغ عن منهج رسول الله صلّى الله عليه وسلم.. وانظر إلى شيخ الإسلام "ابن تيميّة" رحمه الله، وهو يردّ على انحرافات "البكري" في كتابه (الرّد على البكري) حيث قال في وصف هذا الأخير بدون مجاملة أو مداهنة : «فإنّه لجهله ليس له خبرة بالأدلّة الشّرعية الّتي تتلقّى منها الأحكام ولا خبرة بأقوال أهل العلم الّذين هم أئمة الإسلام بل يريد أن يتكلّم بنوع مشاركة في فقه وأصول وتصرّف ومسائل كبار بلا معرفة ولا تعرّف»[2].. وعندما نرى مواقف علمائنا السّلفيين قديما وحديثا في عدم تهاونهم مع أهل الضّلال، يزداد تعجُّبُنا عندما نقرأ كتب الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله، ونجده يجمع في جمعيته بين هذا وذاك وليس أدلّ على صدق ما أقول من تشجيع "ابن باديس" رحمه الله للإباضيّة على الانخراط معه، وهذا التّعاون له خطورته من وجوه عدّة منها :

---

[1] الاعتصام [223/1].

[2] الرّد على "البكري" [ص 2]

1. أنّ في مثل هذا التّعاون تهاونا بضلالات الإباضية وفيه تلبيس على النّاس (وخاصّة منهم العوام) في سلامة المنهج الإباضي، وهذه مُغالطة لا تخلو من الخطورة بمكان..
2. أنّه ليس من هدي علمائنا لا في القديم ولا في الحديث، أن يستهينوا بالخلاف مع أهل الأهواء وخاصّة ذوي العقائد الباطلة..
3. أنّه لو لم يكن للإباضيّة من انحراف سوى قولهم بخلق القرآن، وعدم رؤية الله في الآخرة، وتكفير مرتكب الكبيرة (باعتبارهم إحدى فرق الخوارج) لكفاهم ذلك وِزرا.. ماذا وضلالاتهم عامّة في العقيدة والفقه والحديث وغيرها من الميادين؟!..

وحتى أثبت للقارئ صدق ما أقول أسوق كلام الشّيخ "ابن باديس" الدّال دلالة واضحة على مجاملته للإباضيّة وعدم تبيينه لانحراف هؤلاء، حيث قال وهو يصف إحدى جولاته إلى مدينة بسكرة ما يلي : (في شعبان الماضي عقدنا رحلة إلى بسكرة النّخيل لتركيز شعبة جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين بها، وزيارة مدرسة الإخاء الّتي أسّست حديثا ـ فلقينا بالمحطّة الشّيخ الأمين العمودي كاتب الجمعيّة ورئيس الشعبة، والشّيخ "محمّد خير الدّين"، والشّيخ "محمّد الطّرابلسي"، والشّيخ "بلقاسم البسكري" المدرّسين بالمدرسة في جمع غفير من فضلاء السّادة البسكريين)[1]، تمّ وصف المدرسة بما يلي :

(من أعظم ما يدخل السّرور على قلب المسلم، أن يرى إخوانه المسلمين يمثّلون معنى الأخوّة الإسلاميّة تمثيلا عمليًا مثل ما شاهدته ببسكرة من مالكيتها وإباضيّتها، فجماعتهم واحدة، ورأيهم واحد وشوراهم في المصالح العامّة واحدة، وما تنطوي عليه القلوب لابدّ أن يظهر على الأقوال والأعمال، فاهتداء السّادة البسكريين ـ مالكيّة وإباضيّة ـ إلى تسميّة مدرستهم بمدرسة الإخاء هو أثر ممّا تنطوي عليه قلوبهم من معنى الأخوّة الصّحيح الّتي ربطها بها الإسلام، ونشاهد روح التّضامن والتّآخي بادية في إدارة المدرسة من الجانبين، وفي التّعليم بها كذلك وفي الأبناء المتعلّمين من المالكيّة والإباضيّة الممتزجين ببعضهم ليشبّوا على ذلك التّآخي وذلك الإتّحاد..)[1]، أيّ تَآخٍ وأيّ اتحاد مع القائلين بخلق القرآن والمكفّرين للمسلمين بارتكابهم الكبيرة والمخالفين لطريق السّلف الصّالح في الأصول والفروع ؟.. إنّ هذا الفكر يذكّرنا بفكر "حسن البنّا" رحمه الله سواء بسواء، حيث تنصبّ جهوده وجهود أمثاله إلى جمع المسلمين حتّى ولو كان هذا الاجتماع على حساب العقيدة وعلى حساب الدّين كلّه.. لماذا لم يبيّن "ابن باديس" انحرافات الإباضيّة ؟ لماذا لم يقل مثلا

---

[1] آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس" [255/4]، (من مطبوعات وزارة الشّؤون الدّينيّة . الطّبعة الأولى).

[1] آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس" [255/4]، (من مطبوعات وزارة الشّؤون الدّينيّة . الطّبعة الأولى).

: أتمنّى لهم العودة إلى منهج السّلف الصّالح في العقائد والتّشريعات ؟ لماذا سكت عن هذا كلّه ؟ هل انحرافات الإباضيّة عنده ضئيلة ؟ هل ترهاتهم وأباطيلهم ليست ذات أهميّة، أين هذا من تدقيقات علمائنا الكبار وجهرهم بأخطاء المُخالفين وعدم السّكوت عليهم مهما كان الثّمن ؟ إنّ قبول أهل الأهواء داخل جماعة يزعم أصحابها أن رئيسها يتبنّى منهج السّلف الصّالح قلبا و قالبا شيء يُعاد فيه النّظر..ما هي الأعذار الّتي يمكن لنا أن نلتمسها "لابن باديس" في هذا الكلام وسروره باجتماع القلوب والوحدة بين الإباضيّة وغيرهم ؟.. وقد يقول قائل إنّه لا أحد من المسلمين لا يفرح بعدم ألفة المسلمين فيما بينهم فالجواب يكون : بأنّ الوحدة لا تكون على حساب الإسلام نفسه، بل على الزّائغين أن يعلنوا عودتهم لمنهج السّلف الصّالح، وآنذاك تكون الألفة حقيقية وصادقة ولا تكون شبيهة بألفة اليهود حيث وصفهم الله تعالى بقوله :«تحسبهم جميعا وقلوبهم شتّى ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون» [2]، ومن الواجب أن نقول : إنّ عدم إنكار البدع خشية الخلاف ممّا يميت السنّة ويروّج للبدعة ويزيد في انتشارها، وكان على الشّيخ "ابن باديس" أن يبيّن أخطاء (الإباضيّة) عقيدة وشريعة ومنهاجا حتّى يفضح للنّاس حقيقتهم، ولكنّه لم يفعل، ولم أجد له نصًّا واحدا في الإنكار عليهم، بل ما وجدتُ له إلاّ النّصوص المساندة للوحدة معهم والاعتزاز بهم وبعلمائهم، وخير دليل على ذلك ثناؤه الشّديد على واحد من كبار علماء الإباضيّة عندنا وهو الشّيخ "إبراهيم اطفيش" حيث كتب عنه "ابن باديس" ما يلي «هَبَط صديقنا الأستاذ العلاّمة الشّيخ "إبراهيم اطفيش" وادي النّيل مهاجرا إليه من وطنه الجزائر من قبل أن يولد الفتح، اكتسبنا صداقته من السنّة الأولى الّتي اتّخذ فيها الوطن المصري وطنا ثانيّا له، فكنّا نحن وجميع أفاضل المصريّين نعجب بصدقه وصلابة دينه واستعداده للمشاركة في كل خير، فما قامت لخير الإسلام جماعة من ذلك الحين، ولا أرسل المنادون إلى الفلاح صوتهم في أمر، إلاّ كان الأستاذ "أبو إسحاق" الشّيخ "إبراهيم اطفيش" في مقدمّة المعينين على ذلك، ومقالاته المتعدّدة في هذه الصّحيفة وفي أختها الزّهراء شاهد على فضله، ودليل على حسن بلائه في سبيل وحدة المسلمين[1] جزاه الله خيرا»[2] ـ إن الإباضيّة فرقة من الخوارج والخوارج من أخطر الفرق الّتي تركت بصماتها الضّالة وآثارها الزّائغة إلى يومنا هذا، وضلالات الخوارج تكون كمايلي :

---

[2] سورة الحشر [الآية 14].

[1] أليست نغمة وحدة المسلمين هي نفسها النّغمة الّتي يترنّم بها الإخوانيّون ومن كان على شاكلتهم؟ حتّى ولو كانت هذه الوحدة مع أعداء العقيدة الصّحيحة، فتأمّل !..

[2] آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس" [116/3]، (الطّبعة الأولى من مطبوعات وزارة الشؤون الدّينيّة).

1. « يُعتقد أنّ ما ابتدعه الخوارج من تكفير للمسلمين واستحلال لدمائهم وأموالهم وتمييزهم بالإمام والدّار (سمّوا دارهم دار الهجرة)، وبدّلوا دار المسلمين دارين : دار كفر ودار حرب، إنّ هذه البدعة هي أوّل بدعة ظهرت في الإسلام..
2. تسوية الخوارج بين الكبائر و الصّغائر، ويعود ذلك لسوء فهمهم للقرآن الكريم.
3. اعتقاد الخوارج بعدم اتّباع السنّة، الّتي يظنّون مخالفتها للقرآن كالرّجم للزّاني المحصن.
4. تكفير الخوارج لعثمان وعليّ رضيّ الله عنهما اللّذين شهد لهما رسول الله صلى الله عليه و سلّم بالجنّة.
5. اعتقاد الخوارج بجواز أن يكون الرّسول ظالما.
6. اعتقاد الخوارج أنّ العبد يصير كافرا بالذّنب.
7. اعتقاد بعض فرق الخوارج أنّ من لا يعرف أسماء الله وتفاصيل الشّريعة فهو كافر.
8. اعتقاد أتباع "عبد الكريم بن عجرد" من فرق الخوارج أنّ سورة يوسف ليست من القرآن، لأنّها في شرح العشق والعاشق والمعشوق..ومثل هذا لا يجوز أن يكون كلام الله.
9. يُجوِّز أتباع "ميمون بن عمران" من الخوارج نكاح بناتهم، ولا يرون أن الشرّ من الله تعالى.
10. لا يرى أتباع خلف من الخوارج أنّ الخير والشّر من الله تعالى..
11. يتبرّأ أتباع "أخنس بن قيس" من كلّ من لا يوافقهم ويسكن في بلد مخالفهم» [1].

ألا تكفي هذه الضّلالات ؟ هذه ضلالات الخوارج والإباضيّة واحدة من فرق الخوارج، وللإباضيّة نشاط سرّي في نشر مذهبهم رغم ما يتظاهرون به من السّكوت، ولهم شوكة وقوّة في مدينة (غرداية) عندنا، ويُعرفون في الجزئر ببني ميزاب حيث يشكّلون في المدينة المذكورة دولة داخل دولة كما يقال، بعاداتهم وتقاليدهم المأخوذة من تعصّبهم الفظيع لمذهبهم الإباضيّ فتراهم مثلا :

1. ينكرون إنكارا باتّا رفع اليدين في تكبيرة الإحرام في الصّلاة، ويرفضون المناقشة بكلمة واحدة، (أنّنا معشر الإباضيّة لا نرفع أيدينا في تكبيرة الإحرام).

---

[1] (معالم الهدى إلى فهم الإسلام) "لأبي عائشة مروان القيسي"، [ص 25 و26].

2. رفضهم تحريك السّبابة عند التّشهد رفضا مطلقا (ليس اقتناعا بدليل بقدر التّعصب بما عليه الأصحاب كما يقولون).

3. والأدهى من هذا وذاك أنّهم من النّاحية الحديثيّة يَعْتَدُّون بمسند "الحبيب بن الرّبيع"، ويعتبرونه أحسن وأفضل بكثير من صحيح البخاري العظيم الّذي يعتبر أصحّ كتاب بعد كتاب الله تعالى..

4. ولا يحبّون المناقشة حتّى ولو كان خصمهم على حقّ، وحتّى لو جاءهم بالبيّنات السّاطعات من كتاب الله تعالى ومن سنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم وبآثار السّلف الصّالح، إيمانا منهم بأنّ ما عند شيوخهم وعلمائهم هو الحقّ الّذي لا يقبل الجدال، فكيف تعاون "ابن باديس" مع هؤلاء..؟ ولو قال قائل تعاون معهم من أجل مصلحة الجزائر آنذاك أقول : هذا عين المداهنة وتعميل المصلحة الخاصّة على شرع الله!..

إصرار ابن باديس رحمه الله على بدعة المولد النّبوي

و من الأخطاء الّتي لفتت انتباهي عند الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله، إصراره على إحياء بدعة المولد النّبوي، وهذا ينافي تماما سلفيّة علمائنا الكبار قديما وحديثا، والّذين عملوا بلا هوادة على إطفاء هذه البدعة والقضاء عليها، ولقد استغربت تماما هذا الموقف من "ابن باديس" والّذي خالف فيه بدون أدنى شكّ منهج السّلف الصّالح، ولقد وجدته مصرّا على حضور هذه الاحتفالات بنفسه، والزّيادة على ذلك بإلقاء كلمة عن هذه المناسبة (العظيمة) في زعمه، والّتي هي بدعة ضلالة في حقيقة أمرها.. تابعوا معي أيّها القرّاء الكرام مدى تمسك "ابن باديس" ببدعة المولد حيث ألقى خطابا ارتجاليّا في نادي التّرقي قال فيه ما يأتي :

« بسم الله الرّحمن الرّحيم، وعلى اسم الجزائر الرّاسخة في إسلامها، المتمسّكة بأمجاد قوميتها وتاريخها - أفتتح الذّكرى الأولى بعد الأربعمائة والألف من ذكريات مولد نبي الإنسانيّة ورسول الرّحمة سيّدنا ومولانا محمّد بن عبد الله عليه وعلى آله الصّلاة والسّلام - في هذا النّادي العظيم الّذي هو وديعة الأمّة الجزائريّة عند فضلاء هذه العاصمة ووجهائها. لسنا وحدنا في هذا الموقف الشّريف لإحياء هذه الذّكرى العظيمة، بل يشاركنا فيها نحو خمسمائة مليون من البشر في أقطار المعمور[1] كلّهم تخفق أفئدتهم فرحا وسرورا وتخضع أرواحهم إجلالا وتعظيما لمولد سيّد العالمين»[2]، ثمّ واصل كلامه قائلا :

« ما الدّاعي إلى إحياء هذه الذّكرى ؟ المحبّة في صاحبها..إنّ الشّيء يحبّ لحسنه أو لإحسانه وصاحب هذه الذّكرى قد جمع - على أكمل وجه - بينهما»[3]، ثمّ ازداد تمسّكا بهذه البدعة والاستدلال لها فقال : « فمن الحقّ والواجب أن يكون هذا النّبيّ الكريم أحبّ إلينا من أنفسنا وأموالنا ومن النّاس أجمعين ولو لم يقل لنا في حديثه الشّريف : "لا يؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والنّاس أجمعين"، وكم فينا من يحبّه هذه المحبّة ولم يسمع بهذا الحديث ؟ فهذه المحبّة تدعونا إلى تجديد ذكرى مولده في كلّ عام.. ما الغاية من تجديد هذه الذّكرى ؟ استثمار هذه المحبّة..».[1]

لا يا أيّها الشّيخ، كلامك هذا فيه مؤاخذات كثيرة منها :

---

[1] هكذا وردت في الكتاب ولعلّ الصّواب : المعمورة..

[2] (مجالس التذكير من حديث البشير النذير)، [ص 287].

[3] (مجالس التّذكير من حديث البشير النّذير)، [ص289].

[1] (مجالس التّذكير من حديث البشير النّذير)، [من 289 إلى 295].

1 ـ التّرويج للبدعة وتشجيع النّاس على التّمسك بها..

2 ـ غياب روح التّصوّر السّلفي عند الشّيخ "ابن باديس" في هذه النّقطة، لأنّ الخير كلّ الخير في اتّباع من سلف والشّر كلّ الشّر في ابتداع من خلف، فكيف يخفى هذا عن رجل جعله طلاّب العلم من السّلفيّين عندنا مؤخّرا سلفيا محضا ؟!..

3 ـ القطع بأنّ الدّوافع لإحياء ذكرى المولد حبّ صاحبها وهو نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، والمحبّة الحقيقية لا تكون إلاّ بالابتعاد عن البدع الّتي كان عليه الصّلاة والسّلام ينهى عنها، ويعلو صوته عند ذكرها كأنّه منذر جيش يقول : صبّحكم الله ومسّاكم، فكيف تجتمع المحبّة مع عدم الانقياد والتّسليم لأوامر الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، وفي التّحذير من البدع وشرّها ؟..

إنّ هذا الكلام قرّة عين المبتدعة في هذا الموضوع.. أين هذا من تحذيرات علمائنا السّلفيّين من شرّ هذه البدعة "الفاطميّة" الأصل، والّتي تسمّى أصحابها بابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (فاطمة) رضي الله عنها زورا وكذبا وتمويها وخداعا للنّاس، وهم أبعد النّاس عن سنّة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام لأنّهم غلاة الرّوافض؟ أين كلام الشّيخ "ابن باديس" من كلام علمائنا في ذمّ بدعة المولد ؟ لقد قضى شيوخنا الكبار دهرا طويلا في محاربة هذه الضّلالة حتّى آخر أعمارهم، فها هو الشّيخ العلاّمة "ابن باز" رحمه الله يحذّر من بدعة المولد في عشرات الرّسائل، إيمانا منه بأنّ التّحذير من هذه البدعة فيه تعظيم لسنّة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم حقّ التّعظيم وفيه حبّ له ومتابعة لهديه صلّى الله عليه وسلّم، ولقد ظلّ إلى آخر رمق من حياته يدعو إلى محاربة هذه البدعة، لما يعرفه من شدّة حبّ النّاس لها وتمسّكهم بها حيث قال رحمه الله في إحدى رسائله عن حكم الاحتفال بالمولد ما نصّه : « لا يجوز الاحتفال بمولد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ولا غيره لأنّ ذلك من البدع المحدثة في الدّين، لأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لم يفعله ولا خلفاؤه الرّاشدون، ولا غيرهم من الصّحابة رضوان الله على الجميع.. ولا التّابعون لهم بإحسان في القرون المفضّلة، وهم أعلم النّاس بالسنّة وأكمل حبّا لرسول صلّى الله عليه وسلّم[1]، ومتابعة لشرعه ممّن بعدهم وقد ثبت عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» أي مردود عليه، وقال في حديث آخر: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين من بعدي تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنّواجذ وإيّاكم ومحدثات الأمور فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة». ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها، وقد قال الله سبحانه في كتابه المبين «وما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتّهوا»، وقال عزّوجلّ : « فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم»، وقال سبحانه: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله

---

[1] إذن حجّة الاحتفال بهذه البدعة بادّعاء حبّه صلّى الله عليه وسلّم حجّة أوْهَن من بيوت العنكبوت !

واليوم الآخر وذكر الله كثيرا»، وقال تعالى : «والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم»، وقال تعالى :«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا». والآيات في هذا المعنى كثيرة، وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرّسول صلى الله عليه وسلّم لم يبلّغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به زاعمين أن ذلك ممّا يقربهم إلى الله وهذا بلا شك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه وعلى رسوله صلّى الله عليه وسلّم، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتمّ عليهم النّعمة».[2]

ففي هذا الكلام الماتع ردّ قاطع على بدعية المولد النّبوي وعلى الخطأ الجسيم الّذي ارتكبه الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله لمّا شارك في الاحتفال بالمولد مشاركة فعّالة فضلا عن الدّعوة إلى تجديد تلك الذّكرى في كلّ سنة، وهذا مستغرب غاية الاستغراب حيث أنّه لو صدر من شخص عاديّ لكان الخطب أهون ولكن أن يصدر من شخص أعطيت له راية العلم في بلادنا فهذا شيء عجاب، وليس فيه من دليل سوى غياب روح السّلفية الحقيقيّة في الكثير من الجوانب عند الإمام "ابن باديس" رحمه الله.. ويُمكن إجمال مؤاخذات أخرى في هذا الموضوع منها :

1) أنّ دعوتنا السّلفية علّمتنا بأن لا نحابي أحدا في دين الله، ولاشكّ أنّ السّكوت عن هذا الخطأ الجسيم، والّذي هو في حدّ ذاته بدعة ضلالة مجاملة لشخصية "ابن باديس" رحمه الله..

2) أنّنا لو تساهلْنا مع "ابن باديس" رحمه الله في مثل هذه البدعة الشّنيعة، نكون قد وقعنا في ظلم شخصيات أخرى آخذناها مؤاخذة شديدة على دعوتها للاحتفال بالمولد، مثل شخصية "حسن البنّا" زعيم الإخوان المسلمين، ومن كان على شاكلته، وبلا شكّ سيكون معيارنا آنذاك مختلاً، إذ سيقال حينها : أتكون بدعة المولد شنيعة لمّا يرتكبها "البنّا" وتكون طيّبة لما يرتكبها "ابن باديس" ؟ والجواب الصّحيح أن يُنكر على هذا وذاك بدون تفريق لأنّهما يشتركان في العمل نفسه وهو إحياء بدعة المولد النّبوي.

3) أنّ البدعة تظلّ بدعة مهما رآها النّاس حسنة.

4) أنّ الإنكار يشتدّ أكثر على الشّخصيات القيـاديّة والشّخصيات المعروفة في دنيـا العلم والدّعوة، لأنّ تأثيرهم على الجماهير كبير وسريع المفعول كما يقال.

---

[2] التّحذير من البدع [للشيّخ العلاّمة فقيد الأمّة "ابن باز" رحمة الله عليه].

5) أنّ العامّة ستظلّ راكنة إلى هذه البدعة دون أن تنفر منها على أساس أنّ فلانا وهو من هو في دنيا النّاس يفعلها ويشارك عمليّا في احتفالاتها.

6) أنّ "ابن باديس" رحمه الله حصل له شرف الرّحيل إلى الحجاز بلد التّوحيد وعلماء التّوحيد، وبلا شكّ وجد كتبا في هذا المجال ووجد كتبا في قمع البدع، وخاصّة بدعة المولد..فما هو عذره يا ترى في إحياء مثل هذه المنكرات والدّعوة إلى تجديد الذّكرى في كلّ سنة بحجّة حبّ المصطفى صلّى الله عليه و سلّم ؟!.

7) أنّ هذا الكلام تكرّر في كتب "ابن باديس" وتكرّر احتفاله بالمولد النّبوي وفي هذا دليل على إصْرار عجيب منه على هذه البدعة لأنّ ما تكرّر تقرّر كما يقال.

8) أنّ المسألة لو كانت مسألة اجتهاديّة لقلنا بأنّ الرّجل أهل لذلك، ولكنّ الأمر ليس كذلك إذ أنّ مدار الموضوع حول بدعة ضلالة ولا اجتهاد مع بدعة.

9) أنّه لو قال قائل بأنّ "ابن باديس" يُدخل ذلك ضمن البدع الحسنة لكان الرّد الفوري بأنّ علماء السّلفية الكبار قديما وحديثا لا يقرّون بأنّ هناك (بدعة حسنة) بل غايتهم واحدة في أنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النّار.

وحول هذه النّقطة قال الشّيخ العلاّمة "عبد العزيز بن باز" رحمه الله ما يلي : « والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد صرّح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتّحذير منها عملا بالأدلّة المذكورة وغيرها، وخالف بعض المتأخّرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات كالغلو في رسول الله صلّى الله عليه وسلمّ، وكاختلاط النّساء والرّجال واستعمال آلات الملاهي وغير ذلك ممّا ينكره الشّرع المطهّر، وظنّوا أنّها من البدع الحسنة، والقاعدة الشّرعية ردّ ما تنازع فيه النّاس إلى كتاب الله وسنّة رسوله محمّد صلىّ الله عليه وسلمّ، كما قال الله عزّوجلّ :« يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا»، وقال تعالى :« وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله»، وقد رددنا هذه المسألة.. وهي الاحتفال بالمولد، إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتّباع الرّسول صلّى الله عليه وسلمّ فيما جاء به ويحذّرنا عمّا نهى عنه ويخبرنا بأنّ الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمّة دينها، وليس هذا الاحتفال ممّا جاء به الرّسول صلّى الله عليه وسلمّ فلم نجد فيها أنّه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه رضيّ الله عنهم فعلمنا بذلك أنّه ليس من الدّين بل هو من البدع المحدثة، ومن التّشبه بأهل الكتاب من اليهود والنّصارى في أعيادهم، وبذلك يتّضح لكلّ من له أدنى بصيرة ورغبة في الحقّ، وإنصاف في طلبه أنّ الاحتفال بالمولد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع المحدثات، الّتي أمر الله سبحانه ورسوله صلّى الله عليه وسلمّ بتركها والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن يغتّر بكثرة من يفعله من النّاس في سائر الأقطار فإنّ الحقّ لا يُعرف بكثرة الفاعلين، وإنّما

يُعرف بالأدلّة الشّرعية، كما قال تعالى عن اليهود والنّصارى : « وقالوا لن يدْخل الجنّة إلاّ من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»، وقال تعالى : «وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله» الآية، ثمّ إنّ غالب هذه الاحتفالات بالمولد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى...».[1]

10) أنّ الشيّخ "ابن باديس" عُرف بحربه العظيمة على الطّرقية الضّلال، ولكن في إحيائه لأمر المولد النبّوي وتشجيعه على ذلك قمّة الإرضاء لهؤلاء المنحرفين الّذين اشتهروا بالتّرويج لهذه البدعة المنكرة.

11) أنّ "ابن باديس" رحمه الله يؤكّد في الكثير من قواعده أنّه لا فَهْم للقرآن الكريم والسنّة النّبوية إلاّ على ضوء فهم السّلف الصّالح فلماذا لم يُعمل هذه القاعدة العظيمة في مسألة المولد هذه ؟

وأخيرا أقول : إنّ بدعة المولد النّبوي بدعة ضلالة، ولا تساهل فيها أبدا وهي ليست بالأمر الهيّن الّذي يمكننا غضّ النّظر عنه كسلفييّن، وتبقى هذه النّقطة نقطة سوداء تعكّر على الشيّخ "ابن باديس" سلامة منهجه، فلا مجال لأن يقول قائل : هذا أمر هيّن لا يحتاج إلى وقفة لأنّ البدعة بدعة مهما رآها النّاس حسنة.

موقف ابن باديس رحمه الله من مسألة والدي المصطفى عليه الصّلاة والسّلام وردّه لحديث الآحاد في العقيدة

من الأخطاء الّتي لا تساهل فيها مع "ابن باديس" رحمه الله أو غيره، موقف المسلم من والديّ النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلمّ، أهما في النّار أم أنّهما من أهل الفترة المعفو عنهم ؟ والحقّ أنّ السنّة النّبوية جاءت قاطعة في الأمر، وبيّن صاحبها عليه الصّلاة والسلاّم أنّ أبويه في النّار في أحاديث صحيحة، واضحة المعنى لا لبس فيها ولا غموض.. وهذا الّذي عرفه الصّحابة وتعلّموه من النّبيّ صلّى الله عليه وسلمّ، إلى أن نبتت نابتة ادّعت ادّعاء مبتدعا، وهو أنّ والديّ الرّسول صلّى الله عليه وسلمّ في الجنّة، على أساس أنّهما من أهل الفترة الّذين لم يحظوا بوجود نبيّ يبلّغ لهم رسالة الله ويعلّمهم الكتاب والحكمة، واستدلّوا على ذلك بآيات عامّة من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى : « وما كنّا مُعذّبين حتّى نبعث

[1] التّحذير من البدع [للشيّخ العالم العلاّمة "عبد العزيز بن باز" رحمه الله].

رسولا» [1]، وهذا الاستدلال مردود جملة و تفصيلا إذ أنّ والديّ الرّسول صلّى الله عليه وسلمّ وردت فيهما نصوص صحيحة في السّنة دلّت على أنّهما من أهل النّار، وليس من حقّنا أن نضرب بهذه النّصوص عرض الحائط طالما أنّها نصوص صحيحة صحّت متنا وسندا، ولا يجوز الإعراض عن السّنة النّبوية والاكتفاء بالقرآن الكريم وحده..وللأسف هذا ما فعله الشيّخ "ابن باديس" في هذه المسألة.. وإلى القارئ الكريم أسوق كلامه ليتبيّن للجميع كيف وقع "ابن باديس" في أخطاء جسيمة برئت منها ذّمة علماء السّلفية الحقيقيّين..فقد قال في معرض تفسيره لقوله تعالى : «وما كنّا مُعذّبين حتّى نبعث رسولا» ما يلي : « لمّا كان العرب لم يأتهم نذير قبل النّبيّ صلّى الله عليه وسلمّ بنّص هذه الآية وغيرها فهم في فترتهم ناجون لقوله تعالى : « وما كنّا مُعذّبين حتّى نبعث رسولا»، و« وأن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير» وغيرهما، وكلّها آيات قواطع في نجاة أهل الفترة ولا يستثنى من ذلك إلاّ من جاء فيهم نصّ ثابت خاصّ "كعمر بن لُحيّ"[2]، أوّل من سيّب السّوائب وبدّل في شريعة إبراهيم وغيّر وحلّل للعرب وحرّم، فأبَوَا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ناجيان بعموم هذه الأدلّة ولا يعارض تلك القواطع حديث مسلم عن أنس (رضي الله عنه) : (أنّ رجلا قال للنّبيّ صلّى الله عليه وعلى آله وسلمّ : يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النّار، فلمّا قفا الرّجل دعاه فقال : إنّ أبي وأباك في النّار)، لأنّه خبر آحاد فلا يعارض القواطع وهو قابل للتّأويل بحمل الأب على العمّ مجازا يحسنه المشاكلة اللّفظية ومناسبته لجبر خاطر الرّجل وذلك من رحمته صلّى الله عليه وسلمّ وكريم أخلاقه..»[1].

وهذا الكلام فيه مزالق ومؤاخذات كثيرة منها :

1. الاستدلال بالقرآن الكريم في هذه المسألة، والإعراض عمّا جاءت به السّنة الشّريفة من أحاديث وردت في الموضوع نفسه.
2. ردّ الاستدلال بحديث الآحاد في العقيدة بحجّة أنّه يعارض القرآن الكريم.
3. تحميل الحديث الوارد في صحيح (مسلم)، والّذي ورد فيه سؤال ذلك الرّجل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن حال أبيه أهوَ في النّار ـ تأويلا أبعد كلام "ابن باديس" عن جادّة الصّواب.

والرّد على هذه النّقاط يكون كما يأتي :

---

[1] سورة الإسراء . [الآية 15].

[2] هكذا وردت في الكتاب و الصّواب "عمرو بن لحيّ".

[1] مجالس التّذكير [من كلام الحكيم الخبير . ص 373].

1) فيما يتعلّق بالاستدلال بالقرآن الكريم والإعراض عمّا جاءت به السّنة الشّريفة، فيكفي التّذكير بهذه الأحاديث :

عن "أبي رافع" رضيّ الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

«لا ألفيّن أحدكم متّكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، ممّا أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه وإلاّ فلا»[2].

وعن "المقدام بن معدي كرب" رضيّ الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

«ألا إ نّي أوتيتُ القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن، فما وجدتمّ فيه من حرام فحرّموه، وإنّ ما حرّم رسول الله كما حرّم الله، ألا لا يحلّ لكم الحمار الأهلي، ولا كلّ ذي ناب من السّباع، ولا لُقَطة معاهد إلاّ أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يُقرّوه فإن لم يُقرّوه فله أن يُعقّبهم بمثل قِراه**»**.[1]

وعن أبي هريرة رضيّ الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

«تركتُ فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما (ما تمسّكتم بهما) كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض» [2]..قال الشّيخ العلاّمة محدّث العصر "الألباني" رحمه الله : (وفي هذه النّصوص من الآيات والأحاديث أمور هامّة جدّا يمكن إجمالها فيما يلي :

1. أنّه لا فرق بين قضاء الله وقضاء رسوله[3]، وأنّ كلاّ منهما ليس للمؤمن الخيرة في أن يخالفهما، وأنّ عصيان الرّسول كعصيان الله تعالى وأنّه ضلال مبين.

2. أنّه لا يجوز التّقدّم بين يدي الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، كما لا يجوز التّقدّم بين يدي الله تعالى، وهو كناية عن عدم جواز مخالفة سنّته صلّى الله عليه وسلّم، قال الإمام "ابن القيّم" في "إعلام الموقعين" (58/1) : (أي لا تقولوا حتّى يقول ولا تأمروا حتّى يأمر، ولا تفتوا حتّى يفتي، ولا تقطعوا أمرا حتّى يكون هو الّذي يحكم فيه ويمضي)..

3. أنّ المطيع للرّسول صلّى الله عليه وسلّم مطيع لله تعالى..

---

[2] رواه أحمد وأبو داود والتّرمذي وصحّحه وابن ماجه والطّحاوي وغيرهم بسند صحيح.

[1] رواه أبو داود والتّرمذي والحاكم وصحّحه وأحمد بسند صحيح.

[2] أخرجه مالك مرسلا والحاكم مسندا وصحّحه..

[3] كان الشّيخ "الألباني" رحمه الله قد ساق قبل الأحاديث الواردة جملة من الآيات، المبيّنة لقدر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومكانته ومكانة سنّته، فلتراجع في كتابه (الحديث حجّة بنفسه في العقائد والأحكام).

4. أنّ التّولي عن طاعة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إنّما هو من شأن الكافرين.

5. وجوب الرّد والرّجوع عند التّنازع والاختلاف في شيء من أمور الدّين إلى الله وإلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، قال "ابن القيّم" (54/1) :

«فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل (يعني قوله : "وأطيعوا الرّسول")، إعلاما بأنّ طاعته تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به في الكتاب، أو لم يكن فيه، فإنّه "أوتي الكتاب ومثله معه" ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالا، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرّسول...". ومن المتّفق عليه عند العلماء أنّ الرّد إلى الله إنّما هو الرّد إلى كتابه، والرّد إلى الرّسول، هو الرّد إليه في حياته وإلى سنّته بعد وفاته، وأنّ ذلك من شروط الإيمان..

6. أنّ الرّضى بالتّنازع، بترك الرّجوع إلى السّنة للخلاص من هذا التّنازع سبب هام في نظر الشّرع لإخفاق المسلمين في جميع جهودهم، ولذهاب قوّتهم وشوكتهم.

7. التّحذير من مخالفة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لما لها من العاقبة السّيئة في الدّنيا والآخرة.

8. استحقاق المخالفين لأمره صلّى الله عليه وسلّم الفتنة في الدّنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

9. وجوب الاستجابة لدعوة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأمره، وأنّها سبب الحياة الطيّبة، والسّعادة في الدنيا والآخرة.

.1. أنّ طاعة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سبب لدخول الجنّة والفوز العظيم، وأنّ معصيّته وتجاوز حدوده سبب لدخول النّار والعذاب المهين.

11. أنّ من صفات المنافقين الّذين يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر أنّهم إذا دعوا إلى أن يتحاكموا إلى الرّسول وإلى سنّته، لا يستجيبون لذلك، بل يصدّون عنه صدودا.

12. وأنّ المؤمنين على خلاف المنافقين، فإنّهم إذا دعوا إلى التّحاكم إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بادروا إلى الاستجابة لذلك، وقالوا بلسان حالهم وقالهم: "سمعنا وأطعنا"، وأنّهم بذلك يصيرون مفلحين، ويكونون من الفائزين بجنّات النّعيم.

13. كلّ ما أمرنا به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يجب علينا اتّباعه فيه، كما يجب علينا أن ننتهي عن كلّ ما نهانا عنه.

14. أنّه صلّى الله عليه وسلّم أسوتنا وقدوتنا في كلّ أمور ديننا إذا كنّا ممن يرجو الله واليوم الآخر.

15. وأنّ كلّ ما نطق به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ممّا له صلة بالدّين والأمور الغيبيّة الّتي لا تُعرف بالعقل ولا بالتّجربة فهو وحي من الله إليه..لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

16. وأنّ سنّته صلّى الله عليه وسلّم هيّ بيان لما أنزل إليه من القرآن.

17. وأنّ القرآن لا يغني عن السّنة، بل هي مثله في وجوب الطّاعة والاتباع، وأنّ المستغني به عنها مخالف للرّسول عليه الصّلاة والسّلام غير مطيع له، فهو بذلك مخالف لما سبق من الآيات.

18. أنّ ما حرّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مثل ما حرّم الله، وكذلك كلّ شيء جاء به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ممّا ليس في القرآن، فهو مثل ما لو جاء في القرآن لعموم قوله : (ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه).

19. أنّ العصمة من الانحراف والضّلال إنّما هو التّمسّك بالكتاب والسّنة، وأنّ ذلك حكم مستمر إلى يوم القيامة، فلا يجوز التّفريق بين كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم تسليما كثيرا...».[1]

هذه الأقوال الرّائعة تبيّن مكانة السّنة في العقائد والأحكام، وأنا أعلم يقينا أنّ مثل هذا الأمر لا يخفى على أمثال الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله، ولكنّه حقيقة في هذه المرّة ردّ السّنة، و لم يقبل الاستدلال بها باسم النّقطة الثّانية الّتي أسلفتُ ذكرها، وهي حجّة ردّ حديث الآحاد في العقائد وعدم الاعتداد به لأنّه يفيد الظّن ولا يفيد اليقين، وهذه مغالطة تَفُوحُ منها رائحة المعتزلة والأشاعرة ومن كان على شاكلتهم، وتبنّى معتقدهم على الأقل في هذه النّقطة، وإنّ هذا الأمر ليس بالأمر السّهل أو يدخل ضمن اختلاف التّنوّع ولكنّه حقّا يعدّ من اختلاف التّضاد، إذ أنّ أئمّتنا الكبار من القدماء والمعاصرين اتّفقوا على الأخذ بالحديث إذا صحّ « دون تفريق بين ما كان منه خبر آحاد أو تواتر، ما دام أنّه صحّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهذا هو الحقّ الّذي لا ريب فيه، والتّفريق بينهما إنّما هو بدعة وفلسفة دخيلة في الإسلام مخالف لما كان عليه السّلف الصّالح والأئمّة المجتهدون».[1]

---

[1] (الحديث حجّة بنفسه في العقائد والأحكام) [لشيخنا العلاّمة الفاضل "ناصر الدّين الألباني" رحمه الله] . [ص 32 . 33 . 34].

[1] (العقيدة الطّحاوية) شرح وتعليق للشّيخ "الطّحاوي"، وبتعليق الشّيخ العلاّمة "الألباني" والكلام المشار إليه لهذا الأخير..أنظر تعليقه في [ص 43].

فكيف يردّ "ابن باديس" نصوصا صحيحة ورد فيها ذكر خبر والدي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بأنّهما من أهل النّار بزعمه أنّ ذلك يخالف قوله تعالى (وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا) ؟ ثمّ يقطع أنّ هذا الخبر حديث آحاد لا يجوز به تخصيص ما ورد في القرآن الكريم، إنّ هذا ولا شك فيه التّأثّر كلّ التّأثّر بمنهج الأشاعرة في الاعتقاد على الأقلّ في هذه المسألة، قال الشّيخ العلاّمة "الألباني" رحمه الله مشيرا إلى أصول الخلف الّتي تركت السّنة بسببها ما نصّه :

« فما هي تلك الأصول و القواعد الّتي أقامها الخلف حتّى صرفتهم عن السّنة دراسة واتّباعا ؟ وجوابا عن ذلك أقول : يمكن حصرها في الأمور الآتية :

__الأوّل__ : قول بعض علماء الكلام : إنّ حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة..وصرّح بعض الدّعاة الإسلاميين اليوم بأنّه لا يجوز أخذ العقيدة منه، بل يحرم..

__الثّاني__ : بعض القواعد الّتي تبنّتها بعض المذاهب المتّبعة في"أصولها" يحضرني منها ما يلي :

أ ـ تقديم القياس على خبر الآحاد(الإعلام1: 327، 300، شرح المنار ص 623).

ب ـ ردّ خبر الآحاد إذا خالف الأصول (الإعلام1: 329، شرح المنار ص 649).

جـ ـ ردّ الحديث المتضمّن حكما زائدا على نص القرآن بدعوى أنّ ذلك نسخ له والسّنة لا تنسخ القرآن! (شرح المنار ص 647، الأحكام 2 : 66).

د ـ تقديم العام على الخاصّ عند التّعارض، أوعدم جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد!(شرح المنار ص 289 ـ 294، إرشاد الفحول ص 138- 139 ـ 143 ـ 144).

هـ ـ تقديم عمل أهل المدينة على الحديث الصّحيح.

__الثّالث__ : التقليد واتّخاذه مذهبا ودينا..».[1] فتأمل معي أيها القارئ مدى تبنّي الشّيخ "ابن باديس" لأصول المتكلّمين في هذه المسألة، حيث رفض جواز تخصيص عموم القرآن،

---

[1] (الحديث حجّة بنفسه في العقائد والأحكام) لشيخنا العظيم فقيد الأمّة جمعاء الشّيخ "الألباني" رحمه الله، [ص 39 – 40].

بخبر الواحد، كما رفض الاستدلال به في أمر عقدي إذ هو متعلّق بأمر غيبي لا يعلمه إلاّ الله تعالى، وهو حال والدي النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم في الآخرة أهما من أهل النّار أم من أهل الجنّة، والنّبيّ نفسه صلّى الله عليه وسلّم ما كان ليعلم ذلك، لولا إخبار الله تعالى له لأنّه عليه الصّلاة والسّلام (وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى).[2]

فما دام الحديث صحّ عنه صلّى الله عليه وسلّم وجب الأخذ به سواء كان من المتواتر أو الآحاد.

أمّا عن تأويل حديث الرّجل الّذي سأل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن حال أبيه في الآخرة، وقال له الرّسول صلّى الله عليه وسلّم « إنّ أبي وأباك في النّار»، وحمل لفظ الأب على العمّ، ثّم شرح ذلك بأنّه لجبر خاطر الرّجل (كما أسلفت ذكره في مؤاخذتي الثالثة على "ابن باديس" رحمه الله)، فإنّ هذا التّأويل الفاسد مردود لاعتبارات كثيرة منها:

1. أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخبر الرّجل أنّ أباه في النّار وأب السّائل أيضا في النّار، وليس في كلامه ما يشير من قريب أو من بعيد إلى أنّه يقصد أبا طالب عمّه، لأنّ الرّجل جاء سائلا عن أبيه الّذي مات قبل بعثة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، كما دلّت عليه نصوص أخرى مشابهة لهذا الحديث، وأبو طالب أدرك النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام ولم يؤمن به رغم مؤازرته العظيمة له، فلكي يبيّن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم للرّجل حالا أخرى تشبه حالة أبيه ذكر والده عبد الله، وهذا ليبيّن عدل الله عزّ وجلّ وأنّه سبحانه وتعالى يدخل النّاس الّذين آمنوا به وبرسوله صلّى الله عليه وسلّم الجنّة برحمته، ويدخل الكافرين النّار ولو كانوا من أقارب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولو كان الدّاخل للنّار أباه أو أمّه.. ولا شكّ أنّ الرّجل انجبر خاطره ثقة في عدل الله تعالى وثِقة في تبليغ الرّسول الصّادق المصدوق لحال أبيه بأنّه في النّار رغم شدّة ذلك عليه صلّى الله عليه وسلّم، والرّسول صلّى الله عليه وسلّم لا يجامل أحدا في دين الله ولو كان أقرب النّاس إليه، وإنّما لا يخبر بأمر إلاّ بما أوحى الله له وخاصّة مثل هذه المغيبات الّتي لا يعلمها إلاّ خالق السّموات والأرض..

2. نفرض جدلا أنّ الأمر خاصّ بأبي طالب فماذا يفعل "ابن باديس" وغيره بإخبار النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن حال أمّه؟ كيف سيشرَحُه آنذاك وأيّ تأويل سيجد له؟

3. أنّنا لسنا أرحم من النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم بوالديه، وأنّه عليه الصّلاة والسّلام تمنّى لو أنّ والديه كانا في الجّنة، ولكنّه حاشاه أن يعترض على حكم الله العدل سبحانه وتعالى والّذي قضى بإدخال والديه إلى النّار لأنّ الله تعالى هو العليم الخبير.

4. أنّ والديّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم كافران بلا شكّ، وليسا من أهل الفترة وإنّما كانا كبقية مشركي العرب، ولو كانا مسلمين لّما دخلا النّار خالدين فيها أبدا، لأنّه كان

[2] سورة النّجم، [الآية 3 و4].

بإمكانهما أن يكونا مثل الّذين كانوا على التّوحيد قبل بعثة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مثل ورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقسّ بن ساعدة وغيرهم من الّذين كانوا مؤمنين قبل البعثة.. فكان بوسع والدي المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن يسعهما ما وسع هؤلاء الثّلاثة الّذين نجوا من عقيدة الشّرك والوثنيّة والخرافة.

5. أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يُقبل منه حتى الاستغفار لأمّه بدليل الحديث الّذي صحّ عن أبي هريرة رضيّ الله عنه قال : « زار النّبيّ قبر أمّه، فبكى وأبكى مّن حوله، فقال : استأذنتُ ربّي في أن أستغفر لها، فلم يُؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنّها تذكّر الموت» [1]، والحديث الثّاني في شأن والدة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم هو : عن بُرَيْدة رضيّ الله عنه قال : "كنّا مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم [في سفر، و في رواية : في غزوة الفتح]، فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب، فصلّى ركعتين، ثمّ أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان، فقام إليه عمر بن الخّطاب ففداه بالأب والأمّ، يقول يا رسول الله مالَكَ ؟ قال : إنّي سألتُ ربّي عزّوجلّ في الاستغفار لأُمّي، فلم يأذنْ لي، فدمعت عيناي رحمة لها من النّار، [واستأذنت ربّي في زيارتها فأذن لي]، وإنّي كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ولْتَزِدْكم زيارتُها خيرا"[1]، فإذا لم يقبل منه الاستغفار لأمّه فكيف تكون أمّه من أهل الفترة والحديث يخبرنا بخلاف ذلك..وكذلك الحال بالنّسبة لحال والده صلّى الله عليه وسلّم في أحاديث أخرى.. وبهذا يُعلم أنّه من الحقّ الّذي ينبغي نشره أنّ المسلم مطالب بالإيمان بأنّ أبويّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في النّارمثلما أخبرنا ابنهما صلّى الله عليه وسلّم عنهما رغم أنّه أبرّ النّاس بهما وأكثر النّاس حبّا لهما بدليل أنّه بكى عليه الصّلاة والسّلام لمّا لم يأذن الله له في الاستغفار لأمّه، ولذلك أمّتنا ليست بحاجة إلى نسج الأساطير والأحاديث المكذوبة عنه صلّى الله عليه وسلّم من أنّ الله تعالى سيحي والديّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وسيأمرهما بالشّهادتين وسينطقان بهما فيدخلهما الله الجنّة تكريما لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم، فهذه الخرافات والأحاديث الواهية وأمثالها تنافي الحقّ الّذي نطق به الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في مسألة حال والديه في الآخرة وكان على الشّيخ "ابن باديس" أن يبتعد عن تلك التأويلات العجيبة وأن يجتنب الأصول الخلفيّة في ردّ حديث الآحاد ومنع جواز أن يكون مخصّصا لعموم الآيات القرآنية

---

[1] أخرجه مسلم [65/3] وأبو داود [72/2] والنّسائي [286/1] وابن ماجه [476/1]، والطّحاوي [189/3] وابن حبّان (3159 . الإحسان]، والحاكم [375/1 . 376] وعنه والبيهقي [76/4]، وأحمد [441/2]، وأورد هذه التّخريجات الشّيخ العلاّمة "الألباني" رحمه الله في كتابه العظيم (أحكام الجنائز وبدعها) [ص 238].

[1] أخرجه أحمد [355/5 و357 و359] وابن أبي شيبة [139/4] و الرّواية الأخرى لهما وإسنادها عند ابن أبي شيبة صحيح، والحاكم [376/1] وكذا ابن حبّان [791]، والبيهقي [79/4]، والزّيادة الأولى لها والرّواية الأخرى فيها لمن سبق ذكره والزّيادة الأخرى للحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذّهبي وهو كما قالا..راجع هذا الحديث في (أحكام الجنائز) "للألباني" رحمه الله [ص 238] أيضا..

لأنّ هذه الأفكار ومثيلاتها من ترهات الخلف، وكان عليه أن يلزم منهج السّلف فينجو بذلك من الانحراف في موضوع فصّل فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لصحابته ففهموه منه حقّ الفهم وعلموا أنّ الله تعالى يعذّب من يشاء بعدله ويرحم من يشاء بفضله لأنّه تعالى لا يُسأل عمّا يفعل ومن حسن سلامة المعتقد أن نلزم قاعدة التّسليم والاستسلام حتّى ننال رضوان الله تعالى فهذه المسألة أخطأ فيها "ابن باديس" رحمه الله وليس هناك عذر له في هذا المقام لأنّه علِم الحديث وردّه بحجّة أنّه آحاد وردَ متنه بتأويله تأويلا فاسدا ما ورد عند علمائنا المحققين.

من المسائل الّتي أخطأ فيها الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله ووقف فيها موقفا مُبايّنا لمواقف علمائنا السّلفيين موقفه من التّوسل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، حيث أجاز هذا العمل الشّركي الّذي لم يعرفه صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وممّا لا شكّ فيه أنّ مسألة التّوسّل هذه ليست من صغار المسائل الّتي يجوز فيها تعدّد الآراء والاجتهادات، بل هي مسألة واضحة أعطى لها العلماء السّلفيّون الحقيقيّون حقّها من الشّرح والبيان، فها هو الإمام العلاّمة مجدّد السّلفية في زمانه الشّيخ "ابن عبد الوهاب" يعطي لهذه المسألة حجمها في العديد من مؤلّفاته، ولم يعتبرها من المسائل الّتي يجوز فيها الخلاف والاختلاف، وسار فيها على درب شيخ الإسلام "ابن تيميّة" وتلميذه "ابن القيّم" رحمهما الله، كما سار على درب هؤلاء كلّ علماء الدّيار السّعودية الّذين ألّفوا مئات الرّسائل في الرّد على شبهات المتوسّلين بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو بجاهه، أمّا الشّيخ العلاّمة "الألباني" رحمه الله، فقد أفرد لهذه المسألة كتابا كاملا سمّاه (التّوسّل : أنواعه وأحكامه) ذكر فيه الأدلّة القاطعة على عدم جواز هذا الأمر..أمّا الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" رحمه الله، فقد تكلّم عن هذه المسألة في مواطن عديدة، فعرفت من خلال تتبّع كلامه أنّه يبيح التّوسّل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع الإشارة فقط إلى عدم استحبابه، وكان الواجب عليه أن يقطع بعدم الجواز، ولا يفتح المجال لأيّ إباحة في هذا الموضوع، لأنّه من الأمور الّتي أكثر فيها علماؤنا الكلام قديما وحديثا وقد بيّنوا خطورتها للنّاس..قال الشّيخ "ابن باديس" في معرض حديثه عن التّوسّل شارحا حديث الأعمى وحديث الأعمى هو :

« عن عثمان بن حنيف أنّ رجلا ضرير البصر أتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال : ادع الله أن يعافيني قال : إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخّرت ذاك فهو خير، (وفي رواية : وإن شئت صبرت فهو خير لك)، فقال : ادعه فأمره أن يتوضّأ، فيحسن وضوءه، فيصلّي ركعتين ويدعو بهذا الدّعاء، اللّهم إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمّد نبيّ الرّحمة، يا محمّد إنّي توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي هذه، فتقضى لي، اللّهم فشفّعه فيّ [وشفّعني فيه]. قال : ففعل الرّجل، فبرأ..[1] ..قلت : قال "ابن باديس" عند شرحه لهذا الحديث : (لم

---

[1] قال الشّيخ "الألباني" رحمه الله في تخريج هذا الحديث : أخرجه في المسند [138/4]، ورواه التّرمذي [271/4 . 282] بشرح التّحفة وابن ماجه [418/1]، والطّبراني في الكبير [2/2/3] والحاكم [313/1]، كلّهم من طريق عثمان بن عمر (شيخ أحمد فيه) : حدّثنا شعبة عن أبي جعفر المدني قال : سمعت عمارة بن خزيمة يحدّث عن عثمان به، وقال التّرمذي : "حسن صحيح غريب"، وفي ابن ماجه عقبة : قال أبو إسحاق : حديث صحيح ثمّ رواه أحمد : ثنا شعبة به، وفيه الرّواية الأخرى وتابعهُ محمّد بن جعفر ثنا شعبة

يدع الأعمى النّبيّ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، ولم يسأله أن يشفيه هو لأنّ الدّعاء لقضاء الحوائج وكشف البلايا ونحو ذلك هو العبادة، وفي حديث النّعمان بن بشير المرفوع : (الدّعاء هو العبادة) رواه أحمد وأصحاب السّنن، والعبادة لا تكون إلاّ لله لم يدعه لا وحده ولا مع الله لأنّ الدّعاء لا يكون إلاّ لله، وهذا بخلاف ما يفعله الجهّال والضّلال من طلبهم من المخلوقين من الأحياء والأموات أن يعطوهم مطالبهم ويكشفوا عنهم بلاياهم، وإنّما سأله أن يدعو الله تعالى أن يُعَافيه وهذا جائز أن يسأل المؤمن من أخيه في حال حياته أن يدعو الله تعالى له، ومن هذا حديث البخاري في سؤال أم أنس بن مالك من النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يدعو لأنس خادمه فدعا له، ومن هذا ما رواه التّرمذي وأبو دار عن عمر بن الخّطاب قال استأذنت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في العمرة فأذن لي وقال : اشركنا يا أخي في دعائك ولا تنسنا، زاد في رواية التّرمذي فقال كلمة ما يسّرني أنّ لي بها الدّنيا، يعني قوله اشركنا إلخ، ثمّ أنّه توسّل بذاته بحسب مقامه عند ربّه، وهذا على الوجه الأوّل من الوجهين المتقدّمين في فصل التّراكيب، أو توسّل بدعائه، وهذا على الوجه الثّاني منهما.. فمن أخذ بالوجه الأوّل قال يجوز التّوسّل بذاته، ومن أخذ بالوجه الثّاني قال : إنّما يتوسّل بدعائه، ثمّ إنّ من أخذ بالوجه الأوّل فهذا الدّعاء حكمه باق بعد وفاته كما كان في حياته، ومن أخذ بالوجه الثّاني لا يكون بعد وفاته لأنّ دعاءه إنّما كان في حياته لمن دعا له، فالوجهان المتقدّمان كما ترى هما مثار الخلاف

في جواز التّوسّل بذاته وعدم جوازه، فمن أخذ بالوجه الأوّل جوّز ومن أخذ بالثّاني منع..)[1]، وبعد عرضه للخلاف بين المجوّزين للتّوسّل في الوجه الأوّل والمانعين له في الوجه الثّاني يواصل الشّيخ "ابن باديس" كلامه سائلا ومجيبا في آن واحد بالطّريقة الآتية :

(سؤال : فإن قلت قد عرفنا القولين وعرفنا مدركهما فما هو الرّاجح عندك منهما ؟

به رواه الحاكم [519/1] وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذّهبي، وقد أعلّه بعضهم كصاحب "صيانة الإنسان" وصاحب "تطهير الجنان ص 37" وغيرهما بأنّ في إسناده أبا جعفر، قال التّرمذي (لا أعرفه إلاّ من هذا الوجه من حديث أبي جعفر، وليس الخطمي) فقالوا هو إذن الرّازي، وهو صدوق ولكنّه سيء الحفظ، قلتُ (أي الشّيخ "الألباني" دائما) : ولكن هذا مرفوع بأنّ الصّواب أنّه الخطمي نفسه وهكذا نسبه أحمد رواية له [38/4] وسمّاه في أخرى (أبا جعفر المدني)، وكذلك سمّاه الحاكم..والخطمي هذا لا الرّازي هو المدني، وقد ورد هكذا في (المعجم الصّغير) للطّبراني وفي طبعة بُولاق من سنن التّرمذي أيضا، ويؤكّد ذلك بشكل قاطع أنّ الخطمي هذا هو الّذي يروي عن عمارة بن خزيمة ويروي عنه شعبة كما في إسناده هنا وهو صدوق، وعلى هذا فالإسناد جيّد لا شبهة فيه..

راجع هذا التّخريج في كتاب "التّوسل أنواعه وأحكامه" لعلاّمة العصر "الألباني" رحمه الله [ص 67 . 68].

[1] (مجالس التّذكير من حديث البشير النّذير) [ص 42].

جوابه : الرّاجح هو الوجه الأوّل الّذي يجيز التّوسّل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم نظرا لمقامه العظيم عند ربّه لوجهين، الأوّل : أنّ ذلك هو ظاهر اللّفظ ولا موجب للتّقدير ولا منافاة بين أن يكون في قوله أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك وقوله إنّي توجّهت بك قد سأل بذاته، وفي قوله اللّهم شفّعه فيّ قد سأل قبول دعائه له وسؤاله..والثّاني أنّه لمّا كان جائزا السّؤال من المخلوقين بما له مقام عظيم عندهم فلا مانع من أن يسأل الله تعالى بنبيّه بحسب مقامه العظيم عنده)[2] ..ثمّ يبيّن "ابن باديس" موقف الصّحابة من التّوسّل بطريقة السّؤال والجواب فيقول :

(سؤال آخر : بعدما عرفنا رجحان سؤاله تعالى بالأسماء والصّفات والطّاعات، فهل ثبت عن الصّحابة سؤالهم وتوسّلهم بذاته ؟.

جوابه : لم يثبت عن واحد منهم شيء من ذلك فيما لدينا من كتب السّنة المشهورة بل ثبت عدولهم عن ذلك في وقت مقتضٍ له لو كانوا يفعلونه، وذلك في حديث استسقاء عمر بالعبّاس رضيّ الله تعالى عنهما. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أنس : أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطّلب فقال : اللّهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا، قال : فيسقون. ومعنى الحديث أنّهم كانوا يتوسّلون بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يدعو لهم في الاستسقاء ويدعون، ثمّ صاروا يتوسّلون بالعباس فيدعو لهم ويدعون، فالتّوسّل هنا قطعا بدعائهما لا بذاتهما.. ووجه الاستدلال بهذا الحديث على مرجوحية التّوسّل بالذّات : أنّ الصّحابة لم يقولوا في موقفهم ذلك : اللّهم إنّا نتوسّل إليك بنبيّنا أيّ بذاته ومقامه، بل عدلوا عن ذلك إلى التّوسّل بالعبّاس يدعو لهم ويدعون كما كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يفعل في الاستسقاء، ولقد استدلّ بعضهم بعدول الصّحابة عن التّوسل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في هذا المقام على منعه، ونحن لما بيّنا قبل من دليل جوازه إنّما نستدلّ بِعُدولِهم على مرجوحيته).[1]

إذن بيّن الشّيخ "ابن باديس" بكلّ وضوح معتقده في مسألة التّوسّل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فعرض الخلاف في بداية الأمر، ثمّ رجّح جواز التّوسّل مستدلا بحديث الضّرير المذكور سابقا، ثمّ عرض موقف الصّحابة رضيّ الله عنهم وبيّن أنّهم لم يتوسّلوا لله تعالى أبدا بذات المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ـ وهذا حقّ لا ريب فيه ـ ثمّ نفى أن يكون فعل الصّحابة رضيّ الله عنهم في ردّهم التّوسّل بذات الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ـ دليل على عدم الجواز بل قطع بأنّ في ذلك الفعل الدّليل على عدم استحباب ذلك فقط.. وهذا

---

[2] (مجالس التّذكير من حديث البشير النّذير) [ص 43].

[1] (مجالس التّذكير من حديث البشير النّذير) [ص 45 و 46].

الّذي أورده الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله فيه حقّ وفيه باطل، فأمّا الحقّ في كلامه فقوله : بأنّ الصّحابة رضي الله عنهم لم يلجأوا إلى التوسّل بالذات الشريفة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولو مرة في حياتهم، وهذا حقّ لا مرية فيه، وأمّا الباطل في كلامه فاستدلاله بحديث الأعمى الضّرير على جواز التّوسّل، وجزمه بأنّ الأعمى توسّل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ قطعه في الأخير بأنّ فعل الصحابة في ترك التوسّل بالذّات إنّما هو دليل على مرجوحيته ومع ذلك أصرّ على جوازه في النّهاية كما أنّه ألحق بجواز التوسّل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم جوازا خطيرا والمتمثل في جواز التوسّل بذوات الأولياء والصالحين فقال : (وأنّ التوسّل بذات غيره من أهل المكانة المحقّقة له وجه في القياس)[2] فزاد الطين بلّة كما يقولون، حيث فَسح المجال لمجوزي التوسّل أن يعتقدوا بذلك أنّ المسألة فرعية يجوز فيها الخلاف وليست من المسائل العقدية، مع أنّ الأمر عكس ذلك تماما، فقد سئل الشّيخ العلاّمة "صالح الفوزان" عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السّعودية عن هذه المسألة هل هي من المسائل الفرعية أم من المسائل العقدية المهمّة، فكان جوابه كما يلي: (وصلتني رسالتكم الّتي طلبتم فيها الإجابة عن أسئلة في العقيدة وهي أولا: هل التوسّل بالمخلوقين أوحقّهم أو جاههم يعتبر أمرا مبتدعا ووسيلة من وسائل الشرك، والخلاف فيه يعتبر خلافا في مسائل العقيدة لا في مسائل الفروع لأنّ الدعاء أعظم أنواع العبادة ولا يجوز فيه إلاّ ما ورد في الكتاب والسنّة، ولم يرد في الكتاب والسنّة السؤال بالمخلوقين أوحقّهم أوجاههم، وإنّما ورد الأمر بدعاء الله مباشرة من غير توسّط بأحد من خلقه «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم»،« فادعوا الله مخلصين له الدين»، وإذا انضاف إلى التوسّل بالمخلوق التقرّب إليه بشيء من القربات كالذّبح له والنذر له فهذا شرك أكبر كما قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لايضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» الأية..ولمّا كان الدّعاء أعظم أنواع العبادة، والعبادة توقيفية فإنّه لا يجوز أن يدعى الله سبحانه وتعالى إلاّ بالكيفية الواردة في الكتاب والسنّة، وليس في تلك الكيفية التّوسّل بالمخلوقين أوحقّهم أو جاههم في الدّعاء فيكون بدعة وكلّ بدعة ضلالة..والله أعلم)[1] ، وهذا الّذي ذكره الشّيخ "الفوزان" هو نفسه ما تواتر نقله عن جميع علماء المملكة العربية السّعودية الكبار البلد الّذي يعمل علماؤه باليل والنّهار على نشر التّوحيد فمنهم من قضى نحبه كالشّيخين العظيمين الجليلين "ابن باز" و"العثيمين" رحمهما الله، ومنهم من لا يزال إلى يومنا هذا واقفا كالطّود الشّامخ في وجوه المبتدعة الّذين أجازوا التّوسّل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبذات غيره من الصّالحين من باب القياس، فأدخلوا بعملهم هذا شرا كبيرا على العقيدة وخاصّة في مسألة الدّعاء الّذي يعتبر أعظم أنواع العبادة كما أشار إلى ذلك الشّيخ العلاّمة "الفوزان" في جوابه.. لذلك لا يمكن أن نتساهل في مسألة التّوسّل أيضا لأنّها مسألة في غاية الأهميّة كيف لا وهي عقدية محضة ؟! أمّا الشّيخ "الألباني" رحمه الله

---

[2] (مجالس التّذكير من حديث البشير النّذير) [ص 47].

[1] (وقفات مع كتاب للدّعاة فقط) . للشّيخ "محمّد بن سيف العجمي"..

فقد ردّ على المستدلين بحديث الضّرير على جواز التوسّل بكلام نفيس أنقله كما ذكره :
(يرى المخالفون أنّ هذا الحديث يدلّ على جواز التّوسّل في الدّعاء بجاه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أوغيره من الصّالحين، إذ فيه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم علّم الأعمى أن يتوسّل به في دعائه، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيرا..

وأماّ نحن فنرى أنّ هذا الحديث لا حجّة لهم فيه على التّوسّل المختلف فيه، وهو التّوسّل بالذّات، بل هو دليل آخر على النّوع الثّالث من أنواع التّوسّل المشروع الّذي أسلفناه، لأنّ توسّل الأعمى إنّما كان بدعائه والأدلّة على ما نقول من الحديث نفسه كثيرة، وأهمّها :

أوّلا : أنّ الأعمى إنّما جاء إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليدعو له، وذلك قوله : (ادع الله أن يعافيني)، فهو قد توسّل إلى الله تعالى بدعائه صلّى الله عليه وسلّم، لأنّه يعلم أنّ دعاءه صلّى الله عليه وسلّم أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التّوسّل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أو جاهه أو حقّه لما كان ثمّة حاجة إلى أن يأتي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويطلب منه الدّعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربّه بأن يقول مثلا : (اللّهم إنّي أسألك بجاه نبيّك ومنزلته عندك أن تشفيني، وتجعلني بصيرا، ولكنّه لم يفعل، لماذا ؟ لأنّه عربيّ يفهم معنى التّوسل في لغة العرب حقّ الفهم، ويعرف أنّه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم المتوسّل به، بل لا بدّ أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصّلاح والعلم بالكتاب والسّنة، وطلب الدّعاء منه له..

ثانيا : أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعده بالدّعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم : "إنّ شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك"، وهذا الأمر الثّاني هو ما أشار إليه صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الّذي رواه عن ربّه تبارك وتعالى أنّه قال : (إذا ابتليت عبدي بحبيبته ـ أي عينيه ـ فصبر، عوّضته منهما الجنّة) ـ رواه البخاري عن أنس رضيّ الله عنه، وهو مخرّج في الصّحيحة (2010).

ثالثا : إصرار الأعمى على الدّعاء وهو قوله : "فادع" فهذا يقتضي أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم دَعَا لهُ، لأنّه صلّى الله عليه وسلّم خير من وفىَ بما وعد، وقد وعده بالدّعاء له إن شاء كما سبق، فقد شاء الدّعاء وأصرّ عليه، فإذن لابدّ أنّه صلّى الله عليه وسلّم دعا له، فثبت المراد، وقد وجّه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الأعمى بدافع من رحمته وبحرص منه على أن يستجيب الله تعالى دعاءه فيه، وجّهه إلى النّوع الثّاني من التّوسّل المشروع، وهو التّوسّل بالعمل الصّالح، ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضّأ ويصلّي ركعتين ثمّ يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدّمها بين يدي دعاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم له وهي تدخل في قوله تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة)، كما سبق،

وهكذا لم يكتف الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بدعائه للأعمى الّذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله سبحانه وتعالى وقربة إليه، ليكون الأمر مكتملا من جميع نواحيه، وأقرب إلى القبول والرّضا من الله سبحانه وتعالى) [1]..إذن لا حجّة لمبيحي التّوسّل بحديث الأعمى لأنّ حديث الأعمى حجّة عليهم لا لهم، لأنّ مداره حول نوع من أنواع التّوسّل المشروع، وهذه الأنواع المشروعة هي :

أ ـ التّوسّل إلى الله عزّوجلّ باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا.

ب ـ التّوسّل لله تعالى بعمل من الأعمال الصّالحة الّتي قام بها الدّاعي.

ج ـ التّوسّل إلى الله تعالى بدعاء الرّجل الصّالح الّذي يعتقد فيه الصّلاح والتّقوى، فالحديث فيه إشارة إلى النّوع الأخير من أنواع التّوسّل المشروع، وليس فيه دليل الجواز لا من قريب ولا من بعيد فلا حجّة "لابن باديس" رحمه الله في إباحة التّوسّل لا بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ولا بذوات غيره من الصّالحين والأتقياء، ولا حجّة لمن يتساهل مع "ابن باديس" رحمه الله في هذا الخطأ من النّاحية العلميّة، لأنّ دعوتنا السّلفية ضوابطها واضحة وخطوطها متينة وفحواها صلب، ومعاييرها منضبطة، لا تداهن لا هذا ولا ذاك، فالأخطاء تبيّن للنّاس حتّى لا ينخدع بها أحد أمّا السّرائر والنّوايا فلا يعلمها إلاّ الله تعالى، فالمحاسبة هنا علمية وليست حكما على النّاس أفي جنّة النّعيم هم أم في النّار لأنّ منهجنا ليس خارجيّا والعياذ بالله، فالحذر الحذر من أن يشكّ شاك من أنّني أحكم على الشّيخ "ابن باديس" ـ أو غيره من المسلمين بعلمائهم وعوامهم ـ بأنّه في النّار من أجل خطأ مهما كان حجمه لأنّ هذه الأحكام ممّا لا يعلمها إلاّ الله تعالى، ومع ذلك أقول إنّ مسألة التّوسّل ليست هيّنة وليست صغيرة، ولذلك اهتمّ بها علماء دعوتنا وعقدوا لها فصولا في كتبهم، وبيّنوا التّوسّل المشروع الّذي منه التّوجه للرّجل الصّالح ليدعو الله تعالى (وهذا جائز في الدّنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حيّ يجالسك ويسمع كلامك وتقول له ادع الله لي، كما كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسألونه في حياته، وأمّا بعد موته فحاشا وكلاّ أنّهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السّلف على من قصد الله عند قبره، فكيف دعاؤه بنفسه صلّى الله عليه وسلّم)[2]، وممّا لا شكّ فيه أنّ المتوسّلين لله تعالى بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فتحوا المجال لفعل ذلك ليس في دعائهم فحسب بل صاروا يتقصّدون قبره صلّى الله عليه وسلّم فيزيدون بذلك شركا على شرك والعياذ بالله تعالى، لذلك كان على الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله أن يغلق الباب بإحكام ولا يفتح مجال جواز التّوسّل لله بذات النّبيّ صلّى

---

[1] (التّوسل أنواعه وأحكامه) للشّيخ العلاّمة فقيد الأمّة "محمّد ناصر الدّين الألباني" رحمه الله [ص 68 . 69 . 70].

[2] كتاب (كشف الشّبهات في التّوحيد) للشّيخ العلاّمة مجدّد السّلفية في زمانه" محمّد بن عبد الوّهاب" رحمه الله، نقلا عن كتاب الجامع الفريد [ص 234].

الله عليه وسلّم لأنّه زيادة على مجانبته الصّواب في هذه المسألة من حيث الاستدلال، فإنّه يعلم أنّ هذا الجواز يفضي إلى شركيّات أخرى منها، تقديس قبره عليه الصّلاة والسّلام وشدّ الرّحال إليه والقسم بشبّاكه كما هو معروف عند العوام الّذين يقسمون بقولهم (حقّ شبّاك النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم).. فالواجب يتطلّب من العلماء غلق هذا الباب المفضي إلى الشّرك وزجر من يفعل ذلك لإعلاء راية التّوحيد بحقّ ونشر العقيدة الصّافية بدون كدر يعتريها أو دخن يمرّ بها..

رأي ابن باديس في مصطفى كمال " أتا تورك "

الدّارسون للتّاريخ المعاصر يعرفون بلا شك من هو "مصطفى كمال"، هذا الرّجل تولّى حكم تركيا بعد سقوط الخلافة العثمانيّة، وقد وضعه السّياسيون الغربيّون الماكرون خصّيصا لكي يكون حاكما في تركيا يقضي فيها على تعاليم الإسلام، وينقضها عروة عروة، وكان الرّجل عند حسن ظنّ الغرب الكافر به فبمجرّد تولّيه السّلطة واستيلائه عليها، عاثَ في حكمه فسادا وفرض أمورا هي من الكفر البواح بلا شكّ، فقد فرض على المرأة المسلمة في تركيا أن تتبرّج كليّة، وتدع اللّباس الشّرعي مهما كان نوعه، وفرض على الرّجال نزع العمائم واستبدالها بالقبعة الإفرنجيّة، و أحلّ الخمور ومنع الآذان وفتح أبواب الشّر بكلّ أنواعه، ورفض الحكم بما أنزل الله واستبدل شريعة الله بشرائع الغرب، ولم يترك سبيلا من سبل الفساد إلاّ وشجّعه وروّج له، ولم يبق لدين الله عزّوجلّ باقية في تركيا وسمّى نفسه (أتاتورك) أي نصّب نفسه أبا للأتراك، و"مصطفى كمال أتاتورك" كفّرهُ الكثير من علماء الإسلام، والّذي نجّاه منهم من وصفه بالكفر لم ينكر أنّه فاسق فاجر آثم، أي أنّ الرّجل عند العلماء أحد اثنين : إمّا كافر زنديق متّفق على كفره، وإمّا فاسق متميّع فاسد الدّين والخلق معا، وليس هناك من العلماء من زكّاه أو ذكره بخير، إلاّ من كان من جلاوِزَتِه والمتزلّفين إليه (أي علماء السّلطة)، وممّا يذكره بعض المؤرّخين المعاصرين أنّ "مصطفى كمال أتاتورك" كان من يهود "الدّونمة".. « والدّونمة كلمة تركية تعني : "الرّجوع أو العودة" وتطلق على مجموعة من اليهود الّذين عاشوا في الدّولة العثمانية وقريبا منها، ويرجع أصلهم إلى اليهود الإسبان الّذين هاجروا بسبب الاضطهاد إلى الدّولة العثمانية، حيث وجدوا الأمن و الاستقرار إلاّ أنّهم حاكوا المؤامرات والخطط لهدم الدّولة العثمانية من الدّاخل، فتسمّوا بأسماء إسلامية لتحقيق أغراضهم وحتّى لا ينبذهم المجتمع، وبرعوا في مجالات شتّى خاصّة المجالات الّتي تؤثّر في المجتمعات كالعمل في ميدان الاقتصاد والثّقافة والسّياسة، وما تزال الصّحافة التّركية واقعة تحت تأثيرهم حتّى وقْتِنَا الحاضر.. وقد تحقّق لهم إسقاط الخلافة الإسلاميّة العثمانيّة من خلال العمل على إنشاء الأحزاب العلمانيّة الّتي هدمت الدّولة كحزب الاتّحاد والتّرقّي وحزب تركيا الفتاة»[1]، وعلى الرّغم من أنّ الخلافة العثمانية لم تكن خلافة على منهاج النّبوة..أي أنّها لم تكن داعية

---

[1] (أضواء على الحركة الماسونيّة) "لسعيد عبد الله حارب"، [ص 76].

إلى سلامة المعتقد، وكانت دولتها وسيلة انتشار وذيوع للطّرق الصّوفية بكلّ ضلالاتِها، وكان قانونها متعصّبا للمذهب الحنفي لا للدّليل الشّرعي الصّحيح من كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، ولا يمكن وصفها لا من قريب ولا من بعيد بأنّها كانت وجها جميلا للإسلام الحقّ، وخاصّة من النّاحية العقدية، إذ كان حكّام الخلافة العثمانية بعيدين عن العقيدة السّلفية الصّحيحة بُعد السّماء عن الأرض، كانوا أعداء لدعوة التّوحيد الّتي عمّت الدّيار السّعودية، فهذه الحقيقة لا بدّ أن تُذكر عند الحديث عن السّلطة العثمانيّة وإلاّ سيكون الحديث عنها مكذوبا ومزوّرا، ومع ذلك فقد كان الغرب يعمل على سقوطها ويحسب لها ألف حساب كما يقال، ووجد ضالّته المنشودة في شخصيّة "أتاتورك" الّذي حقّق للأعداء كلّ أمانيهم من حيث إلغاء الشّريعة والدّعوة للفجور والزّندقة والفساد فعرفت تركيا في أيّامه شرّا مستطيرا، إذن "مصطفى كمال أتاتورك" لم يكن يوما حبيبا إلى أبسط متديّن فما بالنا بالعلماء الّذين يعرفون مقدار فساد هذا الرّجل ومقدار الشّر الذّي ألحقه بالشّعب التّركي المسلم، فكلّ العلماء إذا حدث وأن تكلّموا عنه يشيرون إلى تكفيره وخروجه عن الملّة، فإن لم يكفّروه أشاروا إلى أنّه من أشرّ الحكّام الّذين عرفهم القرن الميلادي السّابق، لأنّه كان وبالا حقيقيا على تركيا وعلى شعبها، وعلى شريعة الله تعالى الّتي رفض التزامها وغيّر فيها وبدّل وقنّ القوانين الّتي صفّق لها الغرب الملحد الكافر - بيَهُودِهم ونصارتهم وكفّارهم - طويلا..هذا هو "مصطفى كمال" أو "أتاتورك" كما سمّى نفسه. وفي خضمّ مطالعتي لكتب الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله وقف شعر رأسي كما يقال من مقال عجيب وغريب خطّته أنامل هذا الشّيخ، ولقد قرأت هذا المقال وكلّي دهشة وغرابة، فالشّيخ "ابن باديس" أشاد "بمصطفى كمال أتاتورك" ورثاه رثاءً حارا، ووصفه بأوصاف لا تليق إلاّ بحاكم عظيم مسلم متديّن يعمل بشريعة الله ويطبّقها على شعبه، وقبل ذلك على نفسه، ووالله لقد قرأت المقال وأعدت قراءته فوجدت نفسي أزداد دهشة على دهشة وغرابة واستغرابا، ولم أستطع أن أصدّق أنّ هذا الكلام يصدر من عالم يقود نهضة إصلاحية بأكملها، وحتّى لا أطيل على القارئ أنقل المقال بكامله ليقرأه كلّ منصف ويدلي فيه بدلوه، كتب الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله هذا المقال بعنوان : "مصطفى كمال رحمه الله.." وقال فيه ما نصّه :

« في السّابع عشر من رمضان المعظّم ختمت أنفاس أعظم رجل عرفته البشريّة في التّاريخ الحديث، وعبقريّ من أعظم عباقرة الشّرق، الّذين يطلعون على العالم في مختلف الأحقاب، فيحوّلون مجرى التّاريخ ويخلقونه خلقا جديدا.. ذلك هو "مصطفى كمال" بطل غاليبولي في الدّردنيل وبطل سقاريا في الأناضول، وباعث تركيا من شبه الموت إلى حيث هي اليوم من الغنى والعزّ والسّمو..وإذا قُلنا بطل غاليبولي، فقد قلنا قاهر الأنكليز أعظم دولة بحرية الّذي هزمها في الحرب الكبرى شرّ هزيمة لم تعرفها في تاريخها الطّويل..وإذا قلنا بطل سقاريا فقد قلنا قاهر الأنكليز، وحلفائهم من يونان وطليان وافرنسيّين بعد الحرب الكبرى، ومجليهم عن أرض تركيا بعد احتلال عاصمتها والتهام أطرافها وشواطئها..وإذا قلنا باعث تركيا فقد قلنا باعث الشّرق الإسلامي كلّه، فمنزلة تركيا الّتي تبوأتها من قلب العالم الإسلامي في قرون عديدة هي منزلتها فلا عجب أن يكون بعثه مرتبطا ببعثها.. لقد

كانت تركيا قبل الحرب الكبرى هي جبهة صراع الشّرق إزاء هجمات الغرب، ومرمى قذائف الشَّرَهِ الاستعماري والتّعصب النّصراني من دول الغرب، فلمّا انتهت الحرب وخرجت تركيا منها مهشّمة مفكّكة، تناولت الدّول الغربيّة أمم الشّرق الإسلامي تمتلكها تحت أسماء استعماريّة ملطّفة، واحتلّت تركيا نفسها واحتلّت عاصمة الخلافة وأصبح الخليفة طوع يدها وتحت تصرّفها، وقال الماريشال اللّونبي[1] ـ وقد دخل القدس ـ "اليوم انتهت الحروب الصّليبيّة"..فلو لم يخلق الله المعجزة على يد "كمال" لذهبت تركيا وذهب الشّرق الإسلامي معها، ولكنّ "كمالا" الّذي جمع تلك الفلول المبعثرة فالتفّ به إخوانه من أبناء تركيا البررة ونفخ من روحه في أرض الأناضول حيث الأرومة التّركية الكريمة وغير ذلك الشّعب النّبيل، وقاوَم ذلك الخليفة الأسير وحكومته المتداعيّة، وشيوخه الدّجالين من الدّاخل، وقهر دول الغرب وفي مقدّمتها إنكلترا من الخارج..لكنّ "كمالا" هذا أوقف الغرب المغير عند حدّه وكبح من جماحه وكسر من غلوائه، وبعث في الشّرق الإسلامي أمله وضرب له المثل العالي في المقاومة والتّضحية فنهض يكافح ويُجاهد، فلم يكن "مصطفى" محي تركيا وحدها بل محي الشّرق الإسلامي كلّه. وبهذا غيّر مجرى التّاريخ ووضع للشّرق الإسلامي أساس تكوين جديد، فكان بحقّ ـ كما قلنا ـ من أعظم عباقرة الشّرق العظام الّذين أثروا في دين البشرية ودنياها من أقدم عصور التّاريخ.

إنّ الإحاطة بنواحي البحث في شخصيّة "أتاتورك" (أبي التّرك) ممّا يقصر عنه الباع ويضيق عنه المجال، ولكنّني أرى من المناسب أومن الواجب أن أقول كلمة في موقفه إزاء الإسلام، فهذه هي النّاحية الوحيدة من نواحي عظمة "مصطفى أتاتورك" الّتي ينقبض لها قلب المسلم ويقف متأسّفا ويكاد يولّي "مصطفى" في موقفه هذا الملامة كلّها حتّى يعرف المسؤولين الحقيقيين الّذين أوقفوا "مصطفى" ذلك الموقف..فمن هم هؤلاء المسؤولون ؟.. المسؤولون هم الّذين كانوا يمثّلون الإسلام وينطقون باسمه، ويتولّون أمر النّاس بنفوذه، ويعدّون أنفسهم أهله وأولى النّاس به، هؤلاء هم خليفة المسلمين، شيخ إسلام المسلمين ومن معه من علماء الدّين، شيوخ الطّرق المتصوّفون، الأمم الإسلامية الّتي كانت تعدّ السّلطان العثماني خليفة لها، أمّا خليفة المسلمين فيجلس في قصره تحت سلطة الإنجليز المحتلّين لعاصمته ساكنا ساكتا، أستغفر الله بل متحرّكا في يدهم تحرّك الآلة لقتل حركة المجاهدين بالأناضول، ناطقا بإعلان الجهاد ضدّ "مصطفى كمال" ومن معه، الخارجين عن طاعة أمير المؤمنين، وأمّا شيخ الإسلام وعلماؤه فيكتبون للخليفة منشورا يمضيه باسمه ويوزّع على النّاس بإذنه، وتلقيه الطّائرات اليونانيّة على القرى برضاه يبيح فيه دم "مصطفى كمال"، ويعلن خيانته ويضمن السّعادة لمن يقتله، وأمّا شيوخ الطّرق الضّالون وأتباعهم المنوّمون فقد كانوا أعوانا للإنجليز وللخليفة الواقع تحت قبضتهم يوزّعون ذلك المنشور ويثيرون النّاس ضدّ المجاهدين..وأمّا الأمم الإسلاميّة الّتي كانت تعدّ السّلطان العثماني خليفة

[1] هناك من يكتب اسمه الماريشال "اللّنبي"، وهذا الأخير من أعدى أعداء الدّين الإسلامي ومن أكبر المخطّطين لتدميره وتدمير أهله.

لها فمنها ـ إلاّ قليلا ـ من كانوا في بيعته فانتقضوا عليه ثمّ كانوا في صفّ أعدائهم وأعدائه، ومنها من جاءت مع مستعبديها حاملة السّلاح على المسلمين شاهرة له في وجه خليفتهم فأين هو الإسلام في هذه (الكليشيات) كلّها ؟ وأين يبصره "مصطفى" الثّائر المحروب، والمجاهد الموتور..منها ؟. لقد ثار "مصطفى كمال" حقيقة ثورة جامحة جارفة ولكنّه لم يكن على الإسلام وإنّما ثار على هؤلاء الّذين يسمّون بالمسلمين، فألغى الخلافة الزّائفة وقطع يد أولئك العلماء عن الحكم فرفض مجلّة الأحكام واقتلع شجرة زقّوم الطّرقية من جذورها، وقال للأمم الإسلاميّة عليكم أنفسكم وعليّ نفسي، لا خير في الاتّصال بكم ما دمتم على ما أنتم عليه، فكوّنوا أنفسكم ثمّ تعالوا نتعاهد ونتعاون كما تتعاهد وتتعاون الأمّم ذوات السّيادة والسّلطان. أمّا الإسلام فقد ترجم القرآن لأمتّه التّركية بلغتها لتأخذ الإسلام من معدنه، وتستقيه من نبعه، ومكّنها من إقامة شعائره فكانت مظاهر الإسلام في مساجده ومَوَاسِمه تتزايد في الظّهور عاما بعد عام حتّى كان المظهر الإسلامي العظيم يوم دفنه والصّلاة عليه تغمّده الله برحمته.. لسنا نبرّر صنيعه في رفض مجلّة الأحكام، ولكنّنا نريد أن يذكر النّاس أنّ تلك المجلّة المبنيّة على مشهور وراجح مذهب الحنفيّة ما كانت تسع حاجة أمّة من الأمم في كلّ عصر لأنّ الّذي يسع البشريّة كلّها في جميع عصورها هو الإسلام بجميع مذاهبه لا مذهب واحد أو جملة مذاهب محصورة كائنا ما كان وكائنة ما كانت. ونريد أن يذكر النّاس أيضا، أنّ أولئك العلماء الجامدين ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا غير ما عرفوه من صغرهم من مذهبهم وما كانت حواصلهم الضّيقة لتتسّع لأكثر من ذلك، كما يجب أن يذكروا أنّ مصر بلد الأزهر الشّريف مازالت إلى اليوم الأحكام الشّرعية ـ غير الشّخصيّة ـ معطّلة فيها، ومازال (كود) نابليون مصدر أحكامها إلى اليوم، ومازال الانتفاع بالمذاهب الإسلاميّة في القضاء ـ غير المذهب الحنفي ـ مهجورا كذلك إلاّ قليلا جدّا، نعم إنّ "مصطفى أتاتورك" نزع عن الأتراك الأحكام الشّرعية وليس مسؤولا في ذلك وحده وفي إمكانهم أن يسترجعوها متى شاءوا وكيفما شاءوا، ولكنّه رجع لهم حرّيتهم واستقلالهم وسيادتهم وعظمتهم بين أمم الأرض، وذلك ما لا يسهل استرجاعه لو ضاع، وهو وحده كان مبعثه ومصدره، ثمّ إخوانه المخلصون، فأمّا الّذين رفضوا الأحكام الشّرعية إلى (كود) نابليون فماذا أعطوا أمّتهم ؟ وماذا قال علماؤهم ؟ فرحم الله "مصطفى" ورجح ميزان حسناته في الموازين، وتقبّل إحسانه في المحسنين وإلى الأمّة التّركية الشّقيقة الكريمة الماجدة، الّتي لنا فيها حفدة وأخوال، والّتي تربطنا بها أواصر الدّين والدّم والتّاريخ والجوار، والّتي تذكر الجزائر أيّامها بالجميل وترى شخصها دائما ماثلا فيما تركت لها من مساجد، ومعاهد للدّين الشّريف والشّرع الجليل..إلى تركيا العزيزة نرفع تعازي الجزائر كلّها مشاركين لها في مصابها راجين لها الخلف الصّالح من أبنائها، ومزيد التّقدم في حاضرها ومستقبلها، وإلى هذا فنحن نهنّئها برئيس جمهوريتها الجديد (عصمت إينونو)، بطلا (إينونو) ومؤتمر لوزان وثنيّ "مصطفى كمال"، وإنّ في إجماعها على انتخابه لدليلا

على ما بلغته تركيا الكريمة من الرّشد في الحياة الّذي تبلغ به ـ إن شاء الله ـ من السّعادة والكمال، ما يناسب مجدها القدوس، وتاريخها الحافل بأعظم الرّجال وجلائل الأعمال».[1]

- (رمضان 1358هـ نوفمبر 1938م) -

هذا المقال العجيب مليء بالطّامات والمؤاخذات، والتصويبات تكون كالتّالي :

1. وصف الشّيخ "ابن باديس" "لمصطفى كمال أتاتورك" العلمانيّ الفاجر بأنّه أعظم رجل عرفته البشريّة في التّاريخ الحديث، وهذه مبالغة ما بعدها مبالغة، كما أنّها وصف لا يليق تماما برجل يعدّ واحدا من أفجر وأفسق الحكّام في القرن الميلادي الماضي، وواحدا من أعظم المعادين للإسلام عقيدة وشريعة وعبادة ومنهاجا.
2. عبارة "ابن باديس" (فيحوّلون مجرى التّاريخ ويخلقونه خلقا جديدا)، عبارة فيها خلل عقدي محض، فالخالق هو الله تبارك وتعالى ومن الغلوّ الصّوفي وصف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأنّه يخلق، فإذا كان هذا لا يجوز في حقّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا يجوز وصفه عليه الصّلاة والسّلام بأنّه يخلق فما بالنا بوصف الفاجر "كمال أتاتورك" بأنّه يخلق التّاريخ.. ومن المعلوم أنّ العبارة الّتي تحتوي على خلل لفظي يكون مؤدّيا إلى خلل عقدي لا بدّ من الوقوف عندها، والتّحذير من الوقوع فيها، سواء قصد المرء قوله أم لم يقصد، وقد انتقد الشّيخ "صالح بن عبد العزيز آل الشّيخ" الدّاعيّة "محمّد الغزالي" لمّا قال هذا الأخير في كتابه الطّامّة "السّنة النّبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث"، واصفا المصطفى صلّى الله عليه وسلّم (وهو في مجلسه الرّوحي : يوجّه ويربّي، ويخلق الجيل الّذي ينشئ حضارة أرقى وأتقى)، فانتقده الشّيخ (آل الشّيخ) قائلا : (فقوله "يخلق" لفظ صحفيّ يُشمُّ منه غلوّ، قاده إليه غلوّ البوصيري لمّا سمع أبياتا من "بُردته"..[2]، فالخلق ليس من شأنه صلّى الله عليه وسلّم، فكيف يصلح الملحد "مصطفى كمال أتاتورك" لأن يكون خالقا للتّأريخ..؟!..فالله هو وحده الخالق وليس لبشر قدرة في خلق ذباب..فغلوّ الشّيخ "ابن باديس" في مدح "مصطفى كمال" جعله يقع حتّى في مزالق عقدية ما تليق بشيخ مثله.
3. هل صمود "مصطفى كمال" أمام الإنجليز والإيطاليين واليونانيين والفرنسيّين هو المعيار الوحيد للحكم عليه بأنّه أعظم رجل عرفته البشريّة ؟ أليس هذا المعيار هو نفسه معيار الملاحدة، والشّيوعيين والعلمانييّن واليهود والنّصارى في الحكم على أبطالهم ؟ أليس الأجدر بالعالم المسلم أن تكون لديه ضوابط شرعية يعرف بها قيمة الحاكم ؟ أم أنّ العالِم المسلم بدوره أصبح منبهرا بالبطولات الزّائغة والحكايات البطولية المخترعة، فيصير

---

[1] آثار الإمام عبد الحميد "بن باديس"، [3 / من 122 إلى 125].

[2] المعيار لعلم "الغزالي" في كتابه (السّنة النّبويّة) للشّيخ "صالح بن عبد العزيز آل الشّيخ"، [ص 76].

عالِما مختلّ الموازين يحكم على الفاجر الكافر بأنّه بطل الأبطال ؟ إنّ العالِم حينما تضطرب المعايير عنده لا يستطيع أن يتحمّل مسؤولية إرشاد النّاس، وسيكون مضلّلا لا معلّما ولا مرشدا لهم إلى طريق الفلاح..إنّ المسلم الأميّ لمّا يقرأ هذا المدح الفائض من "ابن باديس" رحمه الله "لمصطفى كمال أتاتورك" لن يستطيع أبدا أن يضلّل الكفّار والملاحدة وسيحكم على هؤلاء بأنّهم أعظم الرّجال، كما تفعل شعوبنا اليوم في إعجابها الشّديد بهتلر وتشرشل وموسوليني وستالين وغيرهم من الكفّار، و"أتاتورك" في حربه الشّعواء على الدّين والمتديّنين يكاد يضاهي هؤلاء إن لم أقل يساويهم.

4. إنّ القارئ قد يجد عذرا "لابن باديس" لو كان هذا الأخير قد انخدع "بمصطفى كمال" في بداية ظهوره، ولكنّ الأمر غير كذلك لأنّ الشّيخ "ابن باديس" قدّم هذا المقال في رثاء "أتاتورك"، وهذا دليل على أنّه ظلّ معجبا به إلى آخر لحظة من لحظات حياته، ولو أنّ بي قوّة لنفيت عن "ابن باديس" هذا الكلام، وكنت أتمنّى أن يكون هذا المقال مدسوسا عليه أو نُسب إليه زورا وكذبا لهول ما فيه من تمجيد لحاكم علماني شديد العداوة لدين الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، ولكن أنىّ يتسنّى لي إثبات التّزوير؟ والمقال ثابت في كتاب جمع آثار "ابن باديس" ولم ينكر أيّ واحد من تلاميذه الّذين عاشوا بعده أنّ هذا ليس من كلامه، فيبقى الحال على ما ذكر آنفـا.

5. لو كان "ابن باديس" شخصيّة وطنيّة أو سياسية أو شاعرا من الشّعراء لقلنا بأنّه تغنّى بأمجاد "مصطفى كمال" على غرار هؤلاء، ولكنّ "ابن باديس" عالم هدفه خدمة الإسلام والمسلمين، وليس من خدمة الإسلام في شيء تزكيّة حاكم علمانيّ شديد الكره لتعاليم الإسلام، شديد البطش والتّنكيل بعلمائه حتى ولو كان هؤلاء العلماء من متعصبّة المذهب الحنفي..قلت : قد نجد أعذارا للشّعراء في مدحهم "لأتاتورك" لأنّ أغلبيّة الشّعراء ليسوا ذوي نَزعة دينيّة، فأمير الشّعراء العرب "أحمد شوقي" نظم قصيدة في مدح الخلافة العثمانيّة ومدح سلطانها عبد الحميد فقال :

رضـي الـمسـلـمون والإسـلام ❖ فرعَ عثمانَ دُمْ فِدَاك الدّوامُ

هل كلام العبـاد في الشّـمـس إلاّ ❖ أنّها الشّمسُ ليس فيها كلامُ؟

إيـهِ " عبد الحمـيـد " جلّ زمـان ❖ أنـت فــيــه خلـيـفـة وإمــام

و بمجرّد ما تولّى "مصطفى كمال أتاتورك" حكم تركيا، ورغم أنّه ألغى الخلافة العثمانيّة غَيّر "أحمد شوقي" موقفه وبادر إلى تأليف قصيدة في مدح "أتاتورك" قال فيها :

الله أكبر كَمْ في الفتح مـن عَجَب ❖ يـا خالد[1] التُّرك جَدِّدْ خالد العربِ

خُطاك في الحقّ كانت كلّها كَرَمَا ❖ وأنـت أكـرم فـي حَقْنِ الدَّمِ السَّرِبِ

فهذا مثال لأصحاب التّذبذب في المواقف والتقلب في الأحداث لأنّ هؤلاء ليس لديهم موازين شرعية تضبطهم وبالتّالي فهم يسيرون وراء كلّ ناعق حسب ما تمليه عليهم عقولهم القاصرة وأفهامهم الضّيّقة، أمّا الشّيخ "ابن باديس" فهو عالِم مسلم يقود جمعية العلماء في بلادنا، وكان عليه أن لا تأخذه بهرجة السّاسة المخادعين، وكان عليه أن يقدّم بحثا حول شخصيّة "أتاتورك" من الوجهة الصّحيحة لا الوجهة القوميّة ولا البطوليّة ولا السّياسية وإنّما من الوجهة الشّرعية فقط بأدلّة من كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم وبفهم السّلف الصّالح رضيّ الله عنهم..

6.قد يقول قائل إنّ هذا المقال فيه دليل على سلفية "ابن باديس" لأنّه كان ناقما على الخلافة العثمانيّة ذات العقيدة الصّوفية والتّعصّب الممقوت للمذهب الحنفي، ولكن إنكار التّصوف والتّعصب للمذهب لا يكون مقابله الفرح بتولّي "العلماني" المنكر للدّين وتعاليمه الحكم، فالخطأ لا يُقابَل بالخطأ، ولو خُيّر المرء بين شرّين لاختار خلافة السّلطة العثمانيّة على حكومة "أتاتورك" النّاقمة على دين الله عقيدة وشريعة، وكان بإمكان "ابن باديس" أن يشير إلى أخطاء الخلافة العثمانيّة ويبغض جنوحها لعقيدة التّصوف وصبّ الدّين في القالب الحنفي فقط، دون أن يهلّل فرحًا لاعتلاء "مصطفى كمال" الرّئاسة فضلا عن أن يجد له أعذارا لإلغائه العمل بالإسلام وتحكيم شريعته، لأنّ "مصطفى كمال" لم يبغض دولة الخلافة لأنّها ذات عقيدة صوفيّة ومتعصّبة لمذهب الأحناف، بل ألغاها وكَرِهَها كرها في الإسلام ككلّ وجحودا لتعاليمه ولأوامر ربّنا ورسولنا الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

7.قال "ابن باديس" (فلو لم يخلق الله المعجزة على يد "كمال" لذهبت تركيا وذهب الشّرق الإسلامي معها)، وهذا غلوّ ما بعده غلوّ، وكيف غفل "ابن باديس" على كون المعجزة خاصّة بالأنبياء والمرسلين عليهم السّلام فكيف تعطى المعجزة لواحِد من أفجر حكّام الأمّة الإسلاميّة في القرن الماضي..إنّ هذا والله من أعجب ما قرأت "لابن باديس" غفر الله لنا وله.

---

[1] تأمّل مبالغة "شوقي" كيف شبّه العلماني الفاجر "مصطفى كمال أتاتورك" إلى واحد من أعظم صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو خالد بن الوليد رضيّ الله عنه، وهذه مقارنة للثّرى بالثّريا، وشتّان شتّان أن يصلح ذلك المنافق لمشابهة خالد رضوان الله عليه.

8.كيف يزعم "ابن باديس" أنّ "مصطفى كمال أتاتورك" ثار ضدّ الخلافة العثمانيّة وليس على الإسلام فيقول : (لقد ثار "مصطفى كمال" حقيقة ثورة جامحة جارفة ولكنّه لم يكن على الإسلام وإ نّما ثار على هؤلاء الّذين يسمّون بالمسلمين فألغى الخلافة الزّائفة وقطع يد أولئك العلماء عن الحكم...)، كيف يزعم الشّيخ "ابن باديس" ذلك و"أتاتورك" أعطى للمسلمين درسا لن ينسوه في كرهه للإسلام كدين وليس للمسلمين فقط، فهل نزع الحجاب عن المرأة التّركية، وإلغاء الآذان ومنع اللّباس الإسلامي للرّجال وفرض القبعة الإفرنجيّة عليهم، والتّرويج للفساد بكلّ أنواعه وإلغاء التّعامل باللّغة العربيّة ولو كانت لقراءة القرآن الكريم ورفض تحكيم شريعة الله وتحكيم القوانين البشريّة كبديل لها وقتل المسلمين والتّنكيل بهم هل كلّ ذلك لا يعتبر كرها للإسلام ورفضا له ؟! إنّ هذا الكلام لابدّ وأنّه صدر من "ابن باديس" وهو في حالة هذيان، لأنّه من غير المعقول أن يزكّي عالم مسلم مثله شخصا مثل "مصطفى كمال" ؟ ولو زكّاه في ناحية من النّواحي الدّنيويّة لوجدت له الأعذار، ولكنّ "ابن باديس" زكّاه في كلّ جوانب شخصيّته وعدّه أعظم عبقريّ وأعظم رجل عرفه التّاريخ الحديث، وغاب عن "ابن باديس" أنّه حتّى البطولة المزعومة الّتي نسبت "لأتاتورك"، إنّما كانت خطّة مُسبقة من الغرب، وأنّها كانت مجرّد تمثيليّة لمساعدة الرّجل على الوصول إلى كرسيّ الحكم لأنّه حقّق للغرب الكافر كلّ ما يحلم به من تدمير للإسلام وإطاحة بشريعته...فأين إيجابيّات هذا العميل الخائن لدين الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم ؟ وهل يحقّ "لابن باديس" أن يعذره في حربه الشّعواء على الإسلام ؟ لا..يا شيخ "ابن باديس".. إنّ "مصطفى كمال" ليس أهلا لأيّ حرف واحد ممّا خطّه يَراعُكَ ولا لكلمة كتبتها يمينك، وهذا المدح لو وجّه لعالم متديّن لكان الحقّ معك ولكنّه وُجِّه لرئيس يعدّ من أكبر الشّانئين للإسلام في القرن الفارط وأخيرا أقول إنّ العالِم السّلفي ينبغي أن يكون دقيقا فيما يقول لأنّ كلامه ذو صدى عميق في نفوس المسلمين..وانظر إلى شيخنا العلاّمة "الألباني" كيف انتقد الجماعات المقاتلة في أفغانستان، وبيّن ضلال عقيدة الكثير من القادة هناك، وحذّر من المتصوّفة والشّيعة وحذّر من قادات الحركات المنحرفة كالإخوان المسلمين وغيرهم، ولكنّ انتقاده لهؤلاء لم يدفعه إلى طرفيّ نقيض، فانتقاده للموجودين في ساحة القتال لم يدفعه إلى تزكية حاكم أفغانستان الشّيوعي السّابق، بل بيّن ضلال هذا وذاك.. وقد بيّن علماؤنا الكبار أخطاء الأفغان المقاتلين باسم الإسلام دون أن يجنحوا إلى التّصفيق للدّولة الشّيوعية الّتي كانت تحكمهم.. فلا إفراط ولا تفريط والحقّ ليس مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، وهناك شرّ أهون من شرّ، والعالم السّلفي لا ينخدع بالبطولات المزعومة ولا بالزّعامات المكذوبة بل يعرف كيف يميّز جيّدا بين الغثّ والسّمين، و"ابن باديس" رحمه الله في هذا المقال جنى على نفسه وجنى على غيره من النّاس لأنّه بيّن "مصطفى كمال" في صورة الزّعيم النّموذجي، بينما الرّجل كان رمزا للحاكم الرّافض لتحكيم شريعة الله تعالى ومحاربتها بشتّى الطّرق والوسائل، وكان عدوّا لدودا للإسلام وليس للمسلمين فقط، ولهذا وجدت في نفسي نفورا كبيرا من هذا المدح العجيب، وبلا شكّ لن يلقى هذا المقال أيّ قبول وأيّ رواج عند

كلّ المسلمين الّذين قرأوا تاريخ "مصطفى كمال أتاتورك" وعرفوا عداوته الكبيرة لدين الله الواحد القهّار، وأعتقد أنّ الشّيخ "ابن باديس" ارتكب خطأ فظيعا بمثل ذلك الكلام المعسول الّذي وصف به "مصطفى كمال" والّذي لا يليق إلاّ لمن استحقّه حقّا من حكّام الأمّة الإسلامية وقليل ماهم..فلست أدري كيف سيدافع أنصار "ابن باديس" عنه في كتابته لذلك المقال الغريب ؟!..

ثناؤه على الشّيخ عمر المختار

من آراء "ابن باديس" الّتي احتجت إلى تسليط الأضواء عليها رأيه في الشّيخ "عمر المختار"، الّذي كتب عنه تحت عنوان : "سيّد الشّهداء ورأس الأبرار" ما يلي :

« رحمه الله رحمة واسعة، وحشره مع النّبيّين والصّديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا، اغتالت يد الطّغيان الاستعماري، بطلا من خيرة أبطال العرب ورأسا من أعظم رؤوسهم، ومجاهدا كان يقف في طليعة مجاهديهم، وصنديدا غالبته الأيّام فغلبها، وصارعته الحوادث فصارعَها، وحاربته دولة من أكبر دول الأرض بجنودها ودبّاباتها وطيّاراتها، فثبت أمامها ثبات الرّاسيات، متذرّعا بالإيمان متحصّنا بقوّة العزيمة معتدا بالله، ولطالما انتصر وظفر، ولطالما انكسر وانحدر، فما زاده النّصر إلاّ عزيمة وما زاده الانْدِحارُ إلاّ ثباتا، واعتكف على قتال المعتدين الظّالمين وحوش الاستعمار الإيطالي، فكان في حربهم شريفا مسلما، مستميت[1] ساعة الملحمة، رؤوف [2] حليم [3] ساعة وضع الحرب لأوزارها..ذلك هو سيّدي "عمر المختار" زعيم السّنوسيّين ببرقة، الّذي جاهد عشرين عاما دفاعا عن بيضة الإسلام وكرامة الوطن ضدّ الطّغاة المستعبدين، ولم تترك السّلطة الإيطاليّة من وسيلة سافلة وحشيّة إلاّ ارتكبتها لإخماد مقاومته، فأغلقت سائر زوايا السّنوسيّة في البلاد، و صادرت أملاكها ثمّ حصرت ثمانين ألفا من بقايا السّكان الّذين نجوا من المذابح وفظائع القتال الإيطالي، ضمن منطقة محاطة بالأسلاك الشّائكة كي لا يلتحقوا "بعمر المختار"، وأقامت على التّخوم المصريّة حراسة شديدة جدّا، كلّ ذلك وصنديد برقة

---

[1] مستميت : هكذا وردت في الكتاب والصّواب "مستميتا".

[2] رؤوف : هكذا وردت في الكتاب والصّواب "رؤوفا".

[3] حليم : هكذا وردت في الكتاب والصّواب "حليما".

رابض لا يأخذه في سبيل الله ضعف ولا وهن وكان يجول في ميادين القتال ممتطيّا صهوة جوادهِ الأدهم، وقد وهن عظمه ولم يتدارك الوهن قلبه، واشتعل رأسه شيبا واكتست لحيته لون القمر، وما استطاعت الثّمانون عاما الّتي قضاها في طاعة الله وجهاد في سبيله أن تقوّس له ظهرا أو تضع له هامة..إلى أن أقام له الإيطاليون كمينا، فأسروه إثر قتال عنيف وأبت الوحشيّة الإيطالية إلاّ أن تقيم برهانا جديدا على فقدها كلّ شرف وتجرّدها عن كلّ عاطفة نبيلة، فحكمت عليه حالا بالإعدام، ونفّذت ذلك الحكم رميا بالرّصاص.

ألا في سبيل تلك الرّوح الطّاهرة النّقيّة الّتي رجعت إلى ربّها راضية مرضيّة، تستنزل نقمته وسوط عذابه على أدناس الاستعمار الإيطالي المتكالبين، وما الله بغافل عمّا يعمل الظّالمون وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون»[1].. هذا المقال يحتاج إلى وقفات تكون كما يلي :

1) لقد بوّب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه[2] بابا قال فيه : (باب لا يقول: فلان شهيد)، وهذا أمر أصبح في متناول ألسنة الجميع، وهو خطأ شائع اعتقده بعض النّاس حقّا من كثرة رواجه، والحقّ أنّه لا ينبغي أن يشهد بالشّهادة إلاّ لمن شهد له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لأنّ الله تعالى هو وحده الّذي يعلم ما في قلب ذلك المجاهد من إخلاص، فقد يكون بعضهم قد خرج للقتال حميّة وبعضهم يكون قد قاتل من أجل العصبيّة القبليّة (أوالقوميّة بلغة العصر)، وبعضهم يكون قد خرج من أجل دنيا يصيبها أو بطولة يريد أن يشتهر أمرها بين النّاس، وبعضهم قد يخرج للقتال للرّياء والسّمعة والآخر من أجل منصب دنيوي، وغيرها كثير، ولذلك علّمنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ألاّ نشهد بالشّهادة إلاّ لمن شهد له هو صلّى الله عليه وسلّم، لأنّه يعلم بعض الأمور الغيبيّة الّتي يطلعه الله عزّوجلّ عليها بفضله ومنّه وكرمه، و قد نبّه الشّيخ العلاّمة المحدّث الفذّ "ناصر الدّين الألباني" رحمه الله عن التّساهل في إطلاق لفظ "الشّهيد فلان والشّهيد فلان في زماننا هذا في كتابه الرّائع "أحكام الجنائز وبدعها"[3] فراجعه فإنّه مهمّ.. هذا عن إطلاق لفظ "الشّهيد" بدون دليل، فما بال الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله يعدّ "عمر المختار" سيّد الشّهداء ؟ فهذه مخالفة وليست مسألة يجوز فيها الاجتهاد، وكان عليه أن لا يتساهل في القطع بأنّ "عمر المختار" شهيد فضلا عن أن يؤكّد ويجزم بأنّه سيّد الشّهداء.

2) من خلال تتبّعي لتزكيّات الشّيخ "ابن باديس" على بعض الشّخصيّات، لاحظت أنّه يثني على هذا ويثني على ذاك ويثني على الآخر، وقد تكون هذه الشّخصيات متضاربة متناحرة، أوعلى الأقلّ لا تجتمع في قلب واحد.. وقد ذكّرني موقفه هذا بمواقف زعماء الإخوان المسلمين، الّذين يزكّون الأشخاص بمقاييس مختلّة فتارة يصفّقون لهذا وتارة

---

[1] آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس"، [3 / 75 – 76].

[2] انظر الجزء السّادس [ص 89]، من صحيح البخاري.

[3] [ص 59] من الكتاب المذكور..

يصفّقون لمن يضاده وهكذا.. أمّا علماء السّلفية فنجد أنّ أحكامهم على فلان وعلاّن تكون وفق الضّوابط الشّرعية لأنّها أحسن الضّوابط وأفضلها على الإطلاق، ولا يمكن مقارنتها بضوابط أمشاج هجينة متناقضة.. وقد مرّ بنا في الفصل السّابق الّذي كتبته عن (أتاتورك) كيف أنّ الشّيخ "ابن باديس" فضّل حكم العلماني "مصطفى كمال أتاتورك"، وهلّل فرحا لقطع دابر الصّوفية من مشايخ الدّولة العثمانيّة، وفي هذا المقال يطنب "ابن باديس" هذا الإطناب البديع على بطل ليبيا "عمر المختار" دون أن يشير إلى فساد عقيدته، خاصّة وأنّ "عمر المختار" معروف بأنّه من كبار الصّوفية، فلماذا خصّه "ابن باديس" بهذه المكانة دون أن ينبّه القرّاء إلى أنّ الرّجل رغم شجاعته في مواجهة العدوّ الاستعماري الإيطالي متصوّف خالص ؟. بل ظهر الشّيخ "ابن باديس" وهو في قمّة حزنه على غلق الزّوايا السّنوسيّة حينما قال : «ولم تترك السّلطة الإيطاليّة من وسيلة سافلة وحشيّة إلاّ ارتكبتها لإخماد مقاومته فأغلقت سائر زوايا السّنوسيّة في البلاد وصادرت أملاكها...». فهذا تناقض من الشّيخ "ابن باديس" إذ أنّه إبّان فرحه باعتلاء (أتاتورك) السّلطة أظهر سروره لإسقاط دولة التّصوف، والآن يتحسّر على غلق الزّوايا السّنوسيّة والّتي كانت معقلا للتّصوّف وعشّا لبدعة الطّرائق والطّرقيّة، فما سرّ هذا التّناقض ؟

3) قد يقول قائل هناك تصوّف إيجابي وهناك تصوّف سلبي، وهذا التّعريف ممّا لا دليل عليه، وهو هراء جادت به قرائح المتصوّفة ليهوّنوا من خطورة معتقدهم الفاسد، ويتمكّنوا من التّغلغل في كيان الأمّة بانحرافاتهم وترهاتهم وأباطيلهم تحت لواء التّصوّف الطيّب أوالتّصوّف المقبول أوخدمة الجانب الرّوحي، وكأنّ الإسلام بعظمته خدم جانبا دون جانب، وهذا اعتداء على دين الله الّذي أخبرنا المولى أنّه أكمله وأتمّه بقوله عزّوجلّ : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» [1]، فليس هناك تصوّف إلاّ ودلّ على معنى من معاني الزّيغ والضّلال..

4) ومن هذا القبيل أي تتمة للنّقطة السّابقة، قد يعتقد البعض أنّ الطّريقة "السّنوسيّة" طريقة مقبولة وسائرة على الخطّ السّلفي، وهذه أكذوبة أخرى برمجها المنحرفون للتقريب بين السّنوسيّين والسّلفيين، رغم أنّ بعدهما في العقيدة والعبادة والمنهج كبعد السّماء عن الأرض، فزعيم السّنوسيّة صدرت في حقّه فتوى سلفيّة أصدرها علماء كبار عُرفوا بسلامة العقيدة والعبادة والتّصور والمنهج، (فهذا السّنوسيّ قد سُئل عنه أبناء الشّيخ "محمّد بن عبد الوهَاب"، والشّيخ "حمد بن ناصر بن معمر" رحمهما الله، فقال السّائل : السّنوسّي المغربي مصنّف السّنوسيّة المعروفة بـ "علم الصّفات"، فهل تنقمون عليه شيئا من ذلك...إلخ ؟ فكان جوابهم أنّ السّنوسّي ليس من أئمّة السّنة والجماعة، فإنّ أهل السّنة والجماعة هم الّذين نعتهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمّا ذكر أنّ بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة،

---

[1] سورة المائدة . [الآية 3].

وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النّار إلاّ واحدة، قالوا : من هي يا رسول اللّه ؟ قال : " من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"، والسّنوسيّ المذكور صنّف كتابه "أمّ البراهين" على مذهب الأشاعرة، وفيها أشياء كثيرة مخالفة ما عليه أهل السّنة، فإنّ الأشاعرة خالفوا ما عليه السّلف الصّالح في مسائل، منها : مسألة العلوّ ومسألة الصّفات، ومسألة الحرف والصّوت....إلخ جوابهم).[2]

5) إذن الشّيخ "ابن باديس" يحكم على الشّخصيات بمعيار البطولة والشّجاعة وخوض الحروب، ولا مانع عنده من تزكيّة العلماني "مصطفى كمال أتاتورك" لأنّه في نظره بطل الأناضول وغاليبولي، ولا مانع من تزكية "عمر المختار" لأنّه ثبت في وجه الإيطاليين، فإعجابه بالمرء يكون من خلال الإقدام والمواجهة، وليس بالإعجاب بمدى سلامة عقيدته وحسن متابعته واتّباعه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وللسّلف الصّالح الكرام رضوان الله عليهم.. وهذا الأمر يجعلني في شكّ مستمرّ من سلفيّة الشّيخ "ابن باديس" في حدّ ذاته، لأنّ البطولات والزّعامات والمواقف المتميّزة بالشّجاعة، ليست دليلا على حسن المعتقد عند الكثيرين.

6) لو أنّ الشّيخ "ابن باديس" عند إعجابه بشخص ما يبيّن للقُرّاء أنّ هذا الإعجاب محدود ومتوجّه إلى ناحية من نواحي الشّخصيّة الّتي يمدحها لكان له عذر في ذلك، ولكنّه صاحب قلم إذا أطلقه في المدح يمدح الشّخص في كلّ جوانبه، الأمر الّذي يجعل القارئ "لابن باديس" يحتار من شدّة إعجابه بأناس ليسوا على عقيدة صحيحة وعلى منهج السّلف..فأين سلفيّة "ابن باديس" في هذا المقام ؟.

7) شخصيّة الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله تبدو شخصيّة ثائرة في بعض المواطن أكثر منها دينيّة، فكثيرا ما نجده يهلّل للانتصارات والبطولات، بغضّ النّظر عن كون ذلك الإنسان صاحب عقيدة منحرفة أو منهج زائغ، وقد تقدّم فيما مضى كيف زكّى الشّيخ "ابن باديس" الشّيخ الإباضي "إبراهيم اطفيش" وأثنى عليه وعلى صلابة دينه دون أن يشير إلى ضلال مذهبه الإباضي المنشق عن الخوارج، لأنّ الإباضيّة فرقة من فرق الخوارج، ويكفي الإباضيّة ضلالا وانحرافا قولهم بخلق القرآن وقولهم بعدم رؤية الله تعالى في الآخرة، وتكفير مرتكب الكبيرة والقول بخلوده في النّار، ولكنّ "ابن باديس" استعان بهؤلاء في جمعيّته وقَبِلهم كأعضاء فعّالين، ومن أمثال هؤلاء الشيخ "إبراهيم بيّوض" أحد كبار علماء الإباضيّة في بلادنا، ولم ينكر عليهم جنوحهم لعقيدة ضالّة، ولم يثبت ذلك عنه ولا عن واحد من رجاله البارزين، وكذلك زكّى الحاكم العلماني المارق الهالك "مصطفى كمال أتاتورك" ولم يبيّن فظاعة عداوته للإسلام، وحتّى عندما فكّر في معاتبته على إلغاء الشّريعة (والوقت لم يكن وقت عتاب فقط إنما كان وقت زجر وتعنيف لحاكم رفض الإسلام عقيدة

---

[2] (عقيدة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" السّلفية وأثرها في العالم الإسلامي) . للشّيخ "صالح بن عبد الله العبّود"، [2/ 465].

وشريعة)، عاتبه بكلمات خفيفة وحاول أن يعذره في ذلك كلّ العذر، و ها هو "ابن باديس" يمضي في توزيع بطاقات تزكيّاته على الشّخصيات المعروفة دون أن يشير إلى فساد المعتقد أوالانحراف في العبادة أو الزّيغ في المنهج فيصف "عمر المختار" بأنّه (سيّدي عمر المختار)، ويلقّبه بسيّد الشّهداء ويتحسّر على غلق الزّوايا السّنوسيّة الّتي كانت أوكارا حقيقيّة للتّصوّف والمتصوّفة بأورادهم المبتدعة وعقائدهم المنحرفة..

فهذه التّزكيّات تضلّل النّاشئة وتخلط عليهم الأمور بعضها ببعض، فيجب الحذر من توثيق الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله، وعدم أخذ كلامه بحزم وجزم لأنّنا سنجد أنفسنا آنذاك متورّطين في الإعجاب بأشخاص لا يستحقّون منّا نحن السّلفييّن إلاّ التّحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه من مهالك عقديّة وانحرافات تعبديّة وأخطاء منهجيّة.

احتفال الشّيخ ابن باديس بأمور مبتدعة

لقد ساهم الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله في إحياء أمور غير واردة بالمرّة، فتجده يبتدع مناسبات ما أنزل الله بها من سلطان، والأصل في المسائل التّعبديّة المنع حتّى يرد الدّليل بجوازها لأنّ المناسبات الدّينيّة مناسبات تعبّديّة، والعبادة توقيفيّة ولا يحقّ لنا أن نبتدِع احتفالات باسم الإسلام، والإسلام بريء منها.. من ذلك أنّ الشّيخ "ابن باديس" أقام للنّاس حفلة خاصّة بمناسبة ختم تدريسه للموطأ للإمام مالك رحمه الله، وما ألفيت واحدا من علماء السّلف فعل هذا، وبلا شكّ تدريس كتاب "الموطأ" عمل جبّار، وهو أمر تعبّدي يهدف به صاحبه إلى تعليم المسلمين دينهم، وختم تدريس "الموطأ" يتطلّب من صاحبه شكر الله عزّوجلّ على توفيقه لذلك دون اللّجوء إلى إقامة حفلة خاصّة، ربّما تكون فاتحة شرّ للاحتفال بمناسبات دينيّة أخرى ما عرفها الصّدر الأوّل من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولا عرفها التّابعون ولا العلماء الّذين ينهجون النّهج السّلفي الصّحيح، ولقد أقام "ابن باديس" ومن معه حفلة كبيرة وصفها أحد الحاضرين[1]، فقال عن ذلك ما نصّه : (قبيل الاحتفال وجّهت مراسيم الدّعوة الخاصّة للعلماء والأدباء والأعيان من عمالة قسنطينة مصحوبة ببيان الزّمان والمكان، وتألّفت لجنة أدبيّة للنّظر في شؤون الحفلة وكانت متشكّلة من : الأديب النّاشط السّيد "أحمد بوشمال" مدير مجلّة "الشّهاب" الغَرّاء، وأساتذة مدرسة التّربيّة والتّعليم، وكاتب هذه السّطور وفي قاعة مكتب المدرسة قرّرت اللّجنة برنامجها الأدبي مساء يوم الإثنين على السّاعة الثّامنة، وما كادت الشّمس تجنح للغروب أصيل يوم الأربعاء حادي عشر ربيع الثّاني حتّى تقاطرت وفود الدّعوة على مدرسة التّربيّة والتّعليم المحروسة حيث وجدوا إخوانهم القسنطنيين ينتظرون قدومهم السّعيد بمزيد التّشوّق، فتهلّلت الوجوه، وتفتّحت الشّفاه ببسمات المودّة واللّقاء ونطقت الألسنة بالتّحيّات المباركة والتّرحيبات القلبيّة، وتعانقت الأرواح قبل الأشباح، وتكاملت الوفود في المدرسة، وبعد أداء صلاة المغرب انبرى أهالي قسنطينة المضاييف الكرام يتنافسون في تكريم ضيوفهم ـ كما في عادتهم ـ فذهبوا بتلك الوفود الكريمة النّازلة على الرّحب والسّعة إلى بيوتهم لتناول وجبة العشاء. وما كاد مؤذّن العشاء يعتلي المنار حتّى تكاملت تلك الوفود المكرّمة في الجامع الأخضر المعمور حيث يؤدّون صلاة العشاء ويسمعون بعدها درس الختم من الأستاذ الحكيم، وبعد الفراغ من الصّلاة وضع كرسيّ الدّراسة في وسط الجامع وحلّق حوله الوفود والمستمعون وانتظمت الصّفوف الأماميّة من العلماء والأدباء، ولمّا اتّسقت قلائد الحلقات واكتمل نظام الصّفوف وعلت السّكينة وساد السّكوت كأنّ على الرّؤوس الطّير، طلع الأستاذ من مقصورته كالبدر ليلة تمامه في موكب من الجمال الإلهي والجلال النّبوي فاشرأبّت الرّؤوس لطلعته المباركة وتطلّعت النّفوس وخفقت الأفئدة في الصّدور خفقة السّرور فاعتلى كرسيّ الدّراسة وأنشأ ينشر على مستمعيه الكرام تلك الدُّرَر الغالية والحكم

---

[1] هذا الواصف للحفل هو "الجيلاني بن محمّد"..

البالغة بفصاحة نادرة وبلاغة ساحرة ونبرات موسيقيّة تمتزج بالأرواح امتزاج الماء بالرّاح، فهزّ النّفوس بعظاته (الحسنيّة) وقلب العقول بتحقيقاته العلميّة وأبحاثه النّفسيّة..استغرق في الدّرس نحو ساعة ونصف مرّت كلمح البصر من شدّة فناء الأرواح في لذّة الدّرس وأغرق النّفوس في الإصغاء، واللّذائذ الرّوحية أوسع من الزّمن..وختم الأستاذ درسه بدعوات مأثورة وتلى على الحاضرين آخر ما كتب بنسخة "الموطأ" اليدويّة الأثريّة فبيّن أنّها مكتوبة، بخطّ صاحبها في القرن السّابع الهجري فيما أظنّ. ولمّا انتهى الدّرس وصداه يتردّد في النّفوس ومعانيه السّامية تملأ فضاء القلوب، أمر النّاس بالجلوس في أماكنهم فقدّمت إليهم صحون "الزّلابيا" الّتي تبرّع بها الكريم الخير المفضال السيّد "الحاج حمّوش"، فتناولوها شاكرين مسرورين هاتفين بحياة العلم والعلماء...)[1]. ما هو الحكم الشّرعي لإقامة مثل هذه الحفلات ؟ أمن أجل أنّ الشّيخ "ابن باديس" ختم شرح "الموطّأ" لإمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله تقام مثل هذه الحفلة وتوزّع فيها المشروبات ويدعى النّاس من هنا وهناك لحضورها ؟ ألا يدخل هذا ضمن فتح باب البدع على مصراعيه ؟ أكان من هدي السّلف أنّهم إذا شرحوا للنّاس كتابا أو علّموه إياهم أن يقيموا مثل هذه الاحتفالات ؟ الجواب بلا شكّ..لا..« إنّ البدعة المنصوص على ضلالتها من الشّارع هي :

أ ـ كلّ ما عارض السّنة من الأقوال أو الأفعال أو العقائد ولو كانت عن اجتهاد.

ب ـ كلّ أمر يُتقرّب إلى الله به، وقد نهى عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

ج ـ كلّ أمر لا يمكن أن يُشرع إلاّ بنصّ أو توقيف، ولا نصّ عليه، فهو بدعة، إلاّ ما كان عن صحابيّ، تكرّر ذلك العمل منه دون نكير.

د ـ ما ألصق بالعبادة من عادات الكفّار.

هـ ـ ما نصّ على استحبابه بعض العلماء سيّما المتأخّرين منهم ولا دليل عليه.

و ـ كلّ عبادة لم تأت كيفيّتها إلاّ في حديث ضعيف أو موضوع.

ز ـ الغلوّ في العبادة.

ح ـ كلّ عبادة أطلقها الشّارع وقيّدها النّاس ببعض القيود مثل المكان أو الزّمان أو صفة أو عدد».[1]

فإن قيل اجتهد "ابن باديس" في إقامة هذا الحفل وتجويز ذلك فالجواب يكون بأنّ مثل هذه الحفلات ممّا لا دليل عليه في السّنة، وكلّ ما عارض السّنة من الأقوال أوالأفعال أوالعقائد فهو بدعة ولو كان عن اجتهاد.. فإن قيل "ابن باديس" من العلماء وقد

---

[1] (مجالس التّذكير من حديث البشير النّذير)، للشّيخ "ابن باديس"، [ص 334 . 335 . 336).

[1] (أحكام الجنائز وبدعها) للشّيخ العلاّمة "الألباني" رحمة الله عليه . [ص 356].

استحبّ إقامة مثل هذه الحفلات بمناسبة دينيّة هي ختم "شرح الموطّأ"، فالجواب أنّ كلّ ما نصّ العلماء على استحبابه وكان ممّا لا دليل عليه فهو بدعة، ويزداد الأمر شناعة إن قُصد بهذا الأمر التّعبّد، وخير دليل على كون "ابن باديس" قصد التّعبّد إلقاؤه لذلك الدّرس وقطعه بأنّ كلّ ذلك يقع بمناسبة ختم الموطّأ.. فلو أنّ المسلم أقام الاحتفالات الدّينيّة بمناسبة وبغير مناسبة لكان هذا الأمر إشارة مرور للبدع بأن تدخل إلى دنيا النّاس على الرّحب والسّعة، والاحتفالات الّتي أقرّها الشّارع الحكيم هي ما كان داخلا في عرف النّاس، والعرف بدوره يعتدّ به ما لم يكن معارضا لنصّ من كتاب الله أو سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا يعارض آثار السّلف الصّالح..

والاحتفال بختم "الموطّأ" ليس من عرف الجزائريّين، ولا يدخل حتّى ضمن عاداتهم ولذلك لا يمكن أن يقبل قول القائل بأنّ "ابن باديس" فعلها من باب العُرف، هذا ومن خلال تتبّعي لنشاط الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله ولنشاط رجال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين وجدت أنّهم يصرّون على ابتداع حفلات ما أنزل الله بها من سلطان، وأغلبيّة الاحتفالات الّتي يدعون الشّعب الجزائري لإحيائها وللاحتفال بها لا تخرج عن نطاق كونها بدعة ضلالة كبدعة الاحتفال بالمولد النّبوي، أو احتفالات تدخل ضمن عادات الكفّار فيزداد آنذاك الأمر ضلالا، إذ أنّه يكون قد جمع بين الابتداع في الدّين وبين التّشبّه بالكفّار الّذين نُهينا عن التّشبّه بهم ومن هذه الاحتفالات الدّعوة لإحياء ذكرى وفاة فلان وذكرى وفاة علاّن.. ويمكن القطع بأنّ إحياء ذكرى الميلاد أو ذكرى الوفاة من أشهر الأمور الّتي ابتدعها اليهود والنّصارى لتخليد رجالهم ـ زعموا ـ ولو كان هذا الأمر من الخير لاحتفل الصّحابة رضوان الله عليهم بذكرى مولده صلّى الله عليه وسلّم [1] أو ذكرى مولد بعضهم البعض، ولو كان الاحتفال بذكرى الوفاة من الخير لكان الصّحابة رضيّ الله عنهم أوّل من يبادر إلى إحياء ذكرى وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وذكرى وفاة أبي بكر وذكرى وفاة عمر وذكرى وفاة عثمان وذكرى وفاة عليّ رضيّ الله عنهم، وذكرى وفاة غيرهم من صحابة رسول الله عليهم من الله الرّضوان، ولذلك كان على "ابن باديس" لو كان سلفيّا حقيقيّا أن يغلق باب البدعة ولا يفتحه لا لعلماء جمعيّته ولا لغيرهم.. ولكنّني وجدته حريصا على المشاركة في الاحتفال بذكرى وفاة فلان وعلاّن فضلا عن كونه يشارك في إلقاء كلمة عن الفقيد وعن مزاياه، تماما كما يفعل الكفّار في مثل هذه المناسبات وخير دليل على ذلك مشاركته في إحياء ذكرى وفاة الشّاعرين المعروفين "أحمد شوقي" و"حافظ إبراهيم"، فألقى بهذه المناسبة خطابا قال فيه ما يأتي : « الحمد لله وسلام على عباده الّذين اصطفى..أيّها الإخوان : إذا كانت الأمم اللاّتينيّة على ما بينها من تزاحم وتخاصم، وتقاتل وتناحر ترتبط برابطة اللاّتينيّة، وتتفاخر بثقافتها، وتعقد المجتمعات العظيمة لتقويّة روحها وتمتين حبل التّمسّك بها ـ فنحن أبناء العربيّة ـ وليس بيننا شيء من تلك المفرّقات ـ بل ما بيننا إلاّ ما يقرّب بعضنا من بعض من المؤلمات والمحزنات ـ أحقّ بأن نفعل مثلهم وأكثر

[1] سبق لي وأن أسردت فصلا كاملا عن بدعة المولد النّبوي، ولذلك لا حاجة لي إلى تكرار التّفاصيل.

منهم في لغتنا العربيّة»، وبعد الحديث عن اللّغة اللاّتينيّة واللّغة العربيّة واصل الشّيخ "ابن باديس" كلامه قائلا : « أيّها السّادة : إنّ من حقّنا ومن الواجب علينا ـ نحن معاشر المسلمين الجزائريّين الّذين تشرّبت عروقنا هذه اللّغة الكريمة من معين قوميّتنا الشّريفة، وتغذّت أرواحنا من بيانها العذب بالشرب المصفّى من ديننا العظيم، واستنارت عقولنا من شمسها المضيئة بالأنوار السّاطعة من تاريخنا الجليل ـ من حقّنا الواجب علينا أن نكرّم العربية ومن يكرم العربيّة، وخصوصا من خدم العربيّة بعقله وروحه وحياته مثل شاعرينا الكريمين، ومن حقّنا أيضا أن نرتبط بأبناء العربيّة ارتباط القلب واللّسان..ارتباط العقل والتّفكير، ارتباط الشّعور والتّقدير، خصوصا عندما يتحرّك الشّعور العام لأمر هام، وتتوجّه القلوب العربيّة لتكريم عظيم أو إحياء ذكرى عزيز مثل احتفالنا هذا مع العالم العربي لتكريم الشّاعرين العظيمين وإحياء ذكراها العزيزة الخالدة.

أيّها السّادة : إنّنا باحتفالنا هذا بذكرى شاعري العربيّة العظيمين "شوقي" و"حافظ" ـ نكرم سبعين مليونا من أبناء العربيّة الّذين يعدّون العربيّة لغتهم القوميّة..ونكرم خمسمائة مليون من أبناء الإسلام الّذين يعدّونها لغتهم الدّينيّة، ونكرم الأمم المُتمدِّنة جمعاء الّتي يعترف أكابر علمائها المنصفين بمزيّة اللّغة العربيّة التّاريخيّة، على العلم والمدنيّة».

وبعد تعريفه بالشّاعرين "أحمد شوقي" و"حافظ إبراهيم" (والتّعرض للحديث عن الفرق بين البيئة الّتي نشأ فيها كلّ واحد منهما حيث عاش "شوقي" في بيئة غنيّة مرتبطة ببيت الإمارة وعاش معيشة التّرف والغنى، بينما نشأ "حافظ إبراهيم" في بيئة عامّة عرف فيها طعم الشّقاء وشظف العيش والشّدة)، واصل "ابن باديس" ثناءه على الشّاعرين بما نصّه : « أيّها الإخوان : إنّ ممّا نفع "شوقي" اطّلاعه على آداب أمم أخرى في لغة أوروبيّة هي الفرنسيّة وإنّ ممّا نفع حافظا ما مسّه من الألم مع قومه، وقد كان يطالعُ "الأغاني" و "العقد الفريد" ويعيد مطالعتهما المرّة بعد المرّة، فعلى أدباء الجزائر وشعرائها أن يدرسوا آدابهم العربيّة، وأن يطالعوا الآداب الغربيّة في اللّغة الفرنسيّة، وأن يمازجوا قومهم ليألموا وينعموا ـ إن كان نعيم ـ لتكون لهم منزلة أدبيّة عالميّة، وآثار بارزة في الحياة الجزائريّة..

أيّها الإخوان : إنّ حياة الشّاعرين العظيمين قد أخمدت نوابغ وأماتت قرائح، وإنّ موتهما بما نشاهد من تكريم العالم العربي لهما ستحي ملكات وتبعث هممًا فكونوا ـ وأنتم أنتم ـ في أوّل الرّعيل.

أيّها الإخوان : ليس للجزائر من "حافظ" إلاّ ما للأوطان العربيّة الأخرى من شعره وأدبه وفنون قوله، أمّا "شوقي" فقد قدر له أن يزور هذه الجزائر في شبابه، وينزل بعاصمتها أربعين يوما للاستشفاء، ويقول عنها : "ولا عيب فيها سوى أنّها قد مسخت مسخا، فقد عهدت مسّاح الأحذية فيها يستنكف النّطق بالعربيّة، وإذا خاطبته بها لا يُجيبك إلاّ بالفرنسيّة"، فاعجبوا لاستدلال على حالة أمّة بمسّاح الأحذية منها ! ولا يجمل بي أن أزيد في موقفي هنا على هذا، إلاّ أنّ فقيدنا العزيز لو رأى من عالم الغيب حفلنا هذا لكان له في الجزائر رأي آخر، ولَعَلِم أنّ الأمّة الّتي صبغها الإسلام، وهو صبغة الله، وأنجبتها العرب

وهي أمّة التّاريخ وأنبتتهما الجزائر، وهي العاتية على الرّومان والفاندال، لا تستطيع ولن تستطيع أن تمسخها الأيّام ونوائب الأيّام.. أيّها الإخوان : باسمي الضّئيل، وباسم الجزائر الكبير، وباسم جمعكم الكريم أرفع التّحيّات الزّكيّة للفقيدين الخالدين في مرقدهما، ولجميع العاملين لإحياء العربيّة وأدبها من بعدهما.. فليعش العرب، ولتعش العربيّة وليعش المحبّون لهما من النّاس أجمعين»[1]

في هذا الكلام وقع الشّيخ ابن باديس رحمه الله في أخطاء كثيرة منها :

1. احتفاله بذكرى وفاة الشّاعرين "أحمد شوقي" و"حافظ إبراهيم"، والاحتفال بذكرى وفاة الأشخاص من البدع الّتي انتقلت إلينا من عند اليهود والنّصارى فجمعت شرّين كبيرين : شرّ كونها بدعة وشرّ التّشبّه بالمغضوب عليهم والضّالين..

2. ذكر "ابن باديس" أنّه إذا كانت الأمّم اللاّتينيّة تتفاخر بثقافتها وتعقد المجتمعات لتقويّة روحها فنحن أبناء العربيّة أحقّ بأن نفعل مثلهم، والحقّ الواجب أنّنا كمسلمين أُمرنا بعدم اتّباع سبيل اليهود والنّصارى وأَمرنا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بمخالفتهم ونهانا عن التّشبّه بهم، فكيف يلحّ "ابن باديس" على ضرورة الاقتداء بهم بقوله (بأن نفعل مثلهم) وخاصّة حينما يكون تقليدهم في عادات مخالفة لشرعنا مثل عادة الاحتفال بذكرى الوفاة والّتي نحن بصدد الحديث عنها..

3. يبدو الشّيخ "ابن باديس" في هذا الخطاب في صورة رجل القوميّة أو الوطنيّة أو شخصية من الشّخصيّات الأدبيّة ولا علاقة له البتّة في هذا المقام بهدي علماء السّلفيّة.. فمنذ متى شارك علماؤنا في الاحتفال بذكرى وفاة فلان وعلاّن ؟ ومنذ متى اهتمّ علماء السّلفيّة بالشّعر وجعلوه نصب أعينهم، كأن يعقدوا له الاجتماعات إلخ ؟ هذا دَيْدنُ رجال الفكر والأدب كما يسمّونهم بلغة العصر.

4. إنّ "أحمد شوقي" و"حافظ إبراهيم" ليسا من شعراء النّزعة الدّينيّة، ولو كان الأمر كذلك لهان الخطب، على الأقلّ لو زكّى "ابن باديس" شاعرا متديّنا معروفا بشعر فيه النّصرة للإسلام ولمنهج الحقّ، لقلنا زكّاه لأجل ذلك، ولكن "أحمد شوقي" رغم قيمته الشّعرية ورغم إمارة الشّعر الّتي أُعْطِيَها له أشعار بلغت الذّروة في الفسق والفجور، ومن المعلوم أنّ الشّعر حسنه حسن وقبيحه قبيح، والأشعار الّتي يرسلها أصحابها بزفرات حارّة يكون فيها وصف الخمور أو العيون والخدود تكون محرّمة بلا شكّ. فالشّاعر "أحمد شوقي" له أشعار تغنّى فيها بملكة مصر الفرعونيّة الكافرة "كليوباترا"، ومن الأبيات الماجنة الّتي وردت في هذه القصيدة قول شوقي : لَيْلُنا خَمْرُ..وأشواق تغنّى حولنا..إلخ... فهل التّغنيّ بالخمر أمّ الخبائث يعدّ من مزايا "أحمد شوقي" ؟..كما أنّ لهذا الأخير النّصيب الأكبر في القصائد الّتي تغنّى بها (الموسيقار) "محمّد عبد الوهاب" فيزداد الشّعر بذلك شرّا لمّا يجمع بين الكلمات الماجنة والموسيقى المرفوقة بآلات الطّرب الّتي حرّمها الله تعالى

---

[1] (آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس") . الجزء الثّالث.

ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، و"حافظ إبراهيم" له أبيات في مدح أشخاص يعدّون من أفجر النّاس كمدحه "لسعد زغلول" ولغيره من الحكّام الّذين أدخلوا الفسق والفجور إلى ديار مصر، ورغم أنّ "شوقي" و"حافظ" لهما أشعار جيّدة في بعض النّواحي الاجتماعيّة إلاّ أنّ هذا ليس حجّة لأهل العلم بأن يحيوا ذكرى وفاتهما، ومثل هذه الاحتفالات خاصّة بأعلام الأدب والفكر لأنّ أفراد هذه الطّائفة لا يولّون أدنى أهميّة للأحكام الشّرعية ناهيك ما كان منها متعلّقا بالبدع ومحدثات الأمور. إنّ الشّعر في الإسلام يحرم تحريما قاطعا إذا كانت القصائد محتويّة على شركيّات وفسق وفجور ودعوة إلى الاختلاط بين الجنسين و"شوقي" كتب الكثير في هذا المجال ويكفيه أنّ له مسرحيّة شعريّة حول قصّة (قيس وليلى)، وهذه القصّة في حدّ ذاتها دعوة إلى التّعاطف مع ما يسمّى بقصص الحبّ بين الرّجال والنّساء وبالتّالي فتح المجال لمقدّمات الزّنا باسم الحبّ والعواطف.

5. في نهاية خطابه ختم الشّيخ "ابن باديس" كلامه بطريقة الخطباء السّياسيين القوميين بقوله : (فليعش العرب ولتعش العربيّة وليعش المحبّون لهما من النّاس أجمعين...). وكلّ عربي يحبّ العربيّة ولكنّ المسلم يفضّل المسلم الأعجمي على العربيّ غير المسلم، لأنّ العبرة بموافقة الشّرع والاهتداء إلى الدّين الصّحيح والتّفاضل بين النّاس بتقوى الله وليس بكون هذا عربيّا وهذا أعجميّا ويشهد لهذا قوله صلّى الله عليه وسلّم : « لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلاّ بالتّقوى، النّاس من آدم، وآدم من تراب».[1] فالعربيّة لغتنا الحبيبة ولكنّ ديننا أحبّ إلينا منها إذ أنّ المسلم لو خيّر بين المسلم الأعجمي والنّصرانيّ العربيّ لاختار بدون تردّد الأوّل على الأخير.. قلت هذا الكلام بمناسبة حديثي عن الاحتفالات المبتدعة الّتي لا يجوز للمسلم الاحتفال بها مثل الاحتفال بختم كتاب ما بشرحه وتفسيره، والاحتفال بذكرى وفاة شخصٍ ما مهما سما ذلك الشّخص وعلا، وإذا كان لا يجوز لنا إحياء ذكرى وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فمن دونه أولى وأولى..زيادة على هذه النّوعيّة من الاحتفالات فهم يحتفلون بختم تفسير القرآن الكريم ووجدت كلاما للشّيخ "البشير الإبراهيمي" يدعو فيه إلى إحياء ذكرى المولد النّبوي ويوم الهجرة ورأس السّنة الهجريّة ويوم بدر ويوم أحد وفتح مكّة.. وكلّها احتفالات ما أنزل الله بها من سلطان ولم يفعلها سلف الأمّة والخير كلّ الخير في الاقتداء بهم والشّر كلّ الشّر في ابتداع من خلف، والمسلم بلا شكّ مطالب بمعرفة سيرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم دون أن يحي ذكرى أمور لم يحيها الصّحابة ولا الّذين يلونهم ولا الّذين يلونهم. وفي فتح المجال للاحتفال بهذه الذّكرى وتلك ترحيب

---

[1] قال الشّيخ "الألباني" في تخريج هذا الحديث : صحيح، لكن عزوه للسّنن وهم، فإنّه لم يروه أحد منهم، وإنّما هو في مسند الإمام أحمد، وقد كنت توقّفت فيه قبل سنين، ثمّ يسّر الله تعالى لي جمع كثير من طرقه، وحقّقت الكلام عليها، فتبيّن لي أنّه صحيح بمجموعها وأودعت تفصيل ذلك في الموضع المشار إليه، وعليه استجزت إيراده في كتابي الكبير "صحيح الجامع الصّغير وزياداته [1780]..وهذا الكلام ذكره الشّيخ "الألباني" في تعليقه على العقيدة الطّحاويّة للإمام الطّحاوي راجع [ص 361].

بالبدع والمحدثات، ولا يحقّ للمسلمين الاحتفال بمناسبة ما لم يأمر بها الله تعالى وما لم يأمرنا بها رسولنا الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلّم وصحابته الكرام من بعده رضيّ الله عنهم وأرضاهم، فلا نترك الحماسات تنأى بنا عن كلّ ما ثبت وتُلقي بنا إلى البدع والضّلالات.. نسأل الله أن يعيذنا من البدعة، ويكفي أن نسجّل بأنّ جمعية العلماء أصرّت على الاحتفال بذكرى وفاة "ابن باديس" رحمه الله حتّى فشت في الجزائر ظاهرة إحياء ذكرى وفاته باسم يوم العلم (في السّادس عشر من شهر أفريل)، وهذا دليل على أنّ هذه البدعة وجدت صداها في نفوس أصحابها من رجال جمعيّة العلماء، فكيف بالعوام الّذين يهوون كلّ ما هو بدعة وكلّ ما هو حفل واحتفال ؟..

وصفه لأبي ذرّ رضيّ الله عنه بأنّه أوّل اشتراكي

لقد ترجم الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله لبعض الصّحابة رضيّ الله عنهم، وكان أبو ذرّ رضيّ الله عنه من ضمن الصّحابة الكرام الّذين حُظوا بكتابة الشّيخ "ابن باديس" عنهم، فترجم "ابن باديس" لأبي ذرّ عليه رضوان الله خير ترجمة، واستطاع أن يجلي أهمّ الجوانب في حياة ذلك الصّحابي الجليل فوصفه بأنّه من السّابقين الأوّلين إلى الإسلام، وذكر قصّة إسلامه، وتحدّث عن علمه الّذي اكتسبه من خلال ملازمته للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ عرّج إلى الحديث عن زهده وورعه وصدقه وصدعه بالحقّ وتربيّته، ثمّ تكلّم عن أهمّ نقطة في حياة أبي ذرّ رضيّ الله عنه وهي مذهبه في المال فقال "ابن باديس" عن ذلك ما يلي : « أوجب الله الزّكاة وجوبا عينيّا على من وجدت لديه أسبابها وتوفّرت فيه شروطها فهي الحقّ الثّابت في الأموال المقدّر المعلوم وفي المال حقوق أخرى للقيام بالمصالح العامّة كفكّ الأسير وتجهيز الميّت وغير ذلك فإذا لم يتولّ ذلك بعض النّاس ليسقط الطّلب عن جميعهم تعيّن عليهم كلّهم أن يعطوا كلٌّ بحسب ما عِنْده لتحصيل ذلك الواجب على جماعتهم فهذا الحقّ الثّابت في المال ليس مقدّرا لأنّه يختلف باختلاف الأحوال. وقد كان معلوما بنقل التّواتر وإجماع أئمّة الأمصار أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إنّما كان يأخذ جزءًا من المال ويترك الباقي لصاحبه، وقد صحّ عنه قوله صلّى الله عليه وسلّم : "ليس فيما دون خمس أَوَاق صدقة" أي زكاة.. لكنّ أبا ذر كان يرى أنّه لا يجوز ادّخار الذّهب والفضّة بعد أداء زكاتهما ويحتجّ على ذلك بظاهر قوله تعالى : «والّذين يكنزون الذّهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم يوم يُحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباهُهُم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون». وبقوله صلّى الله عليه وسلّم له : « ما يسرّني أنّ لي أحدا ذهبا تأتي على ثالثة (أي ليلة) وعندي منه دينار إلاّ دينار أرصده لدين عليّ». وبأحاديث أخرى في معنى هذا».[1]

ثمّ يذكر "ابن باديس" جواب الأئمّة عن استدلاله فقال : لمّا جاءت النّصوص الصّحيحة الصّريحة بأنّ الأخذ إنّما يكون لبعض الأموال وجب ردّ الآية المحتملة إليها، قوله تعالى : (ولا ينفقونها) معناه ولا ينفقونها كلّها وهؤلاء هم الّذين لم يعطوا شيئا منها وهم مانعو الزّكاة فلا تصدق الآية على الّذين أنفقوا بعضها وهم المزكّون.. وأمّا الأحاديث فهي محمولة على التّرغيب في البذل وهي حالة فضل لا تجب على النّاس ولو وجبت عليهم لما استطاعوا. والواجب هو الّذي يعمّ وأمّا الفضل فإنّ النّاس يرغبون فيه ويأتي كلّ منهم بما استطاع وهم في ذلك متفاوتون، وقد قبل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من أبي بكر رضيّ الله عنه التّصدق بجميع ماله وردّ على من أراد التّصدّق بمقدار بيضة من ذهب هي كلّ ما يملك صدقته بجميع ما يملك ونهى عن ذلك، فأصاب أبو ذرّ فيما اختار لنفسه من الزّهد وعدم

---

[1] (آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس")، [3 / 37 و 38].

الادّخار ولكنّه أخطأ فيما أراد من حمل النّاس على حالة فضل لم يوجبْها الله عليهم ولن يستطيعوها..».[1] ثمّ واصل "ابن باديس" كلامه عن أبي ذرّ رضوان الله عليه تحت عنوان : (إعلان رأيه وإثارته للفقراء) فقال :

(كان أبو ذرّ يعلن برأيه في مجامع النّاس بالشّام ويندّد بالأغنيّاء غير مكتف منهم بإخراج الزّكاة ويقول : "يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء، بشّر الّذين يكنزون الذّهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله بمَكّاٍو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم"، فمازال حتّى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الأغنياء وحتى شكا الأغنياء لمعاوية وهو أمير الشّام من طرف عثمان رضيّ الله عنه، ما يلقونه من النّاس ولو لم يبادر عثمان رضيّ الله عنه باستقدام أبي ذرّ رضيّ الله عنه إلى المدينة لاتّسع نطاق الفتنة بالشّام).[2]

وتحت عنوان "حريّة النّظر" قال الشّيخ "ابن باديس" : « قد خالف أبو ذرّ إجماع الصّحابة بنظريّته السّابقة مع قيام الدّليل القطعي من النّقل المتواتر والنّصوص القرآنيّة الكثيرة المتضافرة على خلاف رأيه وكان خلافه هذا في مسألة من كبريات المسائل.. ومع ذلك تركوا له حريّة نظره ولم يلق منهم من أجلها أدنى ضغط ولا أقلّ تحقير فكانوا بذلك منفذّين لما جاء به الإسلام من احترام الآراء وحريّة النّظر والتّفكير».[1]

إلى هنا يمكن القول بأنّ الشّيخ "ابن باديس" أجلى الحقيقة في قضية أبي ذرّ وكان كلامه موافقا لما ذكر العلماء المحقّقون في هذه المسألة، فالنّقاط الأساسيّة حول هذا الموضوع تتمحور فيما يلي :

أ ـ لقد كان أبو ذرّ رضيّ الله عنه مُلازما للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكان رجلا قد ضرب الذّروة في الزّهد والورع وكان أميل إلى الأخذ بالأحوط والشّدة.

ب ـ ميله إلى التورّع والأخذ بالأسلم والأحوط دفعه إلى فهم انفرد به بين الصّحابة الآخرين رضيّ الله عنهم فكان شاذّا في فهمه هذا، فقد فهم أبو ذرّ من أنّ النّاس لا يجوز لهم كنز الذّهب والفضّة حتّى ولوأدوا زكاتهما، وأنّه يجب عليهم الإنفاق بلا حدود وأن لا يتركوا شيئا مكنوزا ومدّخرا.

ج ـ قناعته هذه دفعته إلى حثّ النّاس على النّفقة، فاشتدّ نكيره رضيّ الله عنه على الأغنياء حتّى تشجّع الفقراء بموقفه هذا، وأخذوا يلزمون مذهبه لدرجة أنّ معاوية رضيّ الله

---

[1] و [2] (آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس")، [3 / 38].

[1] (آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس")، [3 / 39].

عنه خشي وقوع فتنة بين النّاس فاشتّكى إلى الخليفة الرّاشد ذي النّورين الّذي حسم الأمر بكل حكمة ورزانة رضيّ الله عنه.

د ـ اقتنع أبو ذرّ رضيّ الله عنه بالذّهاب إلى الرّبذة والإقامة فيها حتّى قضى نحبه، فكانت إقامته فيها بمحض اختياره وليس على سبيل القهر أو النّفي الإجباري كما يدّعيه المبطلون والمغرضون.

قلتُ : كان كلام "ابن باديس" جميلا ومؤكّدا لحقائق وقعت، وعرف فعلا كيف يُظهر الحقّ في قضيّة أبي ذرّ رضيّ الله عنه..إلى أن جاءت الفقرة الأخيرة فلفت انتباهي فيها ورود كلمة خطيرة لم يكن من حقّ "ابن باديس" استعمالها وهذه الكلمة هي كلمة "اشتراكي"، ونصّ كلامه كان تحت عنوان "النّتيجة" حيث قال ما يلي : « فأبو ذرّ بمذهبه هذا في المال كان شاذّا بين الصّحابة رضيّ الله عنهم مخالفا لإجماعهم، ولم يتعرّضوا له في نظره واجتهاده إلاّ عندما خشوا من بثّه الفتنة على النّاس، وقد كان أبو ذرّ بمذهبه الشّاذ هذا أوّل اشتراكي في المال من المسلمين في أوّل عصور الإسلام وإن لم يعمل بمذهبه في سائر عصوره..»[1].

ففي وصف "ابن باديس" رحمه الله لأبي ذرّ رضيّ الله عنه بأنّه أوّل اشتراكي في الإسلام اعتداء خطير على ذلك الصّحابي الجليل، إذ أنّ "ابن باديس" يعلم يقينا أنّ الاشتراكيّة مذهب هدّام مضادّ للإسلام عقيدة وشريعة، والفرق بين الاشتراكيّة والإسلام فرق بعيد كبعد السمّاء عن الأرض، مهما حاول بعضهم من الملاحدة والمنحرفين والمعوجّين التّقريب بين الإسلام والاشتراكيّة بقولهم فلان اشتراكي مسلم وفلان اشتراكي معتدل إلاّ أنّ هذه المسمّيات بقيت مجرّد ألقاب تحمل السّم في الدّسم للشّعوب المسلمة الّتي رضيت بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمّد صلّى الله عليه وسلّم نبيّا ورسولا، حتّى تنخلع تلك الشّعوب عن عقيدتها وتوجّه وجهها قِبل الإيديولوجيات الباطلة الحائدة عن دين الله بالكليّة، إنّ الإسلام دين الله، وهو الدّين الّذي ارتضاه الله عزّوجلّ للنأس وهو الرّسالة الخاتمة، فلا كتاب بعد كتاب الله تعالى القرآن الكريم ولا نبيّ ولا رسول بعد محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فالإسلام جاء به محمّد صلّى الله عليه وسلّم من عند ربّه، جاء ليخرج به البشريّة من الظّلمات إلى النّور، ومن عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد الخالق وحده لا شريك له، والإسلام دين كامل شامل في جميع نواحيه وجوانبه، وقد شهد ربّنا بأنّه أكملَ لنا الدّين وأتمّ علينا النّعمة ورضيّ لنا الإسلام دينا، والإسلام كلٌّ لا يتجزّأ، يجب الإيمان به بالكليّة، فلا وجود فيه لمن يأخذ ببعض الكتاب ويكفر ببعض، كأن يدّعي سياسيّ ما ـ وكثير ما هم ـ بأنّ الإسلام يُكتفى به في العبادة، وأمّا أن يصلح كحكم فنظامه الآن ليس صالحا لمواكبة الحضارة الجديدة والحياة الحديثة بوسائلها العصرية ومستجدّاتها الطّارئة، وقائل هذا الكلام بلا شكّ قد قال قولا كلّه كفر أكبر والعياذ بالله تعالى، لأنّه يختار أيّ جانب يأخذ في الإسلام، وأيّ جانب يترك، وكأنّ الله تعالى قد أذن بهذا وتالله هذا زور وبهتان وافتراء على

---

[1] (آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس")، [3 / 39].

الدّين، إنّ الإسلام دين الله، والله تعالى هو الّذي اصطفى محمّدا صلّى الله عليه وسلّم ليكون بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فكيف يقارن دين الله بالاشتراكيّة الصّادرة عن فكر بشر؟ وأيّ بشر إنّه فكر (كارل ماركس) اليهودي الأصل الكافر بالله ورسوله العدو اللّدود للأديان، الرّجل الّذي وصف الدّين بأنّه "أفيون" الشّعوب ذلك الرّجل[1] الّذي أعلن الحرب الشّعواء على الدّيانات وكان هدفه منصبّا على الإسلام والمسلمين، فما فتئ يطلع على النّاس بأفكار كلّها كفر في كفر وإلحاد في إلحاد فقد أنكر أن يكون الله هو خالق الكون، وكفر بربوبيته فضلا عن ألوهيته، وسخر من الأنبيّاء، وأنكر البعث والجزاء وعلّم أتباعه " أنّ لا إله والحياة مادّة "، ذلك المُعقّد المريض أصبح في نظر الملايين من الشّعوب مفكّرا عملاقا وعظيما وأصبحت نظرياته دينا من دون دين الله، وأصبحت آراؤه ذات قداسة، وورثه أتباعه واستطاعت البشريّة أن تعرف رجالا قلوبهم من النّاحية الإيمانية أقسى من الحجارة فهي كالحجارة أوأشدّ قسوة مصداقا لقوله تعالى: «ثمّ قست قُلوبُكم مّن بعدِ ذَلك فهيَ كالحجارة أو أشدّ قسوة وإنّ منَ الحِجارة لمَا يـتَفجّرُ منه الأنهار وإنّ منها لما يَشّقّقُ فيخرجُ منه الماء وإنّ منها لما يهبِطُ من خشيـَة الله وما اللهُ بغافل عمَّا تعملون».[2]

قال الشّيخ العلاّمة الّذي يعتبر واحدا من كبار عمالقة العلم، الرّجل الفريد من نوعه الشّيخ "عبد الرّحمن السّعدي" رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى(ثمّ قست قُلوبُكم) : « "أي اشتدّت وغلظت فلم تؤثّر فيها الموعظة"، ثمّ فسّر(من بَعد ذلك) بقوله :" أي من بعد ما أنعم عليكم بالنّعم العظيمة وأراكم الآيات ولم يكن ينبغي أن تـقسو قـلوبكم لأنّ ما شاهدتم ممّا يوجب رقّة القلب وانقياده، ثّم وصف قسوتها بأنّها (كالحجارة) الّتي هي أشدّ قسوة من الحديد، لأنّ الحديد والرّصاص، إذا أذيب في النّار ذاب بخلاف الأحجار" »[3]، فقلوب كقلوب كارل ماركس وانجلز ولينين وستالين وغيرهم من أساطين الكفر الصّريح والتّكذيب، قلوب فاق تكذيبها تكذيب مشركي العرب بكثير، لأنّ مشركي العرب كانوا يؤمنون بأنّ الله هو الخالق وقلوب ماركس وتلامذته لم تعترف بالله وأنكرت أنّ يكون هناك خالق، وعلّمت أتباعها الارتباط بالطّبيعة والصّدفة وإنكار كلّ القيم والشّرائع، فهذه "الاشتراكيّة" وإن تنوّعت مناهجها وطرائقها فهي نتاج فكر "ماركس" رغم المحاولات الّتي يبذلها البعض بقولهم بأنّني "اشتراكي" رافض للإسلام من النّاحية الاقتصاديّة والسيّاسيّة ولكنّني أعمل ببعض جوانبه، وهذه مغالطة انكشفت مع مرور الأيّام لأنّ الّذي تسوّل له نفسه الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر من الكتاب، فذاك كافر زنديق يتلاعب بالألفاظ وسرعان ما يواصل كفره بالجوانب الأخرى من الدّين بعد أن كان يقوم بمجرّد تغطية حتّى لا ينفر النّاس منه، لأنّـنا في مجتمعات يدين أصحابها بالإسلام مهما عصوا وفسقوا.. لقد سجّل التّاريخ للجيش المصري الّذي كان داخلا مع إسرائيل في هزيمة (يونيو1967م) أنّ

---

[1] أستغفر الله ذلك "الذّكر" لأنّ الرّجولة لاتطلق على أمثال هؤلاء..

[2] سورة البقرة [الآية 74].

[3] (تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان)، [ص 55].

الجيش قبل الحرب انطلق يغنّي ويفتخر بقوله "مدفعنا يتحدّى القدر" لقد كفروا بركيزة من ركائز الإيمان وهي القدر، وافتخروا بأنّهم يتحدّون إسرائيل ويتحدّون القدر فباءوا بغضب من الله وحصلت الهزيمة، وحلّ غضب الله على أقوام رضوا بالاشتراكيّة الماركسيّة دينا بدلا من دينه العظيم الإسلام، رغم أنّهم يتّسمون بأسماء إسلاميّة وولدوا وتربّوا في بلد يدين أغلبية شعبه بالإسلام، وهذا كلّه من نتاج الإيمان بالاشتراكيّة كبديل عن الإسلام الصّالح في كلّ زمان ومكان لإصلاح شؤون البلاد والعباد.. إذن الإسلام من عند الله والاشتراكيّة وليدة فكر كافر خبيث اسمه "ماركس" فالمصدران متّباينان متضادّان لا يلتقيان أبدا لأنّ ما جاء من عند الله لا يقارن بأيّة حال من الأحوال مع ما أنتجته الأذهان البشرية بقصُورها وضعفها واعوجاجها.. فالإسلام دين الله الكامل فيه كلّ ما يُسعد البشريّة في الدّنيا والآخرة، والله قد أنزل في كتابه وأوحى إلى نبيّه بكلّ أمر تتحقّق به سعادة الفرد في الدّارين الأولى والآخرة، أمّا الاشتراكيّة فلا دخل لها بالآخرة لأنّ أصحابها ينكرون البعث والجزاء مهما ادّعوا ومهما حاولوا المواراة، فالاشتراكيّة نظام قاصر ثبت فشله حتّى في البلدان الّتي كانت تحيط هذا المذهب المادي بهالات من التّقديس، وبين عشيّة وضحاها سقطت روسيا بلد الكفر والإلحاد وصارت وكأنّها لم تكن بالأمس تلك الدّولة الطّاغية المتجبّرة العالنة الحرب على الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم وعلى دينه عزّوجلّ، والكلام عن هذا المذهب الباطل يطول ويطول وما أردت بذلك سوى تبيين فظاعة قول "ابن باديس" بأنّ أبا ذرّ كان "أوّل اشتراكي" لأنّ في هذا الكلام الخطير جدّا محظورات عديدة منها :

1. أنّ أبا ذرّ رضيّ الله عنه ما قصد إلاّ وجه الله بتلك الدّعوة الّتي نادى بها والّتي مفادها حثّ الأغنياء على النّفقة والعطاء، وكان دليله مستمدّا من آية قرآنيّة هي قوله تعالى : « والّذين يكنزون الذّهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم يوم يُحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون» [1]، وبأحاديث كثيرة سمعها مباشرة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفهم منه أنّه يحثّ على العطاء بلا حدود وهي رتبة عظيمة بلا شكّ إلاّ أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يوجب ذلك على أمّته كما ذهب إليه فهمُ أبي ذرّ ولكنّه بيّن للنّاس مزيّة على سبيل التّرغيب، أمّا إلزام النّاس بذلك فذاك شذوذ من أبي ذرّ رضيّ الله عنه بلا شكّ، وهذا الفهم الّذي فهمه وانفرد به عن بقيّة الصّحابة فهم خاطئ إذ أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يقصد ما قصد أبو ذرّ لأنّ الشّارع الحكيم لو فرض على النّاس أن ينفقوا كلّ ما يملكون دون أن يتركوا لأنفسهم دينارا ولا درهما لشقّ ذلك على الأنفس وما كان هناك من يستطيع ذلك إلاّ من كان شاذّا حقيقة. فأبو ذرّ ما عمل ما عمله إلاّ ابتغاء وجه الله عزّوجلّ وإلاّ خشية من أن يدخل النّار ويعذّب فيها، وذاك اجتهاده في الفهم وإن كان قد أخطأ رضيّ الله عنه، فأين الاشتراكيّ الكافر بدين الله من أبي ذرّ رضيّ الله عنه ؟ أيّها القائلون بهذا اقصروا عن هذه

---

[1] سورة التّوبة [الآيتان 34 . 35].

الفواحش وابتعدوا عن هذا الهراء وعن هذا الكلام الأجوف، ولا تقارنوا صحابيّا عظيما مثل أبي ذرّ رضيّ الله عنه بالاشتراكيّين الملحدين، ولا تصفوه بأنّه اشتراكيّ لأنّ الله سيحاسبكم على هذا الظّلم الفظيع..

2. إنّ المتأثّرين بالاشتراكيّة أناس جمدت قلوبهم وجمدت أفئدتهم عن حبّ الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، فكيف لا تجمد قلوبهم عن حبّ الصّحابة رضيّ الله عنهم؟!..

3. إنّ بعض من يسمّون أنفسهم بالاشتراكيين يلغون الملكية الفردية وينصهرون في حبّ الملكيّة الجماعيّة، وهذا في حدّ ذاته اعتداء على أمر وهبه الله تعالى للنّاس، وعلّمنا عزّوجلّ أنّه فضّل بعضنا على بعض في الرّزق، وأبو ذرّ لم يعلن على النّاس ما أعلن إلاّ لخشيته على الأغنياء من عذاب الله تعالى وخوفه عليهم من أن تكون جباههم وظهورهم في النّار، فأين هذا من أولئك الاشتّراكيين الحاسدين للأغنياء على ما أعطاهم الله من أموال.. وذاك فضل الله يؤتيه من يشاء؟ وهم بلا شكّ مقلّدون "لماركس" الكافر ولغيره من زعماء الكفر والباطل، ويهدفون إلى نشر نظرية تبدأ برفض الإسلام من الوجهة الاقتصادية والسّياسية حتّى يصلوا في نهاية الأمر إلى إسقاط الأقنعة عن وجوههم برفض الإسلام بكلّ تعاليمه جملة وتفصيلا، والاشتراكيون الموجودون في العالم الإسلامي وأعني بهم المسلمين الّذين درسوا الاشتراكية وتأثّروا بها حتّى انسلخوا عن دينهم شرّ انسلاخ ما وجدوا فرصة لتضليل العوام بها ومخادعتهم مثل قصّة، أبي ذرّ رضيّ الله عنه، فوصفوه بأنّه اشتّراكي وطعنوا في ذي النّورين عثمان بن عفّان رضيّ الله عنه، ووصفوه وغيره من الصّحابة الّذين أنعم الله عليهم بالغنى والثّروة بأنّهم رأسماليّون، وهذا كلّه تلبيس وتضليل ومخادعة لشباب الأمّة حتّى يلبسوا لَبُسوهم ويسيروا وفق نظريّاتهم الإلحادية وآرائهم الكافرة الباطلة ولو كانوا يحبّون أبا ذرّ رضيّ الله عنه لآمنوا بربّ أبي ذرّ، ولآمنوا بالنّبيّ الّذي آمن به أبو ذرّ رضيّ الله عنه حقّ الإيمان، ولكنّها مجرّد تخطيطات للوصول إلى أهدافهم الدّنيئة وأبو ذرّ لو عاش لهؤلاء لأعلن عليهم سخطه ولزجرهم بما يستحقّون ولتبرّأ منهم إلى يوم يُبعثون..

4. إنّ الاشتراكيين "وخاصّة العرب منهم" يتمسّحون بأبي ذرّ رضيّ الله عنه ويتستّرون تحت موقفه الشّهير من الأموال لكيّ يلبّسوا على النّاس بأنّ الإسلام في حدّ ذاته دين اشتراكيّ ـ قاتلهم الله على كذبهم ـ وموقفهم هذا من أجل التّلبيس والمراوغة والمداهنة حتّى لا يثور العوام المسلمون عليهم، وإلاّ ما دخلهم في أبي ذرّ وهم يسخرون من الإسلام ورسول الإسلام عليه الصّلاة والسّلام ؟ والجميع يعلم أنّ الفكر الكافر له حيل (وهو يتمثّل بعدّة تيارات أهمّها التّيار الشّيوعي والتّيار الماسوني، وهما تياران يقومان على نقض الدّين من أساسه لكن بطريقة لولبيّة وأساليب حلزونيّة، تجذب الأعمار من الشّباب الّذين فتنتهم الدّنيا بزخرفها).[1]

---

[1] (التّصفية والتّربيّة) للشّيخ الفاضل "علي حسن عبد الحميد الحلبي الأثري" [ص 34].

فالاشتراكيّون يتّهمون كلّ من يطالب بتحكيم شريعة الله ويؤمن بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ولكلّ بيئة لأنّه دين الله الخالد بالتّخلّف والرّجعيّة والتأخّر فمن أين جاءهم حبّ أبيّ ذرّ هذا ؟..تاالله هذا كلّه ضلال وتضليل، ورغبة في نشر الكفر والقضاء على الدّين.

5. و"ابن باديس" بتديّنه كان يجب عليه أن يبتعد عن هذا الباطل وأن يتفطّن إلى حيل الشّيوعيين الاشتراكيين ولا يقع في مصيدة هؤلاء وفي فخّهم، ومن العار عليه أن يصف أبا ذرّ بأنّه أوّل اشتراكي فيكون قد أعطاهم فرصة لوصف صحابيّ جليل بذلك الوصف المقبوح، ويكون قد فتح المجال لهؤلاء بأنّ الإسلام والاشتراكيّة متقاربان ولهما نقاط التقاء وغيرها من الادّعاءات الدّاعية إلى الوصول إلى تحطيم الإسلام باسم التّستّر بالإسلام.. ووالله لقد أخطأ "ابن باديس" خطأ جسيما وهدم بذلك القول كلّ العبارات الجميلة الّتي كتبها عن أبي ذرّ (رضيّ الله عنه) شاء أم أبى، وإنّه من المؤسف حقّا أن يقع الدّعاة إلى الله في مثل هذه القبائح الّتي يشوّهون بها الإسلام من حيث أرادوا أم لم يريدوا، "فابن باديس" ينضمّ إلى الدّعاة الإسلاميين كدعاة الإخوان المسلمين وغيرهم من رجال الحركة المعاصرة في وصف أبي ذّر بأنّه اشتراكي، فيكون قد سبق "سيّد قطب" إلى ذلك، و"سيّد قطب" اتّخذ من قصّة أبي ذرّ رضيّ الله عنه فرصة للطّعن في الخليفة الرّاشد عثمان رضيّ الله عنه واعتبار خلافته فجوة بين خلافة عمر وخلافة علي رضيّ الله عنهما، ولكنّ الله الّذي حمى دينه بالعلماء العدول الّذين ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين قيّض "لسيّد قطب" ومن شاكله العلماء الأفذاذ، ومن ضمنهم الشّيخ "ربيع بن هادي" الّذي أجاد وأفاد في الرّد على "سيّد قطب" وفريته على أبي ذرّ رضيّ الله عنه، وذلك في كتابين رائعين هما (أضواء إسلامية على عقيدة "سيّد قطب" وفكره) و(مطاعن "سيّد قطب" في صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم)، فلتراجع في هذا المضمار.

إنّ الشّيخ "ابن باديس" أعظم الفرية على أبي ذرّ بأنّه أوّل اشتراكي، فجنى على ذلك الصّحابي الجليل جناية عظيمة لأنّ الاشتراكية كفر واتّهام للدّين بالنّقصان وعدم الشّمولية والإحاطة بكلّ ما فيه سعادة المرء في الحياة الدّنيا وفي الآخرة والآخرة خير وأبقى، فكان على الشّيخ "ابن باديس" أن يصف فهم أبي ذرّ في هذه المسألة بالشّذوذ ومخالفته لصحابة أفضل منه مقاما وأعلى منزلة كالخلفاء الرّاشدين مثلا، وكان عليه أن لا يحوم أبدا حول حمى وصفه بالاشتراكيّة لأنّ الاشتراكيين انتظروا هذا منه فهلّلوا بهذا الوصف بدون شكّ خير تهليل، وحزن المتديّنون العارفون لمكانة أبي ذرّ رضيّ الله عنه ولمكائد الاشتراكيين غاية الحزن، فإلى الله المشتكى من خطأ يقع فيه واحد "كابن باديس" وهذا ما يزيدني اقتناعا بأنّ هذا الشّيخ له أخطاء فادحة تنأى به عن السّلفية وعن فهمها النّقي الواسع..

ويمكن القول في نهاية المطاف بأنّ الاشتراكيين الملحدين صرّحوا في كتاباتهم جهرة أنّ الاشتراكية ليست فكرة اقتصادية فحسب بل هي فكرة شاملة تهدف إلى تغيير فكر الفرد في جميع جوانب حياته، وهذا لتوصل المسلم صراحة إلى الكفر والزّندقة، وقد برز هذا الاتّجاه بقوّة في مقالات نشرتها عشرات الجرائد ومن ضمنها مقال لصحفيّ مفكّر شيوعي

اشتراكي اسمه "إبراهيم خلاّص" وتولّت نشر هذا المقال الّذي يفيض كفرا وسخريّة بالدّين جريدة "الشّعب" السّورية، وكان ذلك بتاريخ (ماي 1967) فقال فيه ذلك الفاجر الملحد ما يلي :« استنجدت أمّة العرب بالإله، فتّشت عن القيّم القوميّة في الإسلام والمسيحيّة، استعانت بالنّظام الإقطاعي والرّأسمالي وبعض النّظم المعروفة في العصور الوسطى كلّ ذلك لم يجد فتيلا ومع كلّ هذا شمّرت أمّة العرب عن ساعديها ونظرت بعيدا لترى طفلها الوليد يقترب شيئا فشيئا..وهذا الوليد ليس إلاّ الإنسان الجديد.. الإنسان المتمرّد على جميع القيّم المريضة الهزيلة في مجتمعه الّتي هي ليست إلاّ وليدة الإقطاع والرّأسمال والاستعمار.. تلك القيّم الّتي جعلت من الإنسان العربي إنسانا متخاذلا لا متواكلا، إنسانا جبريا مستسلما للقدر..إنسانا لا يعرف إلاّ أن يقول : "لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم" ، أمّا القيّم الجديدة الّتي ستخلق الإنسان العربي الجديد فهي قيّم نابعة من صلب الإنسان المتمرّد العذب، نابعة من قلب الإنسان الجائع نابعة من الإنسان الاشتراكي الثّوري الجديد، الّذي لا يؤمن إلاّ بالإنسان وبالإنسان وحده، والطّريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الإنسان الاشتراكيّ العربيّ الجديد الّذي يؤمن أنّ الله والأديان، والإقطاع والرّأسمال والاستعمار والمُتخمين، وكلّ القيّم الّتي سادت المجتمع السّابق ليست إلاّ دمى محنّطة في متاحف التّاريخ، ونحن إذ نشترط من إنساننا الجديد رفضه للقيم السّابقة علينا أن نضع قيما جديدة ومحدودة ليست هناك سوى قيمة واحدة وهي الإيمان المطلق بالإنسان القدري الجديد، الإنسان الّذي لا يعتمد إلاّ على نفسه وعمله وما يقدّمه للبشريّة جمعاء لأنّه يعلم نهايته الحتميّة..الموت، وليس غير الموت، لن يكون هناك نعيم أو جحيم، بل سيصبح ذرّة تدور مع دوران الأرض لذلك هو مضطرّ إلى أن يقدّم كلّ ما يملك لأمّته ولإنسانيته دونما مقابل»، فانظر إلى هذا الاشتراكيّ الّذي أعلن كفره صراحة بالله وباليوم الآخر وبالأديان ووصف كلّ ذلك بالدّمى التّاريخيّة المحنّطة، فهل بقي لأن يشكّ شاكّ بأنّه قد تجتمع الاشتراكيّة والإسلام في قلب واحد ؟ تالله إنّها ضلالات وكفريّات صريحة.. فهذا الملحد رفض أن تكون الاشتّراكيّة مقتصرة على الجانب الاقتصادي فقط، بل أعلن أنّها دين جديد ومذهب جديد يقوم على نقض الدّين من أساسه، ورفضِه ورفض تعاليمه، وحربه على الإسلام بالدّرجة الأولى لأنّ الدّيانات الأخرى كالنّصرانية و اليهودية قد حّرفت وغيّرت وبدّلت ولا حاجة لهم في التّركيز عليها لأنّها ليست عقبة في طريق الاشتراكيين الملحدين، أمّا الإسلام العظيم بكماله وشموله وعظمته واهتمامه بكلّ الجوانب الدّينيّة والدّنيوية فهو العقبة الكَؤُود في حياة هؤلاء، وهم يستهدفون محاربته بصفة رسمية وبالدّرجة الأولى كما قلت آنفا، ولذلك يجب على علماء الإسلام أن يتصدّوا لهؤلاء الكفّار، ولا يشبّهوا الاشتراكيّة بالإسلام في أيّ شيء ويكفيها خِزْيا وكفرا وعارا أنّها جاءت لهدم الدّين بينما جاء الإسلام ليخرج النّاس من الكفر إلى الإيمان، وكان على الشّيخ "ابن باديس" أن يكون يقظا حذرا، ولا يقع في وصف أبي ذرّ بأنّه اشتراكي فيكون قد وهب للاشتراكيّة الهدّامة وصفا لم يكن يحلم به أصحابها، حيث فتح لهم الباب ليتّخذوا من أبي ذرّ رضيّ الله عنه اللّواء الّذي يتغطّون تحته لمحاولة خداع العوام بأنّ الإسلام لا يحارب الاشتراكيّة، وكيف لا يحاربها الإسلام وهي الكفر عينه والإلحاد ذاته ؟! لذلك لسنا بحاجة إلى «استعمال مصطلحات

غريبة لوصف الإسلام كوصف الإسلام بأنّه دين ديموقراطي أوالإشارة إلى اشتراكية الإسلام، أو أنّ الإسلام دين اشتراكي، ممّا لا يجوز إطلاقه على الإسلام، فالإسلام هو الإسلام والمسلم هو المسلم»[1]، فليعتبر الجميع بهذا..

[1] (معالم الهدى إلى فهم الإسلام) "لمروان القيسي"، [ص 104].

مواقف متنوّعة لابن باديس ورجال جمعيّته

وبيان المخالفات في ذلك

من خلال تتبّعي لشخصيّة الشّيخ "ابن باديس" ولبعض رجال جمعيّة العلماء المسلمين وجدت بعض الأخطاء المتناثرة من هنا وهناك، وهي أخطاء لا بدّ من الوقوف عندها حتّى لا تتوارثها النّاشئة باعتبارها صدرت من شيوخ "كابن باديس" و"الإبراهيمي" و"العربي التّبسي"، وغيرهم من مشاهير رجال جمعية العلماء المسلمين ومن هذه المواقف ما كتبه أحد المؤلّفين[1] عن "ابن باديس" فجاءت كتابته كالتّالي : « نظّم الشّاعر المعروف الأستاذ "جلّول البدوي" موشّحا يتغزّل فيه بإحدى أولئك الفاتنات اللآئي يسرقن القلوب بجمالهنّ، ولمّا انتهى منه وقد أفرغ فيه عواطفه وإبداعاته بقدر ما يهزّ النّفوس ويرضي الجمال، وجاء موشّحا كأنّ مقاطعه بسمات ثغر ولحظات عين، وتثنيّات قدّ والتفاف جسم انتشى له وطرب، ورأى أنّ مولودا مثل هذا يجب أن يرى النّور، وأنّ وأده في درج المكتب أو بين الكتب والدّفاتر جريمة أدبيّة لا تغتفر، ففكّر في بعثه إلى صحيفة "الشّهاب" ـ قبل أن تتحوّل إلى مجلّة ـ ولكن كيف ذلك وصاحبه الإمام الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" ؟! فهل من الأدب والذّوق أن يبعث إلى إمام في التّفسير والحديث والفقه، موشّحا في الغزل لينشره في صفحة تخدم الدّين والوطن ؟ ولكن طموح الشّباب حكم حكمه الّذي لا يردّ ولا ينقض، فبعث بالموشّح إلى الشّيخ "عبد الحميد" مغفلا من العنوان، وما راع الشّاعر إلاّ أن يرى موشّحه منشورا في العدد الأوّل من الصّحيفة وقد اختار له الشّيخ عنوانا شاعريّا يشف عن ذوقه الأدبي الممتاز وعن روحه الخفيفة : "غزل عفيف في غزال ظريف"»[2]، وجواب هذه القصّة يكون كما يلي :

1 ـ أنّ شعر الغزل شعر محرّم في ديننا، وأنّ الشّاعر وجد في نفسه حرجا من إرسال القصيدة لشيخ "كابن باديس" رحمه الله، وهذا موقف فيه تقدير من الشّاعر "جلّول البدوي" "لابن باديس" لأنّ العالِم المتديّن لا يشتغل بأمور حرّمها الله تعالى، ولا يأذن بنشرها في جريدة يشرف عليها، ولكن وقع ما لم يكن متوقّعا، فقد نشر الشّيخ "ابن باديس" القصيدة وعَنْوَنها بعنوان لا يجوز لأمثاله استعماله، أقلّ ما يقال في ذلك أنّه من خوارم المروءة بالنّسبة لعالِم الجزائر الأوّل والأكثر احتراما..

---

[1] هو "محمّد الصّالح الصّديق"، حيث ذكر هذا المؤلّف في الهامش أنّ الّذي حدّثه بالقصّة هو الشّاعر "جلّول البدوي"..

[2] الإمام الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" من آرائه ومواقفه "لمحمّد الصّالح الصّديق"، [ص 132].

2 ـ كان على الشّيخ "ابن باديس" أن يقرأ القصيدة، ولمّا يجدها في شعر الغزل يبيّن حكم ذلك في مقال ينشره بين النّاس، حتّى يعلّمهم الفرق بين الشّعر الحسن والشّعر القبيح، وبلا شكّ إذا دار موضوع القصيدة حول وصف "إحدى الفاتنات اللآئي يسرقن القلوب بجمالهنّ" على حسب تعبير كاتب هذا المقال فإنّ الواجب الشّرعي يقتضي من "ابن باديس" نهيّ الشّاعر عن التّغني بمثل هذا، وبأنّ هذه النّوعيّة من الشّعر في الإسلام مرفوضة جملة وتفصيلا، حتّى ولو بلغت الذّروة في الصّياغة الأدبيّة وفي التّفوّق الشّعري.

3 ـ إنّ صدّ الباب في وجه شعر "الغزل" هو حماية للمجتمع المسلم من أن تتسرّب بين أبنائه الخلاعة والمياعة والتّلاعب بالأحكام الشّرعية ونشر الفسق والمجون، وبالتّالي غلق هذا الباب يفضي إلى تشجيع من أراد أن يتعاطى الشّعر إلى انتقاء مواضيع سليمة في معناها، خالية ممّا حرّم الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم.

ويواصل صاحب المقال مقاله بالكتابة عن حادثة أخرى تحطّ من قيمة بعض المنتمين إلى جمعيّة العلماء المسلمين فيقول : « وكان الإمام رحمه الله[1] لا يتحرّج من نشر ما يراه ظريفا لطيفا من روائع الوصف أوالغزل فمن ذلك مساجلة أدبيّة بين الشّعراء الثّلاثة "جلّول البدوي" و"أحمد سحنون" و"محمّد العيد"، وخلاصتها أنّهم كانوا جلوسا في متنزّه جميل بالعاصمة (الجزائر) فمرّت أمامهم فتاة ساحرة اللّفتات، تميل كالغصن الرّطب، فحرّكت شاعريّتهم فتفجّرت بما يلي :

جلّول البدوي

وفتاة مرّت بنا ذا صباح ❖❖❖ تتثنّى كأنّها غصن بان

[1] يقصد بالإمام "ابن باديس".

أحمد سحنون

ثـمّ ولّـتْ ومـا رثَـتْ لـقـلـوب ❖❖❖ رشـقـتْـها بـلـحظـها الـفـتّـان

محمّد العيد

قـرّبـتْ وصـلـَها الـقلوبُ ولكن ❖❖❖ حَالَ من دونها اختلاف اللّسان

جلّول البدوي

ربّة الدل داركي أنفـسا حيـارى ❖❖❖ تـعـانـي مـن الضّنى ما تـعـاني

لفـتـةً تـرجـع الحيـاة إلـى الـقلـب ❖❖❖ وعطفـا يعـيد ميـتَ الأمـانـي

أحمد سحنون

وارتـشـافـا مـن خمر ريقِك يطغِي ❖❖❖ ما بنـا مـن لـواعـج الأشـجـان

وابـتـسـامـا يـنـيـر ظلمة نـفس ❖❖❖ عُذِّبتُ بـالصّدود والـهـجـران

محمّد العيد

احسني فالحسانُ في شرعة الآداب ❖❖❖ أولـى الأنـام بـالإحـسـان

مـلـك الـحـسنُ أمرنـا فـأرانـا ❖❖❖ كيف يُبلَى الإنسان بـالإنـسـان

ذكّرت الأستاذ "البدوي" بهذه المساجلة، فتهلّلت على وجهه بسمة عريضة وهو يقول : إنّها نفثة من نفثات الوجدان ولمعة من لمع الشّباب»[1].

هذه الحادثة الّتي نشرت في "الشّهاب"[2] إحدى الجرائد (وبعد ذلك إحدى المجلاّت)، الّتي تعتبر لسانا ناطقا لجمعيّة العلماء المسلمين، تعدّ وصمة أسف في جبين جمعيّة العلماء، إذ أنّ تلك المساجلة الأدبيّة، هي دعوة إلى الفسق بشعر كلّه مجون، فهو وصف لفتاة، ولعذاب من نظر إليها لأنّه فُتن بها، وعليه أقول :

أ. أين الدّعوة إلى غضّ البصر الّتي أُمِر بها الرّجال والنّساء في ديننا على حدّ سواء ؟ فقد قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ

---

[1] الإمام الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" من آرائه ومواقفه "لمحمّد الصّالح الصّديق"، [ص133 . 134 . 135 . 136].

[2] الشّهاب [ج3، م14] . ربيع الأوّل 1357هـ ماي 1938م.

ويحفظن فروجهنّ ولا يبدين زينتهنّ إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ» [1] ؟ أين غضّ البصر في هذه الحادثة ؟.

ب.إنّ الشّباب المولع بمعاكسة الفتيات في الشّوارع لن يجد فرصة أحسن من هذه، إذ أنّه سيستدلّ بهؤلاء الرّجال وبهذه المساجلة وبتلك الأبيات الّتي تفيض بشعر الغزل المحرّم، وسيقول : إذا كان هذا حال رجال من جمعيّة العلماء المسلمين فما بالنا بأنفسنا ؟.. وسيقول : لو كان هذا الأمر حراما ما أذن الشّيخ "ابن باديس" على جلالة قدره بنشره.

ج.هذه المساجلة الشّعرية لو دوّنت في الدّواوين الشّعرية لكان هذا أسلم، أمّا أن تنشر ضمن جريدة تابعة لعلماء متديّنين، أهدافهم دينيّة، ودعوتهم دينيّة، فهذا ما لا يليق أبدا.

والحقيقة أنّ الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله نفسه كان عليه أن يرفض تسويد صفحات جريدة يشرف عليها بمثل هذا الشّعر الفاسق، وإذا كنت قد عبثُ فيه في فصول سابقة احتفاله بذكرى الشّاعرين "أحمد شوقي" و"حافظ إبراهيم"، فإنّني الآن أقطع بأنّ هذا الشّيخ له ميول شعرية دون أن يفرّق للقرّاء بين الشّعر الجائز والشّعر الممنوع، فلا غَرو أن يكون من المشاركين بذكرى "شوقي" و"حافظ" لأنّه يبدو أديبا في هذا المقام أكثر منه رجل إصلاح ودعوة، وإمام تفسير وفقه وغيرهما من العلوم الشّرعية وإذا كانت جمعية العلماء تفتح المجال لمثل هذا الشّعر أن يغزو جرائدها ومجلاّتها فمن أين تأتي العافية؟!..

هذا موقف من المواقف الّتي لفتت انتباهي واحتجت إلى التّوقف عنده.. أمّا الموقف الثّاني الّذي لفت انتباهي أيضا فهو أنّني قرأت في أحد أعداد جريدة "البصائر" [2]، وهي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين تعزية للوالي العام للقطر الجزائري، وهو رجل نصرانيّ كافر على وفاة عقيلته ونصّ التّعزية كان بعنوان "وفاة مَادَام لوبو" وكانت كلماته كما يلي: « في الأسبوع الماضي اخترمت يد المنيّة عقيلة الوالي العام للقطر الجزائري مَادَام "لوبو"، وذلك على إثر عمليّة جراحيّة لها ببلاد فرنسا كانت غير ناجحة، فإلى جناب والينا العام المحترم وكّل أفراد عائلته نرفع باسم جمعية العلماء المسلمين تعازينا الحارّة وتأسّفاتنا العميقة، راجين لهم جميل الصّبر وحسن العزاء»، هذا الموقف من جمعية العلماء المسلمين لفت نظري لعدّة اعتبارات منها :

---

[1] سورة النّور [الآية 30 و 31].

[2] العدد (1) وقد صدرت بتاريخ الجمعة 1 شوّال 1354 . [ص 7].

1. أنّ علاقة الجزائري بالفرنسي علاقة عداوة وبغضاء، لأنّ فرنسا احتلّت بلادنا وطمست معالم ديننا بتحويل المساجد إلى كنائس إلى جانب اعتداءات أخرى على كلّ القيّم الإسلاميّة، واعتداءات على اللّغة العربيّة وعلى ممتلكات الشّعب الّذي دمّرته من جميع النّواحي بتشريده والتّنكيل به وتعذيبه، ولا شكّ أنّ جمعية العلماء ما قامت إلاّ للوقوف في وجه فرنسا وقفة حقيقيّة أيّ دينا وخلقا ودنيويّا، فما لنا ولوفاة "مدام لوبو" حتّى نتحسّر عليها ونعزّي أهلها لفقدانها، ونعزّي رجلا قاعدا ظلما وعدوانا على ولاية القطر الجزائري ؟ هذه التّعزيّة عندما تصدر من السّياسيين لمجاملة بعضهم البعض تكون مألوفة لأنّ دنيا السّياسة العصرية قائمة على الكذب والدّسائس والمداهنة، ولكن عندما تصدر من جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين، آنذاك يختلف الموقف، لأنّ العلماء من المفروض أن يصدّوا عدوان فرنسا وأن لا يجاملوها لا في الصّغير من الأمور ولا في الكبير.

2. ما حكم تعزيّة الكافر على وفاة قريبه الكافر أوحتّى على تعزيّة المسلم بوفاة قريبه الكافر الجواب لا يجوز ذلك ودليله : «عن عليّ بن أبي طالب رضيّ الله عنه قال : لمّا توفيّ أبو طالب، أتيتُ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقلتُ : إنّ عمّك الشّيخ [الضّال] قد مات [فمن يواريه]، قال : اذهبُ فَواره، ثمّ لا تحدثْ شيئا حتّى تأتيني، [فقال : إنّه مات مشركا، فقال : اذهب فَواره]، قال : فَواريتُه ثمّ أتيته، قال : اذهب فاغتسل ثمّ لا تحدث شيئا حتّى تأتيني، قال : فاغتسلتُ ثمّ أتيته، قال : فَدَعَا لي بدعوات ما يسرّني أنّ لي بها حُمُر النِّعم وسُودَها، قال : وكان عليّ إذا غسل الميّت اغتسل ».[1]، فمن الملاحظ في هذا الحديث عدم تعزية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لابن عمّه علي رضيّ الله عنه بمناسبة وفاة أبيه أبي طالب، وقد تفطّن لهذا شيخنا العلاّمة الكبير ومحدّث العصر الشّيخ "الألباني" رحمه الله في كتابه (أحكام الجنائز وبدعها)، فقال معلّقا وموضّحا فكرة التّعزية ما يلي :

« ومن الملاحظ في هذا الحديث أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يُعزِّ عليّا بوفاة أبيه المشرك، فلعلّه يصلح دليلا لعدم شرعيّة تعزيّة المسلم بوفاة قريبه الكافر، فهو من باب أولى دليل على عدم جواز تعزيّة الكفّار بأمواتهم أصلا».[1] هذا مع كون أبي طالب قد آزر

---

[1] قال "الألباني" رحمه الله في تخريج هذا الحديث : أخرجه أحمد [رقم 7 . 8] وابنه في زوائد "المسند" رقم [1074] من طريق "أبي عبد الرّحمان السُّلمي" عنه. قلتُ وسنده صحيح.. ومن أراد التّوسّع في معرفة الطّرق المتنوّعة الّتي ورد عن طريقها هذا الحديث، فليرجع إلى كتاب (أحكام الجنائز وبدعها) لعلاّمة العصر "الألباني" رحمه الله [ص 170 و171 و172].

[1] انظر [ص 169] من (أحكام الجنائز وبدعها).

الرّسول صلّى الله عليه وسلّم خير مؤازرة ونصره على قومه خير نصرة، حتّى أنّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام شهد على نفسه أنّه ما نالت منه قريش من الأذى ما نالت بعد وفاة أبي طالب، وفي تلك الشّهادة خير شاهد لأبي طالب على مدى حبّه لنبيّنا الكريم صلّى الله عليه وسلّم ولكنّه مات على الشّرك، ورغم حبّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم العظيم لعمّه وذكره له من حيث المؤازرة بكلّ خير إلاّ أنّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام علّمنا أن لا نُحابي أحدا في دين الله، فما بال جمعيّة العلماء تتّخذ مواقف المجاملات مع فرنسا، والوقت ليس وقت المجاملات بل هو وقت الحضّ على جهادها وطردها من الجزائر، فالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يعزّ عليّا بوفاة أبي طالب رغم مساعدة هذا الأخير للنّبيّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم على الوقوف في وجه قريش، فأين أبو طالب (رغم شركه) من هؤلاء الّذين كفروا وأشركوا واعتدوا وظلموا واحتلّوا بلادا ليست بلادهم حتّى نعزّيهم في أهاليهم ؟
أعتقد أنّ جمعيّة العلماء ليس لها دقّة سلفية في تمحيص الأمور، وهذا ما يتبيّنه القارئ بلا شكّ في كلّ ما عرضته آنفا..

إنّ المتصفّح لأعداد جريدة "البصائر" لا يستشف الرّوح السّلفية في المواضيع المكتوبة على صفحاتها، بل يجد أنّها جريدة "إسلامية" كغيرها من الجرائد الّتي يشرف عليها الإخوان المسلمون أوالفكريّون وغيرهم، والأصل في المجلّة أو الجريدة الّتي تكون ذات عقيدة سلفية ومنهج سلفيّ واضح لا غبار عليه، أن تدعو إلى تصحيح المفاهيم المعوجّة في جميع المجالات، فتصحّح العقائد الضّالة، وتنبّه على العبادات المبتدعة، وتدعو إلى المنهج السّلفي بكلّ وضوح، أمّا أن تدّعي الجريدة "السّلفية" ثمّ تنشر عبر صفحاتها ما يناقض السّلفية جملة وتفصيلا فهنا يصير منهج أصحابها مُختلاًّ، وتكون تلك الجريدة آنذاك مجرّد جريدة "إسلاميّة" تدعو إلى إسلام غير مصفّى، إسلام يفهمه أصحابه بعيدا عن فهم السّلف الصّالح.. وأيّ محاولة لفهم الإسلام دون الرّجوع إلى فهم الصّحابة رضيّ الله عنهم ومن كان على نهجهم ستكون وبالا على الإسلام، ولن تعود بأيّ نفع على الأمّة المسلمة..
إنّ جريدة "البصائر" وهي لسان حال جمعيّة العلماء المسلمين تحمل في صفحاتها أفكارا غير سلفيّة بالمرّة، لأنّ المجلّة (أو الجريدة) السّلفية من المفروض أن تدعو عبر صفحاتها إلى ما يلي :

1. تصحيح العقائد الفاسدة والدّعوة إلى العقيدة الصّحيحة ونبذ الشّرك ومظاهره.
2. تصحيح الانحرافات في العبادة ونبذ البدع ومحدثات الأمور.
3. تصحيح المنهج ورفض خزعبلات الحركيّين والعقلانيين.
4. رفض الدّعوة إلى تكتيل المسلمين قبل تصحيح عقائدهم ومناهجهم الملتويّة المضطربة.

5. نشر المقالات المفيدة، وإذا حدث وأن نُشر مقال لا يمثّل التّصور السّلفي الصّحيح، فالواجب على المسؤولين على الجريدة أو المجلّة، أن يبيّنوا فساد المقال بالرّد عليه وكشف عواره حتّى لا ينخدع به القرّاء.

6. المجلّة السّلفيّة لا تقلّد طريقة اليهود والنّصارى في جرائدهم ومجلاّتهم، بل تسعى إلى استقلالية شخصيّتها، حتّى يميّز القارئ لها بأنّها مجلّة تدعو إلى التّوحيد وإلى الخطّ السّلفي الّذي أمرنا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم باتّباعه.

هذه شروط أوّلية وهناك شروط أخرى يجب توفّرها في المجلّة السّلفية أو الجريدة السّلفية، ولو فتحنا جريدة "البصائر" لوجدناها مليئة بما ينافي السّلفية في جميع المجالات.

ففي المجال العقائدي تجدها غير واضحة المعالم فتجدها تنشر أمورًا تُنافي المعتقد الصّحيح دون أدنى إشارة إلى خطورة ذلك، بل في بعض الأحيان تزكّي ما تنشر بصرف النّظر عن فساده وانحرافه عن المعتقد القويم والمنهج الصّحيح.. مثال ذلك ما نشر في "البصائر" العدد "42" ص [335] من تزكية قصيدة لشاعر لبنانيّ نصرانيّ، قال في قصيدته ما يلي :

لبنان يسكن في جفون الشّام	❖❖	قُبلا كَذَوْب الطّل في الأكمام
قُبل الشّقيق إلى الشّقيق حملتها	❖❖	ومزجت فيها صبوتي وهيامي
قالت تحبّ الشّام قلت وهل سوى	❖❖	بردي يبرد يا شام اوامي
الشّرق شرقيّ أين لاحت شمسه	❖❖	ودم العروبة في دمي وعظامي
لي في هوى وطني كتاب خالد	❖❖	يبقى على المكتوب من أيّامي
سجّلتُ "نصرانيّتي" في متنه	❖❖	ونشرت فوق سطوره إسلامي
أتقوم سوق عكاظ تحت سمائها	❖❖	وأعافها وابن الحسين أمامي ؟
هو ثار ثورته فهل من شاعر	❖❖	ليعيدها في دولة الأقلام ؟
نبغي الجديد، وما الجديد بنافع	❖❖	إن لم يكن في القول والإلهام

هذه القصيدة تفيض بالمخالفات العقدية من ذلك : أنّ فيها التّشجيع كلّ التّشجيع على فكرة وحدة الأديان حيث أشار الشّاعر أنّه سجّل نصرانيّته في متن وطنه ونشر فوق سطوره إسلامه، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على خدمة وحدة الأديان الّتي ابتدعها

اليهود والنّصارى والّتي انطلت على السّذج وقاصري العقول وضعاف البصيرة من المسلمين.. كيف يتمّ التّوحيد مع أعداء الله الّذين حرّفوا الكلم عن مواضعه وعادوا نبيّ الله محمّدا صلّى الله عليه وسلّم بكلّ ما أتوا من قوّة ؟.. إنّ ربّنا عزّوجلّ أخبرنا أنّ اليهود والنّصارى لن ترضى عن نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم حتّى يتّبع ملّتهم، وذلك في قوله عزّوجلّ : « ولَنْ ترضى عنك اليهود ولا النّصارى حتّى تتّبع مِلّتهم قل إنّ هدى الله هو الهدى ولئِن اتّبعت أهواءهم بعد الّذي جاءك من العلم مالك من الله من وليّ ولا نصير»[1]. كما أخبرنا عزّوجلّ أنّ أهل الكتاب يحسدوننا على نعمة الإسلام ويودّون لو أصبحنا من بعد إيماننا كفّارا وهذا في قوله سبحانه وتعالى : « ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفّارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ»[2]، فهل نحن أعلم أم الله تعالى ـ تالله هذا بهتان عظيم ـ الله يخبرنا بما يضمر لنا أهل الكتاب من كراهية، وأهل وحدة الأديان يصرّون على جمع المسلمين بأعدائهم، والله هذه قاصمة الظّهر لو كانوا يعلمون، هذه القصيدة المنادية بعدم التّفريق بين النّصرانية والإسلام والدّاعية إلى "القوميّة" واعتبار هذه الأخيرة ديانة تحلّ محلّ الشّرائع السّماويّة، على أساس أنّنا كلّنا عرب ولا فرق بين النّصراني والمسلم، هذه القصيدة المناوئة لتعاليم الإسلام تُنشر في جريدة كجريدة "البصائر"، ولا تحظى بأيّ نقد أو ردّ صارم يدحض هذه العقائد الفاسدة كوحدة الأديان والدّعوة إلى جعل القوميّة فوق المعيار الدّيني، بل من العجيب أن أقول إنّها حظيت من المشرفين على إدارة شؤون الجريدة بكلّ إعجاب واستحسان، بل بتزكيّة عظيمة حيث وُصفت القصيدة وصاحبها بما يلي : **«** الأبيات الرّائعة الّتي استهلّ بها الدّكتور "نيكولا فيّاض" مندوب لبنان في مهرجان المتنبّي خطابه الشّائق، وقد كان لها أجمل وقع في النّفوس**»**.. فهل تصلح هذه القصيدة أن تزكّى أم أن يحذّر المسلم منها ومن مثيلاتها ؟.. أين سلفية المنتمين إلى جمعية العلماء ؟.. أين التّحذير من الفساد العقدي ومن الأفكار العقدية الخطيرة ؟..أين تصحيح المفاهيم العقدية الفاسدة ولو كانت في أبيات شعرية ؟.. إنّ العالِم الرّباني يجب أن يكون بالمرصاد حتّى لصغار الأمور فما بالنا بمسائل الاعتقاد الّتي تدور عليها رحى الإسلام ؟..فها هو شيخ هذا العصر وعالمه الكبير الشّيخ "محمّد ناصر الدّين الألباني" رحمه الله رحمة واسعة يُسأل عن بيت شعريّ للشّاعر التّونسي الرّاحل "أبي القاسم الشّابي"، وهذا البيت الشّعري أشهر من نار على علم، ويقرّر حتّى في البرامج الدّراسيّة سواء في المرحلة الثانويّة أو المرحلة الّتي تسبقها بقليل، رغم ما يحويه من مزالق عقديّة خطيرة، وهذا البيت هو قول "الشّابي" :

إذا الشّعب يوما أراد الحياة ❖❖ فلا بُدّ أن يستجيب القدر

---

[1] سورة البقرة، [الآية 120].

[2] سورة البقرة، [الآية 109].

قلتُ : هاهو الشّيخ "الألباني" رحمه الله يُسأل عن رأيه في هذا البيت، فيجيب بكلّ قوّة وإتقان بما يلي : « هذا كفر بعينه، هذا يدلّ على أنّ النّاس ابتعدوا عن العلم ولم يعودوا يعرفون ما يجوز وما لا يجوز ما يجوز لله وحده وما لا يجوز لغيره، وهذا من الغفلة، وهي من الأسباب الّتي أوحت لبعض الشّعراء المعاصرين أن يقول ذلك وأن تتبنّى ذلك الإذاعات العربيّة كنشيد قومي عربي فتقول : (إذا الشّعب يوما أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر).. يعني القدر تحت مشيئة الشّعب، وهذا عكس قوله تعالى : « وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله»، ومن العجيب أن يردّد هذا الشّعر رجل في البعثة الجزائريّة للحجّ فبدأ يتكلّم في موضوع الوحدة الإسلاميّة وهو يتكلّم في البعثة الجزائرية للحجّ، فبدأ يتكلّم في مجلس كبار رجال الدّعوة الإسلاميّة وأمام أبصارهم وأمام المشايخ، فينشد هذا البيت فيقول : (إذا الشّعب يوما أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر).. بعض المشايخ تكلّم : "إيش هذا الكلام" أكبر غفلة من الإيمان بالقضاء والقدر»[1]. فانظر ـ يرحمك الله ـ أيّها القارئ إلى دقّة شيوخ السّلفية وكيف أنّهم لم يستسيغوا السّماع لهذا البيت الشّعري لأنّه يحمل كفرا والعياذ بالله، وانظر إلى تساهل جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين في نشر الكفر على صفحاتها وعدم تحذير القرّاء من خطورة ما يقرأون.. وإذا غفل عالِم عن هذا وجب على عالم آخر التّفطّن لذلك..وكونهم سكتوا جميعا عن مثل تلك المعتقدات فهذا دليل على أنّهم رضوا بنشر القصيدة كما هي مع تزكيّتها ووصفها بالرّائعة.. وهناك مقال آخر استوقفني ولفت انتباهي، وكاتب هذا المقال هو الشّاعر الجزائري المعروف "مفدي زكرّيا" كتبه وهو في شبابه، وأرسله إلى جريدة "البصائر" وحظي مقاله بالنّشر وبالإعجاب رغم أنّ المقال يحتوي على فكرة خطيرة، وهي المناداة بتوحيد الصّف وعدم التّفريق بين المسلمين في مسائل الاعتقاد، ولا يخفى على كلّ سلفي ما في هذه الفكرة من شرّ، إذ أنّ أصحابها لا يفرّقون بين صاحب المعتقد الصّحيح وصاحب المعتقد الفاسد، فيجمعون السّلفي والخلفي والإباضي والشّيعي والأشعري تحت اللّواء الواحد، رغم أنّ هذا من المستحيلات إذ هل يستوي الخير والشرّ وهل تستوي الظّلمات والنّور، بل إذا تسنّى لهم ذلك يجمعون المسلم حتّى مع اليهودي والنّصراني إن أمكنهم ذلك، وقد كتب "مفدي زكريّا" في مقاله ما يلي :

« الحمد للّه : حضرة الأستاذ الأكبر العلاّمة أبي الجزائر الجديدة الشّيخ "سيدي الطّيب العقبي"، سلاما عاطرا وتحيّة مباركة، أمّا بعد، فلا يخفاكم يا سيّدي أنّ الشّعب الجزائري يتحفّز اليوم للوثوب نحو حياته الجديدة الرّهيبة الملأى بالمغامرات،

---

[1] الحاوي من فتاوى الشّيخ "ناصر الدّين الألباني".. إعداد "أبي همام المصري"، [1/ 64].. وتجدر الإشارة إلى أنّ صاحب هذا الكتاب أخذ فتاوى الشّيخ "الألباني" ودوّنها من الأشرطة دون إذن من الشّيخ نفسه رحمه الله.. وهذا سطو على علم الشّيخ لأنّ إعداد مثل هذا الكتاب يستلزم على صاحبه الاستئذان من المفتي نفسه.. ولكن من حيث النّقول عن الأشرطة فالنّقول صحيحة.

والمفعمة بالأماني الغالية والآمال العتيدة مدفوعا إليها بقوّة إرادته الجبّارة ومسوقا نحوها بعصوين قاسيتين، عصا النّشوء والارتقاء في دائرة الشّعور بالذّاتية الّتي بنيتم لها في قلوب الرّعية صروحا من يوم رفعتهم عقيرتكم بالصّرخة الكبرى نحو الحياة في هذه البلاد، وعصا الاستعمار العتيد الّتي أخذت مأخذها الذّريع من هيكل الأمّة المقدّس، وأثخنته جراحات داميات وتركته شلوا ممزّعا تتقاذفه الأقدام الأثيمة نحو غايات سافلة تقاذف الصّبيان كرة القدم، وكان حتما عليه ولزاما في نهضته هذه أن ينفر مجموع الأجزاء ملتئم الشّعث قويّ البنيّة ليستطيع الثّبات أمام الأعاصير والزّعازع الاستعماريّة الّتي تنتظره في الميدان العصيب، سيّما وقد قام الدّليل على بطلان كلّ نهضة تدسّ في بنائها الغام الفوارق وتنتشر بين صفوفها أوبئة الشّيع والطّوائف. ولمّا كان المنطق المعقول هو إقامة الأساس قبل الشّروع في البناء، كان حتما على زعماء هذه البلاد المريدين بها خيرا أن يرمّموا شقوقها ويضمّوا أجزاءها ضمّا محكما قبل أن يبعثوا بها غازية في ميدان الحياة، وأنّ الّذي يجسّ نبض الأمّة الجزائريّة مباشرة كحضرتكم يعلم مقدار الأوبئة الفتّاكة المنتشرة بين شرايينها من شقاق مبنيّ على فوارق طبيعيّة وخصومات (نصف دينيّة) هي من بقايا جنايات الآباء على البنين، هذا يعتزّ بحضريّته وهذا بزواويّته وذاك بقبائليّته والآخر بميزابيّته، والاستعمار من وراء ذلك يعتزّ بهذه الفوارق كلّها على محقنا جميعا ! ومحال أن توفّق نهضة على هذه الأشكال المتنافرة، ولقد سجّل لكم التّاريخ في ديوان البطولة أعمالكم في هذا السّبيل تلك الأعمال الخالصة الّتي استطاعت أن تقيكم مقام (الأبوّة الموقّرة) من هذا الشّعب العربيّ المسلم الكئيب، إلاّ أنّ الظّروف أصبحت مسرعة جدّا والحالة لا تمهلنا كثيرا، وبعض النّواحي الإداريّة تزيد الخرق اتّساعا وتسعى أن تكون لكلّ طائفة جمعيّة خاصّة بها اعتزازا بالقوميّة وإحياء الشّعوبيّة الممقوتة.. وبعض الذّوات المشبوهة تعين الإدارة على ذلك بإيعازات سرّية وعلنيّة وبكلّ وسيلة شريفة وغير شريفة، إزاء كلّ هذا رأت كتلة صالحة من العاملين تأسيس جمعيّة تحت رئاستكم باسم "جمعيّة التّوحيد" غايتها القيام بإزالة جميع الفوارق بين الطّوائف الإسلامية السّاكنة بهذه البلاد وتمتين العلاقات بين تلك الطّوائف وتطهيرها وتوحيد الرّغبات والأعمال تحت دائرة التّوحيد، وذلك بتنظيم محاضرات ومسامرات لهذا الصّدد في كلّ أسبوع وفي كلّ ناحية وعقد مؤتمر سنوي كلّ سنة في إحدى العمالات الثّلاث بالتّناوب، والقيام بإنشاء رسائل ونشريات تدعو للوحدة والوفاق وتشكيل قافلة سنويّة من الدّعاة والمبشّرين بالتّوحيد في دائرة التّوحيد.. إنّنا نرجوكم يا حضرة الشّيخ المحترم أن تجيبونا عن رأيكم في هذه المسألة الحيويّة الأساسيّة وتعاضدونا برئاستكم وأعمالكم الصّالحة، ولا نرى من غرابة في فكرتنا هذه بعد أن اتّخذ كلّ من في الأرض وبعد أن أصبح أبناء موسى وعيسى في الجزائر يخطبون ودّ أبناء محمّد، ويرجون اتّحادهم معهم لمصالح البلاد وخير الإنسانيّة المعذّبة والسّلام عليكم ورحمة الله ـ عن جماعة من المصلحين العاملين ـ "مفدي زكريا"»[1]، هذا المقال يحتاج إلى وقفات وهيّ :

---

[1] جريدة "البصائر" العدد 27 [ص 219].

1. لو كان قصد "مفدي زكريّا" إزالة الفوارق الوطنيّة لكان كلامه حقّا فلا فرق بين من انتمى إلى منطقة وبين من انتمى إلى أخرى، لأنّ المعيار السّليم هو مدى التّشبث بالإسلام والتّمسّك بتعاليمه، ولا شكّ أن فرنسا قد لعبت دورا كبيرا في تقسيم الجزائر، وإضرام نيران الفتنة بين أفراد الشّعب عن طريق بثّ نزعة الفخر والتّفاخر بالانتماء لهذه المدينة أو تلك البلدة، ولكنّ "مفدي زكريّا" لا يقصد إزالة الفوارق الوطنيّة.. إن صحّ التّعبير..بقدر ما يقصد التّجمع والوحدة ولو على حساب العقيدة، والشّاعر "مفدي زكريّا" نفسه (ميزابيّ)، ونحن لا نذمّ أهل ميزاب لكونهم من تلك المنطقة ـ حاشا لله ـ ولكن نعيب فيهم تمذهبهم بالمذهب الإباضيّ، وتعصّبهم لهذا المذهب لا يخفى على كلّ ذي بصيرة، ولو أراد الإباضيّون أن يتوحّدوا حقيقة لتراجعوا عن مذهبهم الباطل ولندموا على اعتناقه، ولكنّهم ـ والله على ما أقول شهيد ـ لا يفهمون الإسلام إلاّ من المنظور الإباضيّ ويدافعون عن مذهبهم هذا بالغالي والنّفيس، وليسوا مستعدّين للتّنازل عنه إطلاقا، فأيّ وفاق يكون مع القائلين بخلق القرآن وعدم رؤية الله في الآخرة، وتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النّار؟

2. لو أراد قائل أن يقول بأنّ هذه المسائل بادت واندثرت فالجواب يكون بأنّ مثل هذه الفكرة ليست فكرة سلفيّة لا من قريب ولا من بعيد، بل هي غطاء يتّخذه أهل الأهواء والبدع لتغطية انحرافاتهم وضلالاتهم وأباطيلهم، ومن العجيب أنّهم يطالبون السّلفيين بالسّكوت عن هذه الأمور بحجّة أنّها أمور قديمة لا يجوز إحياؤها والاشتغال بها، لأنّها تفرّق شمل المسلمين بينما يتفرّغون هم لنشر انحرافاتهم، ومن أراد مزيد بيان فليرجع إلى فتاوى واحد من كبار علماء مدينة غرداية في بلادنا، وهو الشّيخ "البكرى" ويقرأ ردوده على من سأله عن القرآن الكريم، فيجده كيف أجاب بكلّ حزم وجزم أنّ "القرآن" مخلوق ـ وهذا بهتان وكذب لأنّ القرآن الكريم في العقيدة السّليمة السّلفية الصّحيحة هو كلام الله، قال الإمام الطّحاوي رحمه الله : **«** وإنّ القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفيّة قولا وأنزله على رسوله وحيا وصدّقه المؤمنون على ذلك حقّا، وأيقنوا أنّه كلام الله تعالى بالحقيقة.. ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنّه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمّه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى : «سأصليه سقر» [المدثّر 26]، فلمّا أوعد الله بسقر لمن قال : « إن هذا إلاّ قول البشر» [المدثّر 25] علمنا وأيقنا أنّه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر..**»**[1]، وقال الشّيخ "محمّد بن مانع" رحمه الله تعالى :

« القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه فلا يقال اللّفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال، ولا المعنى دون اللّفظ كما هو قول الكلابيّة الضّلال، ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم فأهل السّنة والجماعة يعتقدون أنّ القرآن كلام الله منزّل غير

---

[1] (العقيدة الطّحاوية) شرح وتعليق للإمام الطّحاوي وبتعليق الشّيخ العلاّمة "الألباني"، [ص 24].

مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله والنّبيّ سمعه من جبريل، والصّحابة سمعوه من النّبيّ، فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصّدور المتلو بالألسنة..
قال "الحافظ ابن القيّم" رحمه الله :

وكذلك القرآن عن كلامه ❖❖❖ المسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربّي كلّه لا بعضه ❖❖❖ لفظا ومعنى ماهما خلقان

تنزل ربّ العالمين ووحيه ❖❖❖ اللّفظ والمعنى بلا روغان».[2]

إذن الوحدة لا تكون على حساب العقيدة، ومن أراد أن يتوحّد حقيقة وأن يجمع الشّمل، فليرجع إلى ظلال العقيدة السّلفية وليعضّ عليها بالنّواجذ ولا يرضى عنها بديلا، فبدلا من الاشتغال بجمع الصّفوف المصدّعة لأنّها في مفترق الطّرق، فليشتغل هؤلاء بتعلّم العقيدة الصّحيحة وأخذها من منابعها الأصيلة.

3. إنّ "مفدي زكريّا" نفسه شاعر أفنى عمره في تمجيد الجزائر بأشعار تحتوي على كفريات صريحة، وهذه الأشعار لو اطّلع عليها مشايخ التّوحيد الكبار لاقشعرّت أبدانهم ممّا يسمعون كما اقشعرّوا من قبل من بيت "أبي القاسم الشّابي"، (إذا الشّعب يوما أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر). فالتّغني بجمال الجزائر وبطولاتها لا يتطلّب من الشّاعر الاستهزاء بصفات الله وتشبيه الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق، فمن ذلك قوله في قصيدته المشهورة بـ (إلياذة الجزائر) :

جزائر يا مطلع المعجزات ❖❖ ويا حجّة اللّه في الكائنات

ويا بسمة الرّب في أرضه ❖❖ ويا وجهه الضّاحك القسمات

ويقول في نفس هذه القصيدة الطّويلة :

شغلنا الورى ❖❖ وملأنا الدُّنا

بشعر نرتّله كالصّلاة ❖❖ تسابيحه من حنايا الجزائر..

ويقول أيضا في القصيدة نفسها :

جزائر يا لحكاية حبّي ❖❖ ويا من حملت السّلام لقلبي

ويا من سكبت الجمال بروحي ❖❖ ويا من أشعت الضّياء بدربي

---

[2] (العقيدة الطّحاوية)، [ص 25].

فلولا جمالك ما صحّ ديني ❖❖ وما أن عرفت الطّريق لربّي

ولولا العقيدة تغمر قلبي ❖❖ لما كنتُ أُومِنُ إلاّ بشعبي

أي عقيدة تغمر قلبك يا هذا ؟ أهي عقيدة الإباضيّة الّتي أملت عليك هذه الكفريات ولقّنتك هذه الضّلالات ؟ رجل بهذا المستوى المنحطّ في التّوحيد هل يصلح أن يكون ساعيا لتوحيد المسلمين ؟.. على أي شيء يوحّدهم ؟ أعلى عقيدة أمشاج تفوح منها رائحة الخوارج والشّيعة والأشاعرة والمعتزلة والمرجئة، وغيرها من رؤوس فرق الضّلال والانحراف ؟ أم على عقيدة (اعتقد بما شئت ويجب أن لا تكون سلفيا في عقيدتك وعبادتك ومنهجك) ؟

4. إنّ "مفدي زكريّا" في مقاله هذا لمّح حتّى لفكرة وحدة الأديان وذلك بقوله : (ولا نرى من غرابة في فكرتنا هذه بعد أن اتّحد كلّ من في الأرض وبعد أن أصبح أبناء موسى وعيسى في الجزائر يخطبون ودّ أبناء محمّد ويرجون اتّحادهم معهم لمصالح البلاد وخير الإنسانيّة المعذّبة)، وهو يقصد بأبناء موسى عليه السّلام اليهود وبأبناء عيسى عليه السّلام النّصارى وبأبناء محمّد صلّى الله عليه وسلّم المسلمين، وهذا عين المجاهرة بالرّغبة في وحدة الأديان وهيّ واحدة من أبشع الأفكار الّتي تستهدف هدم الإسلام من صياصيه.

5. ماذا كان رأي جمعيّة العلماء أو رجال جريدة "البصائر" في هذا المقال ؟ هل تناولوه بالرّد المفحم كما هو ديدن علماء السّلفية في كلّ عصر أم أنّهم أثنوا عليه ؟ الجواب : أنّهم قدّموا لمقال "مفدي زكريّا" بمقدّمة لا علاقة لها البتّة بالسّلفية الحقيقيّة، فكانت تلك المقدّمة تحت عنوان (رأي جديد في تأسيس جمعيّة باسم جمعية التّوحيد)، وكان مضمونها كما يلي :

أرسل إلينا الشّاب النّابغ الأديب والشّاعر العبقري المجيد السّيد "مفدي زكريّا" من شباب (بني ميزاب)، المتنوّرين الشّاعرين بآلام هذه الأمّة الجزائريّة منذ نعومة أظفارهم، والمتطلّبين لها العلاج السّريع والدّواء النّاجع من يوم عرفوها بحالتها الرّاهنة وصفتها الحقيقيّة، وعرفوا أنّهم جزء من هذه الأمّة لا يسعد الواحد منهم إلاّ بسعادتها.. أرسل إلينا هذا الشّاب الطّموح المغامر بهذه الرّسالة الّتي سننشرها له معجبين برأيه وشاكرين له على جرأته، فقد دلّتنا على ما يحمل بين جنبيه من الغيرة على أمّته وما يتمنّى لها الوصول إليه من سعادة حقيقيّة، وسيادة عرف أنّها لا تبنى إلاّ على الاتّحاد في التّوحيد ملاحظين لحضرته أنّ جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين هي جمعية الموحّدين، وقد سبق تأسيسها لهذه الغاية الّتي يرمي إليها ـ وهي بحمد الله ـ لا تشتمل إلاّ على الموّحدين ولا يحمل ورقة العضوية فيها إلاّ مؤمن من المصلحين، فما يتطلّبه هو وغيره من الإخوان يجدونه في (جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين)، متى عمّموا الدعوة إليها وأعانوها بجهودهم الجبّارة على الوصول إلى مهمّتها السّامية، وما هذه المهمّة إلاّ (الاتّحاد في التّوحيد)، وإلى القرّاء

الكرام نتقدّم بنصّ رسالة هذا الشّاب الجريء..». إذن جمعيّة العلماء المسلمين من خلال جريدة "البصائر" وهي لسانها النّاطق تقصد بالموحّدين المتديّنين، ولو كانت تقصد ذوي المعتقد السّلفي الصّحيح لكان ردّها على فكرة "مفدي زكريّا" مفحما، قاطعا بعدم التّهاون في مسائل الاعتقاد، وأكبر دليل على أنّها ترحّب بكلّ الطّوائف في جمعيتها، وجود رجال من مختلف الفرق العقديّة كالإباضيّة والأشاعرة والصّوفية وغيرهم في حناياها وتحت لوائها، ولقد قرأت كلاما للشّيخ "الطّيب العقبي" يعبّر فيه بكلّ صراحة عن منهج الجمعيّة في قبول كلّ مسلم بغضّ النّظر عن عقيدته ومدى سلامتها وصحّتها، فجاء في كلامه ما يلي : « فلهذا رأوا ـ وهم فئة قليلة وطائفة غير كثيرة ـ أن يلفتوا قبل مباشرة العمل أنظار البقيّة الصّالحة في الأمّة إلى تأسيس جمعيّة علميّة دينيّة ترشد الأمّة إلى تعاليم الدّين الصّحيحة، وتهديها بالقرآن وآياته الحكيمة الّتي هي أقوم كما تكون مظهر وحدتهم الدّينيّة وعنوان اتّحادهم في سبيل الدّعوة إلى الإيمان وصالح العمل، وبعد الكتابة والخطابة وانتشار هذه الفكرة الّتي صادفت، والحقّ يقال بين كلّ العلماء قبولا واستحسانا واختمارها في العقول حتّى عقول غير العلماء اتّفقت الكلمة واتّحدت الآراء على تسميّتها باسم "جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين"، ليكون الاسم جامعا مانعا وعنوانا صادقا على هذه الجمعيّة الصّالحة الصّادقة.. فكان لكلّ عالم مسلم جزائري حقّ الدّخول فيها كعضو عامل، ولكلّ مسلم جزائري حقّ الانتساب إليها كعضو مؤيّد، فتأسّست وهي تشتمل على المصلحين والطّرقيين والمالكيين والإباضيين، لم ينظر فيها إلى مذهب دون آخر ولا إلى طريقة دون غيرها، ولا غاية للمصلحين ولا أمل لهم غير الاتّفاق والاتّحاد نظرا لأنّ الجمعيّة جمعية علماء، وهم أقرب النّاس إلى الحقّ وأعرف النّاس بطرق التّفاهم»[1]. أليس هذا الفكر يشبه فكر الإخوان المسلمين في مسألة توحيد الصّفوف وجمع المسلمين دون أدنى مراعاة لقاعدة (التّصفية والتّربية)، والّتي يقصد بها تصفية عقيدة المسلمين من كلّ ما علق بها من أدران الفرق المنحرفة وتصفية جميع المجالات العبادة، الفكر، المنهج، التّاريخ، السّياسة وتربية المسلمين على ضوء تلك التّصفية العظيمة، أليس هذا الكلام هو عين ما نادى به "حسن البنّا" في مصر من دعوته إلى تكتيل المسلمين وجمعهم وهم متناقضون في عقيدتهم؟ والله إنّ فكر جمعيّة العلماء المسلمين هنا، وعلى لسان واحد من كبار شيوخها وهو "الطّيب العقبي" هو نفسه فكر الإخوان المسلمين.. لقد قدّمت في فصل سابق دليلا على فرح "ابن باديس" بالوحدة بين الإباضيّة وغيرهم وهاهو "الطّيب العقبي" يعلن صراحة رفضه لأيّ خلاف مع الإباضيّة فيقول في مقال آخر[1]ـ وهو يزجر من تجرّأ على التّفريق بين الإباضيّة وغيرهم ـ ما نصّه : « جاءنا مقال طويل بهذا العنوان من حضرة الشّيخ "السّعيد الزّاهري" دافع به عن إخواننا (بني ميزاب) دفاع الأبطال، وردّ به ما كانت نشرته (اللّيالي) في عددها السّادس ضدّ أفراد هذه الطّائفة العاملة النّاشطة من تهم شنيعة ألصقها بهم صاحب ذلك

---

[1] جريدة "البصائر" العدد 46 . [ص 2].

[1] عنوان المقال صرخة غضبان في وجه "زعفان" . جريدة البصائر العدد 25 . [ص 3].

الهذيان الّذي سمّى نفسه (زعفان)، والّذي أساء به لا إلى الإباضيّة فقط، بل إلى الأمّة الجزائريّة كلّها حيث حاول هدم صرح وحدتها الّتي يبذلها العقلاء من الطّرفين ورجال العمل المخلصين منذ أمد طويل جهودهم الجبّارة للحصول عليها.. وقد كان من البديهي المعقول أن يتصدّى للرّد على هذه التّرهات والدّفاع عن إخواننا في الدّين والوطن، وشركائنا في تحمّل الآلام والمحن من لا تأخذه في الحقّ لومة لائم من كلّ من يعمل لخير الجزائر[2]، ويسعى في ربط المحبّة والإخاء وتمتين العلائق الحسنة والرّوابط الجامعة بين أبناء القطر الواحد، وأهل الدّين الواحد والمصلحة المشتركة، غير أنّ الشّيخ "الزّاهري" كان السّابق المجلي في القيام بهذا الواجب فله منّا شكرنا الخاصّ على هذا الصّنيع الجميل.. فقد كتب هذا المقال الّذي أرسل به إلينا وإلى جريدة "الأمّة" أيضا، فسبقتنا إلى نشره على طوله في مرّة واحدة الأمر الّذي لا يسعه حجم "البصائر" ولا نقدر نحن عليه لكثرة المواد المتراكمة لدينا.. أمّا "الأمّة" فقد برز عددها الأخير كلّه في هذا الموضوع يحوي هذا المقال وغيره، فكان عددا خاصّا بهذه القضية و"ممتازا" جامعا مانعا لم يدع قولة لقائل، ولا مجالا لصائل بل قد أعطى فيه الكتاب لهذه المسألة أكثر من قيمتها وفوق ما يستحقّه مقال (زعفان) الّذي لا نرى له أيّ تأثير في علاقة الإباضيّة بإخوانهم "المالكيّة"، وليست له أيّة قيمة في نظر الدّين، يعملون لخير هذه البلاد وسكّانها بلا تفرقة بين أهل ناحية وناحية أخرى، ولا أهل مذهب ومذهب ما دام الجميع يدينون بدين الإسلام ويعملون للصّالح العام. هذا وأنّنا لنهنّئ رصيفنا الأستاذ "أبا اليقظان الحاج إبراهيم بن الحاج عيسى" بعدد (الأمّة) الممتاز الّذي أصدره بهذه المناسبة فدافع به عن شرف قومه أوّلا وعن مصلحة الأمّة الجزائريّة ثانيا، وأنّنا لنضمّ صوتنا إلى صوته. كما نوافق الشّيخ "الزّاهري" على رأيه في كلمته الواضحة الصّريحة الّتي دافع بها عن الإخوان الميزابييّن ونؤيّده معتذرين إليه في عدم نشر المقال بما ذكر سيما وفيما نشرته (الأمّة) ما يشفي ويكفي، ونرجو من "زعفان" أن يتوب ويعتذر لإخوانه في الدّين.. ومن الإخوان الإباضيّة أن يقفوا عند هذا الحدّ، فإنّ المؤمن من كظم غيظه ولم تخرج به سَورة الغضب عن دائرة الشّرع الشّريف وحدوده».. وبهذا الكلام أكّد رجال جمعية العلماء عدم اهتمامهم بتصحيح العقيدة وجعل مصلحة البلاد فوق كلّ اعتبار وهذا ليس من المنهج السّلفي في شيء لو كانوا يعلمون.. وإنّ توحيد الصّف مع الإباضيّة لمصلحة البلاد ليس من السّلفية ولا السّلفية منه، لأنّ الإباضيّة كما قلت آنفا جذورهم من الخوارج والخوارج هم طائفة مذمومة وفرقة منحرفة من أشهر الفرق الّتي أدخلت على دين الله ما ليس فيه، وأحدثت فيه ما ليس منه، ولو كان الخلاف بيننا وبينهم خلاف تنوّع لهان الخطب، ولكن الخلاف بيننا وبينهم خلاف تضاد واختلاف في مسائل هيّ من أسس هذا الدّين ومن أصوله، ومسألة الاختلاف في رؤية الله في الآخرة ليست بالمسألة الهيّنة، والاختلاف في مسألة تعريف القرآن الكريم هل هو مخلوق أم لا من المسائل الّتي كان السّلف الصّالح يميّزون بها بين المتّبع الحقيقي لكتاب

---

[2] إذن العمل لخير الجزائر هو أسمى أهداف جمعية العلماء، فأين هذا من مبادئ دعوتنا السّلفية المنادية بتصحيح العقيدة ؟!..

الله تعالى ولسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وبين المبتدع المارق الضّال الحائد عن كتاب الله وسنّة نبيّه عليه الصّلاة والسّلام، ولعلّ جمعيّة العلماء تستهين بقيمة هاتين المسألتين العظيمتين وتراهما من المسائل الخلافية الفرعيّة، وهذا خطأ جسيم واعوجاج كبير ـ إن كان الأمر كذلك ـ ولقد قرأت في أحد أعداد جريدة "البصائر" كلاما لأحد كبار رجال جمعية العلماء المسلمين الشّيخ "أبي يعلى الزّواوي"، وصف فيه القرآن الكريم بوصف فيه خلل عقدي محض حيث كان عنوان مقاله "القرآن معدن ولا بدّ من آلات لاستخراجه والانتفاع به"، وقال في متن ذلك المقال : « وجملة القول إنّ القرآن معدن من أنفس المعادن المشتركة بين العباد»، وهذه الجمل لو نظر إلى معناها لوُجد فيه الزّيغ في العقيدة لأنّ القرآن الكريم هو كلام الله عزّوجلّ بحرف وصوت، ولو قلنا بأنّ القرآن معدن لكنّا قد قطعنا بخلقه، لأنّ المعادن مخلوقة، أمّا القرآن فهو كلام الله، والكلام صفة من صفات الله تعالى من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ولا تمثيل ولا تفويض، فإنّ تصحيح الألفاظ الحاوية على الخطأ العقدي واجب، حتّى ولو اعتذر القائل بأنّه لا يقصد ما قاله : فقد ثبت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صحّح للصّحابة رضيّ الله عنهم، حتّى الكلمات الّتي كانوا يتفوّهون بها وتكون فيها شركيات أو مزالق عقديّة، فقد علّم الصّحابة أن يقولوا ما شاء الله ثمّ ما شاء فلان ونهاهم عن قول ما شاء الله وشاء فلان لما في ذلك من التّسوية بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق، وهذا ضلال مبين بلا شكّ، فعن حذيفة بن اليمان رضيّ الله عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثمّ شاء فلان» [1]، بل كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالمرصاد لأيّ لفظ يسمعه ويكون فيه ما يعكّر صفو العقيدة الصّافية حتّى ولو صدر ذلك اللّفظ من نساء يغنّين في الأعراس غناء يقصدن به إحياء يوم العرس، "فعن عائشة رضيّ الله عنها أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سمع ناسًا يغنّون في عرس وهم يقولون :

وأهدي لها أكبش ❖❖ يبحبحن في المربد

وحِبك في النّادي ❖❖ ويعلم ما في غد

وفي رواية :

وزوجك في النّادي ❖❖ ويعلم ما في غد

---

[1] رواه أبو داود بإسناد صحيح وذكره الإمام النّووي في كتابه (رياض الصّالحين) : باب كراهة قول ما شاء الله وشاء فلان [ص 553].

قالت : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "لا يعلمُ ما في غد إلاّ الله سبحانه.." [(2)]، إذن هديه صلّى الله عليه وسلّم تصحيح الأخطاء العقدية حتّى ولو كانت في ألفاظ قد لا يقصد المتكلّم معناها، وكان هذا أيضا هدي صحابته رضيّ الله عنهم من بعده، وكان هذا الخطّ الّذي مشى عليه علماء السّلف من السّابقين واللاّحقين، ولذلك أقطع بأنّ عبارة "أبي يعلى الزّواوي" :«القرآن معدن ولابدّ من آلات لاستخراجه»، ليست عبارة سليمة لأنّها ضمّت عبر طياتها تشبيه القرآن وهو كلام الله تعالى بمعدن من المعادن ـ والمعادن من خلقه عزّوجلّ ـ وهذا بلا أدنى ريب تشبيه لصفة من صفاته عزّوجلّ إلى شيء من خَلقه، وهذا عين الخلل في توحيد الأسماء والصّفات.. وإذا اختلّ توحيد الأسماء والصّفات فقد اختلّ التّوحيد، ولا يُعتذر "لأبي يعلى الزّواوي" بأنّه لم يقصد ما قاله، لأنّ الواجب يقتضي تصحيح الخطأ العقدي مهما كانت نيّة صاحبه سليمة، والنّية لا يعلمها إلاّ من يعلم ما في الصّدور ويعلم خائنة الأعين وهو المولى تبارك وتعالى..

وخلاصة القول إنّ ما وجدته في هذه المواقف المتنوّعة "لابن باديس" رحمه الله ولرجال جمعيّته يمكن أن ينأى بهؤلاء الرّجال عن السّلفية المعروفة بمضمونها الواسع الشّامل من النّاحية العقدية والفكرية والمنهجية والتّعبدية وغيرها، وكلّ ما ذكرته في السّابق يمكن أن يحتجّ به على أنّ سلفية هؤلاء الرّجال سلفية فيها دخن.. وما تزال الرّحلة طويلة إن شاء الله مع الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله، ورجال جمعيّته في الفصول القادمة بتوفيق من الله تعالى، ولكن ما أردت توضيحه في هذا الفصل أنّ الحكم على "ابن باديس" وعلى رجاله يجب أن يكون من كتبهم والمجلاّت الّتي أصدروها والجرائد الّتي كانت لسانا ناطقا لجمعيّتهم حتّى لا أضرب بالافتراء عليهم أو النّقل عن واحد من شانئيهم ومبغضيهم، فجريدة كالبصائر مثلا تذكر دائما في ترجمة "ابن باديس" رحمه الله كما تذكر في حياة أبرز رجال جمعيّته عند التّأريخ لهم، ولذلك لمّا قرأت أعدادا كثيرة من "البصائر" وجدت أنّ الجريدة تحتوي على مواضيع متنوّعة، وتحتوي على أمور لا يمكن أن تكون من السّلفية، من ذلك مثلا :

1. الإعلانات عن حفلات لاستقبال رجال جمعية العلماء، وتكون الحفلات بالأناشيد المرفوقة حتّى بالآلات الموسيقيّة، ولا أجد من رئيس تحرير الجريدة مثلا إنكارا، أو ردّا يبيّن فيه تحريم آلات الطّرب حتّى وإن كانت الكلمات المنشورة طيّبة.

[(2)] قال الشّيخ "الألباني" رحمه الله في تخريج هذا الحديث : أخرجه الطّبراني في "الصّغير" [ص 69] ورقم [830] بترتيبي والحاكم [2/184−185] والبيهقي [7/289]، وقال الحاكم "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذّهبي، وعزاه الحافظ [9/167] للطّبراني في الأوسط بإسناد حسن وهذا التّخريج موجود في كتاب (آداب الزّفاف في السّنة المطهّرة).

2. الأشعار والقصائد المحتوية إمّا على شركيات وإمّا على أفكار باطلة والّتي تنشر في "البصائر" بدون تعقيب أوتصويب تعدّ نقيصة في حقّ هذه الجريدة من حيث ابتعادها عن السّلفيّة الحقّة.

3. التشجيع الكلّي لكلّ الطّوائف بالكتابة دون رادع لهؤلاء ودون زجر لهم على أفكارهم المنحرفة عن المنهج القويم، يعتبر أيضا أمرا ينافي مضمونه روح السّلفية بمعناها الواسع..

هذه جملة من الملاحظات قدّمتها في هذا الفصل، وما تزال البقيّة تأتي إن شاء الله لاحقا..

الشّيخ محمّد عبده ومدى تأثّر ابن باديس به..و وقفة مع عقيدة ابن باديس

قد يتعجّب القارئ من عنوان هذا الفصل، فيقول ربّما : ما دخل "محمّد عبده" هنـا ؟ ألم يكن الكلام مصوّبا تجاه جمعيّة المسلمين الجزائريّين بصفة عامّة ؟ وموجّها للشّيخ "ابن باديس" بصفة خاصّة ؟

والجواب : أنّني في خضم بحثي عن معالم شخصيّة "ابن باديس" وعن علمه وعن أخطائه، وجدت أنّ للشّيخ "محمّد عبده" تأثيرا كبيرا عليه، وعلى بعض رجال جمعيّة العلماء، فاحتجت إلى إجْلاء الحقيقة عن "محمّد عبده" نفسه، وأن أبيّن للقّراء اتّجاهه والخطّ الّذي كان يسير عليه، ثمّ أربط بينه وبين الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله، وهذا للوصول إلى نتيجة في أمر "ابن باديس" وجمعيّته، وقبل ذلك أعرّف بإيجاز شخصيّة الشّيخ "محمّد عبده" لنفض الغبار عن هذا الرّجل، وعن الدّور الّذي لعبه في الابتعاد بالنّاس عن المفهوم السّلفي الأصيل، الشّيخ "محمّد عبده" تقرّر آراؤه وكتبه حتّى في بعض الكتب المدرسيّة عندنا، ويحظى عند المشرفين على التّربية والتّعليم بهالات من الاحترام والتّوقير، فيعرّف للنّاشئة في الكتب المقرّرة بتعريفات تجعله "مبجّلا" لا محالة، وتتربّى الأجيال وهي منخدعة في أمر هذا الشّيخ الّذي لعب دورا كبيرا في تحريف الجمال الحقيقي للإسلام في جميع المجالات تقريبا، وينقل تلميذ عن أستاذه بأنّ "محمّد عبده" هو رائد الفكر المعاصر، وبأنّه علم من أكبر أعلام هذه الأمّة ويُزكّي الرّجل ويُرفع إلى مقام يجعله عند البعض في محلّ "القداسة" والعياذ بالله، انظر إلى أحد كتب التّربية والتّعليم كيف عرّفته : « الشّيخ "محمّد عبده"، ركن من أركان النّهضة الفكرية الحديثة في البلاد العربيّة والإسلاميّة، وُلِد بمصر عام (1848م) ودرس في الأزهر، واتّصل بالمفكّر الإسلامي الكبير الشّيخ "جمال الدّين الأفغاني"، فأفاد كثيرا منه، وقد عرف الشّيخ "محمّد عبده" بحدّة ذكائه وجرأته، ورغبته في التّجديد والإصلاح، أثرت عنه في الإصلاح آراء كثيرة لم تعرف عن غيره.. توفيّ في مصر عام (1905م)، بعد أن تـقلّب في عدّة مناصب قضائـيّة وديـنـيّة، آخرها منصب "مفتي الدّيار المصريّة"، وترك آثارا علميّة منها (رسالة التوحيد) وشرحه لـ (نهج البلاغة)، وقد كانت التّربيّة وما تزال، موضع عناية المصلحين والعاملين لخدمة أمّتهم فخصّها الشّيخ "محمّد عبده" بما هي جديرة به من عناية واهتمام، لاعتقاده أنّها هي السّبب الأوّل في تخلّف الأمّة أو رقيّها»[1]، وهكذا يتعرّف النّشئ على أمثال هؤلاء، فينشأ الشّباب المتديّن معجبا بهم محسنا الظّن بكلّ آرائهم، مفتونا بكتبهم، يحسبها هيّ الحقّ ولاحقّ سواها، فيتعصّب لها ويدافع عنها، ويعلن الولاء لها بكلّ وضوح، لماذا يحدث هذا للشّباب ؟ لأنّ هذا الأخير زوّرت أمامه الحقائق والمفاهيم، وأعطيت له صورة مشوّهة عن المنهج السّلفي الصّحيح، وابتعد هؤلاء عن العلماء الرّبانيين وأساءوا الظّن بهم كما لـقّنوا، فانقلبت الأمور،

---

[1] المختار في القراءة والنّصوص الّذي كان مقرّرا في الماضي لتلاميذ المتوسّط والأساسي حاليا.

وصار الدّاعية الحركي الّذي لا يعرف من الإسلام إلاّ اسمه هو المثل الأعلى، وصار العالم السّلفي الحقّ عميلا، أو ليس فقيها للواقع أومتملّقا للسَلاطين، فتربّى الشّباب تربية معوجّة حَادتْ به عن جادّة الصّواب، لقد لُقِّن الشّباب المتديّن بقوّة أنّ "السّلفية" هي منهج منحرف متأخّر لا يعرف كيف يواكب العصر الحاضر، ولُقّن هذا الشّباب أنّ العلماء السّلفيين العاملين لا يصلحون لقيادة الأمّة لأنّهم ليسوا على مستوى عصرهم، ولأنّهم غاصوا بين الكتب القديمة فلم يستطيعوا الخروج منها، لقد تجرّأ واحد من رجال الدّعوة وهو الشّيخ "عبد الرحمان عبد الخالق" على العلماء ووصفهم بأوصاف بشعة ، وأكل من لحومهم المسمومة، وقد كان "عبد الرّحمان" من قبل يحظى عند الشّباب السّلفي بالإعجاب لأنّهم حسبوه سلفيا خالصا[2]، ولكنّ الرّجل ما يزال إلى يومنا غير متخلّص من رائحة الحركيين الّذين يحظون عنده بالإعجاب الشّديد في حين يحظى علماء السّلفية الكبار بالهمز واللّمز والطّعن والغمز عنده : كيف يحسن الشّباب المتديّن الظّن بعلماء السّلفية، وهو يقرأ هذا الكلام أو يسمعه من الشّيخ "عبد الرّحمان عبد الخالق" الّذي قال :« ما قيمة عالم يقرأ آيات الرّبا ولا يفهم نظام المعاملات الرّبوية القائم الآن ؟ وما قيمة عالم لا يستطيع الرّد على ملحد يزعم أنّ قطع اليد في السّرقة وحشيّة وأنّ الزّواج بأربع نساء همجيّة ورجعيّة ؟ وما قيمة عالم بالشّريعة يزعم أنّ السّياسة ليست من الدّين وأنّها وقف على هذا الطّابور الجاهل من محترفي السّياسة ولصوصها ؟! ».

« وما قيمة عالم بالشّريعة لو دعيّ إلى نداء الجهاد وحمل السّلاح يقول : ليس هذا من شأن رجال الشّريعة إنّنا نستطيع فقط الفتوى في الحلال والحرام والحيض والنّفاس والطّلاق!! ».

« إنّنا نريد علماء على مستوى العصر علما وثقافة وأدبا وخلقا وشجاعة وإقداما وفهما لأساليب الكيد والدّس على الإسلام، ولا نريد هذا الطّابور من العلماء المُحنّطين الّذين يعيشون بأجسادهم في عصرنا، ولكنّهم يعيشون بعقولهم وفتاواهم في غير عصورنا..»، ثمّ يواصل طعناته بالطّعن في عالم جليل من أجلّ علماء السّلفية وهو الشّيخ "محمّد الأمين الشّنقيطي" رحمه الله فيقول : « وحتّى لا يفسّر كلامي السّابق على غير وجهه فإنّي سأضرب مثلا حيّا شاهدته، وليس هو مثلي الوحيد : لقد كان يدرّس لنا التّفسير وأصول الفقه عالم جليل، هو بحقّ عالم فما كان يطرق آية من كتاب الله حتى يشرح أوّلا ألفاظها اللّغويّة مستشهدا بعشرات الأبيات على اللَفظة الواحدة، ثمّ يذكر تعريف كلماتها ثمّ معانيها الكليّة، ثمّ تفسير السّلف لها مستدلاّ بالأحاديث والآثار، ثمّ ما يستفاد منها من أحكام فقهيّة، ثمّ ما استنبط منها من قواعد أصوليّة، ثمّ بين ما يماثلها من آيات أخرى في كتاب الله.. يطرق كلّ ذلك وأنت مشدوه لسعة هذا العِلم، وهذا الاطّلاع، ولكن هذا الرّجل لم يكن

[2] والواقع أنّه في حقيقة أمره خليط فكريّ بين سلفية ادّعاها وإخوانيّة ما تزال مؤثّرة عليه إلى يوم النّاس هذا.

على شيء من مستوى عصره، فما كان يدرك جواب شبهة يوردها عدوّ من أعداء الله ولا كان على استعداد أصلا لسماع هذه الشّبهة، وكان يهجم على حقائق العلم المادي فيرمي الّذين يحلّون الوصول إلى القمر بالكفر والزّندقة، ويزعم أنّ المحاولين لن يستطيعوا ذلك ويقول : الأيّام بيْننا !! فأقول : يا سيدي الشّيخ لا تكن كمن قال الله فيهم : «بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه» شيء لم ندرسه، ولم نتعلّمه فلماذا نكذّب به ونقحم دين الله فيه، فيكفر النّاس بديننا ظنّا منهم أنّه يأمر بما تقول أنت به، فنكون بجهلنا صادّين عن دين الله عزّوجلّ ؟!..

لقد كان هذا الرّجل الّذي لم تقع عيني على أعلم منه بكتاب الله مكتبة متنقّلة ولكنّها طبعة قديمة تحتاج إلى تنقيح وتصحيح.. هذا مثال وكان يدرّس غيره عشرات في علوم الشّريعة على هذا المستوى جهلا بالحياة وعلما بالـدّين »[1]. لقد قيّض الله "لعبد الرّحمان عبد الخالق" واحدا من علماء الأمّة الأفاضل، قيّض له حامل لواء الجرح والتّعديل الشّيخ "ربيع بن هادي" ليردّ على هرائه هذا فقال ما نصّه : « لا أريد أن أحكم على "عبد الرّحمان"، ولكنّي أريد أن يدرك ما في كلامه هذا الّذي سردته وغيره وغيره من تحقير للعلماء. وما يترتّب على هذا التّحقير من آثار عميقة في نفوس شباب كثيرا ما يقرأ مثل هذه الكتب الّتي تشتمل على مثل هذا الحطّ على العلماء فتكون النّتيجة بل قد كانت في كثير منهم احتقار العلماء وغمطهم والتّعالي عليهم وعلى ما عندهم من علم وفتاوى..»[1].

فلمّا وقع كلّ هذا وهو واقع مرير بلا شكّ انبرى الشّباب لتسليم قيادته إلى أناس لا دراية لهم بالعلم الصّحيح فبدأ التّاريخ المزوّر، والفكر المنحرف، والعقيدة المعوجّة، والمنهج الباطل يعرف طريقه إلى قلوب الشّباب المتديّن، ولو كان ما يعرض للشّباب ينتقد من الوجهة الصّحيحة لما وقع هذا الشّباب في الأوحال الفكرية لهؤلاء المنحرفين، وعلى رأسهم من اعتبره بعض دعاة الحركة المعاصرة شيخ الشّيوخ وهو الشّيخ "محمّد عبده".. الشّيخ "محمّد عبده" له انحرافات وأباطيل تستحقّ لأن تكون بحثا منفردا في حدّ ذاته، ولكن لا بأس من الإشارة إلى أباطيله حتّى لا نعظّم سواد المنخدعين فيه، هذا الشّيخ له انحرافات عدّة من ضمنها :

1. كان الشّيخ "محمّد عبده" متأثّرا بالفلسفة والمنطق ومناهج المتكلّمين، وكان بحقّ زعيم النّزعة العقلانيّة في القرن الميلادي السّابق، وكانت طريقته أبعد ما تكون عن طريقة السّلف الصّالح، بل كان عدوّها اللّدود.. كتب كتابه (رسالة التّوحيد) في العقيدة، وقرّر فيه

---

[1] خطوط رئيسيّة لبعث الأمّة الإسلامية "لعبد الرّحمان عبد الخالق" نقلا عن كتاب (جماعة واحدة لا جماعات) للشّيخ "ربيع بن هادي".

[1] (جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات) للشّيخ الفاضل "ربيع بن هادي المدخلي" حفظه الله تعالى [ص 46].

عقيدة المدرسة العقلانية من اعتزال وأشعريّة، وكان كتابه هذا مصدر دمار لفكر كلّ خريجي الأزهر، هذا الجامع الّذي كان وكرا من أوكار الفلسفات الباطلة الهدّامة والعقائد الزّائفة الحائدة عن منهج السّلف الصّالح.. لقد كان كتابه (رسالة التّوحيد) هو رسالة البعد عن العقيدة الصّافية كما عرفها السّلف الصّالح، ومن أراد الابتعاد عن العقيدة السّلفية واعتناق طرق الفلاسفة ومناهج المتكلّمين فعليه برسالة التّوحيد.

2. الرّجل كان تلميذا وفيّا "لجمال الدّين الأفغاني"، و"الأفغاني" نفسه كان مدرسة مدمّرة للسّلفية الحقيقيّة، وكان فيه تشيّع ولديه أباطيل في جميع المجالات، مهما غلا المدافعون في دفاعهم عنه، وقد اتّحد "الأفغاني" و"عبده" في بثّ أفكار خطيرة سمّاها الفكريون بعصرنة الفكر الإسلامي، وإرساء دعائم النّهضة الحديثة، وسمّاها السّلفيون الكبار بالانحراف الكلّي عن فهم الإسلام على ضوء فهم السّلف الصّالح له..

3. الشّيخ "محمّد عبده" صاحب كتاب شهير في تفسير القرآن الكريم وهو كتاب تفسير (المنار) وله في تفسيره للقرآن الكريم شطحات وانحرافات دلّت دلالة واضحة على أنّ الرّجل من المنحرفين عن التّفسير بالمأثور الجانحين إلى مدرسة التّفسير بالرّأيّ على ما فيها من ضلال واعوجاج، فقد فسّر الكثير من الآيات بطريقة عقلانية محضة ما تشمّ فيها رائحة التّفسير السّلفي السليم لا من قريب ولا من بعيد، وكان مقدّسا للعقل مسبّقا له على النّقل وهذا من آثار الاعتزال.

4. و"محمّد عبده" هو من اعتبره المفكّرون الّذين ورثوه من بعده بزعيم النّهضة العلمية، لماذا لأنّه حطّم كلّ ما هو "قديم" والقديم في نظر هؤلاء هو المنهج السّلفي الأصيل، وروّج لكلّ ما هو "جديد" والجديد في نظر هؤلاء هو الفلسفات الدّخيلة على الإسلام سواء ممّا تركه الفلاسفة والعقلانيّون أو ما كان من ميراث المعتزلة والأشاعرة.

5. "محمّد عبده" كان له النّصيب الأوفى والقسط الأكبر في التّرويج لمثل هذه الأفكار :

أ. ردّ حديث الآحاد في العقيدة، والتّكذيب بكلّ عقيدة صحّت عن طريق حديث الآحاد.

ب. إقحام النّظريات الباطلة كنظرية التّطور أو النّشوء والارتقاء لليهودي الماكر "داروين" في عرض بعض الآراء وغيرها من النّظريات الكافرة المعلنة الحرب على دين الله عزّ وجلّ.

ج. كما كان مولعا بكلّ جديد مهما كان بعده عن الإسلام ليقحمه على الإسلام إقحاما، من ذلك مثلا محاولة تفسير القرآن الكريم بالمستجدّات في عالم الطّب والفيزياء والكيمياء، وغيرها من العلوم الحديثة الّتي لا تصلح لأن تكون حكما على كتاب الله الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بل كلّ ما خالف كتاب الله وسنّة نبيّه فهو مردود.. مرفوض.. منبوذ.

د. "محمّد عبده" كان منكرا للكثير من الحقائق الغيبيّة كحقيقة "الجنّ" الّذين وجب علينا الإيمان بهم، ومنه توارث "الأزهريّون" فكرة أنّ الجنّ لا يسكن بدن المصروع رغم أنّ السّنة دلّت على ذلك بالأدلّة الصّحيحة، بل الرّجل كذّب بالجنّ وحاول أن يفهمنا أنّهم ميكروبات، كما كذّب بالكثير من أشراط السّاعة الكبرى.

هـ. وفي تفسيره لسورة الفيل حاول ردّ فكرة "الطّير الأبابيل" وتأوّلها بما هو فظيع حقّا، ولم يفسّر السّورة بما يقتضيه التّفسير السّلفي المأثور عن سلف الأمّة، كلّ نظرية كانت تطرق سمعه يبادر إلى إدخالها على التّفسير مهما كان بطلانها واعوجاجها، فكانت له شطحات منقطعة النّظير..

6. إضافة إلى ذلك فإنّ الشّيخ "محمّد عبده" كان مولعا بحبّ الغرب والغربيّين مفتونا من رأسه إلى أسفل قدميه بالحضارة الغربيّة، مناديا بالاقتداء بها شبرا بشبر وذراعا بذراع، ومن آثار إعجابه بالحضارة الأوربيّة أنّه انغمس ذات يوم في الانضمام إلى الحركة "الماسونيّة"، ظنّا منه أنّها أقيمت حقّا للإخاء و العدل والمساواة، ولقد سجّل التّاريخ بكلّ فخر أنّ علماء السّلفية الّذين عاشوا أيّام "محمّد عبده" لم ينخدعوا بتيار الماسونيّة لأنّهم علماء حقيقيون وعلمهم الصّحيح قادهم إلى عدم الاغترار بأيّ حركة يهوديّة تتدثّر بدثار أسماء لمّاعة لخداع السّذج من المسلمين، ولا بأيّ حركة نصرانيّة ولا غيرها من الحركات المنحرفة الضّائعة، فعلماؤنا وقفوا لكلّ هؤلاء الكفّار والضّلال كالطّود الشّامخ فكانوا عبر عصورهم أعلم النّاس بواقع المسلمين وكان غيرهم ممّن يدّعي مواكبة الحضارة في ذيل القافلة، وأجهل النّاس بمكايد الأعداء رغم أنّهم يحسبون أنفسهم على شيء في هذا المجال بالذّات..

7. الشّيخ "محمّد عبده" كان وراء حركة تحرير المرأة في مصر ويذكر أنّه أَوْعَز "لقاسم أمين" ـ زعيم المصريين في الانحلال والفجور والدّعوة إلى الاختلاط وتجريد "المرأة المسلمة" بالذّات عن أحكام شريعة الله ـ إلى تأليف كتابه "تحرير المرأة"، والّذي كان نكدا على مصر والمصريّات من حيث اقتفاء آثار المرأة الغربيّة الكافرة شبرا بشبر وذراعا بذراع.. وقد كان "قاسم أمين" من تلاميذه، فلو كان الشّيخ "محمّد عبده" سلفيّا حقّا فكيف يتخرّج على يده تلميذ بهذا الشّكل ؟.. صحيح قد يبتلى المرء بتلميذ لا يمثّل فكره وتصوّره ومنهجه في شيء، ولكن حينما تكون الحالة هكذا وجب على الشّيخ المعلّم التّبرأ من كلّ ما ينشره تلميذه، معلنا سخطه عليه لأنّه انحرف عمّا علّمه، ولكنّ الشّيخ "محمّد عبده" لم ينكر على "قاسم أمين" أيّ إنكار، ولم يُعرف عنه ردّ قاطع صارم في هذا المجال.

هذه باختصار معالم شخصيّة "محمّد عبده" والكلام عنه وعن شيخه "الأفغاني" يحتاج إلى وقفات ووقفات، ولكنّني اضطررت إلى ذلك اضطرارا حتّى يكون القارئ على بيّنة من أمره، من خطورة هذا الرّجل والّذي عدّه الكثير من النّاس عالمًا من العلماء الّذين لا يشقّ لهم غبار أمّا العلماء السّلفيّون فقد كشفوا زيف هذه الشّخصيّات وبيّنوا انحرافاتها

لنّاس.. ففي أسئلة وجّهت إلى واحد من علماء السّلفيّة وهو فضيلة الشّيخ "محمّد أمان الجامي" رئيس العقيدة في الجامعة الإسلاميّة سابقا والمدرّس بالمسجد النّبوي لسنوات طويلة، وكانت الأسئلة حول "سيد قطب" ومن كان على شاكلته من أهل الأهواء والبدع فتكلّم رحمه الله بكلام نفيس قال فيه ما يلي : « علماء الكلام يقال لهم أهل العقل، وأصحاب العقل، وتجدّدت العقلانيّة الجديدة الّتي اتّخذت مقرّا في الولايات المتّحدة اليوم، جميع الأحاديث الّتي تتعلّق بالأمور الغيبيّة، ولا يكفي عند العقلانيين صحّة الحديث من حيث الإسناد، بل القاعدة عندهم من عرض الأحاديث الصّحيحة وخصوصا الّتي تتحدّث عن الدّجال والمهدي والجنّة والنّار لابدّ من عرضها على العقول، عقول من؟.. عقول العقلانيين لا.. النّاس العاديين مثلنا ؟.. ما وافقت عليه عقول العقلانيين قُبِل وإلاّ فَرُدَّ.. أوّل العقلانيين وإمامهم الّذي ردّ هذه الأحاديث كلّها بعد أن عاش في فرنسا فترة طويلة[1] رجع إلى الشّرق الإسلامي كما يقولون، يقول ذهبت هناك إلى أوروبا فوجدت أنّ هناك إسلامًا بلا مسلمين إسلاما مجسّدا، ورجعت إلى بلاد المسلمين فوجدت مسلمين بلا إسلام يعني، نحن مسلمون بلا إسلام وهناك إسلام مجسّد بلا مسلمين في أوروبا.. أيّها الشّباب لا تعيشوا اليوم في البادية، الدّنيا مفتّحة، ماذا في أوروبا غير الخمور والفسوق، ولكن السّذج يقولون : لا يخلفون الميعاد..ولا يتلاعبون في الأسعار، وإذا رأوا بائعا يقول: بعشرة ثمّ ينزل إلى ثمانيّة يستغرب يقول لي والبائع يقول : أنا لست أوروبيّا أو لست خَواجة.."خواجّة" هو الّذي يلتزم بقول واحد، هذا الكلام فيه خطورة :

أوّلا : التّسعير الّذي يلتزم به الأوروبيّون، ويعتبر هذا المسكين أنّ ذلك هو الإسلام بلا مسلمين ليس في الإسلام "التّسعير"، المسعّر هو الله لو أنّ صاحب هذا الدّكان باع بعشرة ريال وذاك بثمانية والآخر بسبعة، الإسلام لا يعيب هذا، هم يعيبون هذا، ولذلك يقولون وجدنا في أوروبا إسلاما بلا مسلمين ماذا وجدوا ؟!.. وهل تعرفون من قال هذا ؟ وأتباعه يعتبرون هذا عبقريّة.. عبقريّة الإمام الأعظم، الإمام الكبير "محمّد عبده"، الّذي يقول هذا الكلام هو رئيس العقلانييّن الموجودين اليوم، ومؤسّس العقلانيّة، وهو الّذي ينكر هذه الأشياء، وهذا المؤلّف[1] الّذي يشير إليه السّائل إن هو إلاّ تلميذ تتلمذ على تلاميذ "محمّد عبده"، فلنكن صرحاء لبراءة الذّمة بأنّ العقلانيين كتبهم منتشرة اليوم، يحاربون الإسلام حربا شعواء في أصول الدّين، وفي الفروع، بدعوى لا بدّ من عرض الأحاديث على العقل طالما عُرف الكتاب والكاتب.. وكما يقولون إذا ظهر السّبب بطل العجب. وإنّما نصيحتنا لشبابنا أن يكتفوا في سنّهم وفي علمهم هذا وفي مستواهم هذا، أن يكتفوا بالكتب المعروفة والمعروف مؤلّفوها بسلامة العقيدة وبسلامة المنهج حتّى ينضجوا، ولا ينبغي لهم

---

[1] ويحكى عنه أنّه من شدّة ولعه بالأوروبييّن، لبس لباسهم ووضع (البرنيطة) أي القبّعة الإفرنجيّة على رأسه وخلع عمامته.. فهل بعد هذا يشكّ شاك في ولع هذا الشّيخ "المسكين" بمناهج الضّائعين والمنحرفين والكفّار والمارقين ؟!.

[1] يقصد "سيّد قطب".

أن يقرأوا كلّ ما وقع في أيديهم لأنّ بعض هؤلاء العلمانييّن قد يحسن بهم الظّن كثير من النّاس، ومن الكتّاب ومن طلاّب العلم ويقعون فريسة لحسن الظّن بهم لذلك طالما توجد كتب سليمة من حيث المنهج وكتب سلمت عقائد مؤلّفيها، لستم في حاجة إلى أن تقرأوا في كلّ هذه الكتب، نصيحتي لكم أن تقتصروا في هذا المستوى على الكتب السّليمة ثمّ تتوسّعوا مع التّقدم في السّن والعلم وبالله التّوفيق وصلّى الله على نبيّنا محمّد وآله وصحبه وسلّم..»[2].

أرأيت أيّها القارئ الباحث عن الحقّ كيف وقف هذا الشّيخ الفاضل وهو "محمّد أمان الجامي" رحمة الله تعالى عليه في وجه انحرافات الشّيخ "محمّد عبده" ؟ وانحرافات غيره من المتأثّرين به ؟.. ومن أعجب العجائب أنّ "سيّد قطب" على زيغه وعلى ما ارتكب من طامّات عاب في كتاب له "محمّد عبده" من حيث غلوّه الشّديد في رفع العقل إلى مستوى فوق ما يقتضيه الشّرع، وذلك في كتابه « خصائص التّصور الإسلامي» ، وبإمكان القارئ بهذا المثال الأخير أن يدرك مدى بُعد الشّيخ "محمّد عبده" عن السّلفية بخصائصها ومميّزاتها بعد السّماء عن الأرض كما يقال.. رجل يحتار "سيّد قطب" (العقلاني) من عقلانيّته فإلى أيّة درجة وصلت عقلانيّة "محمّد عبده" إذن؟!.. وفي كلّ ما مرّ سابقا من تعريف بالخطوط الرّئيسيّة الّتي سار عليه مؤسّس اتّجاه العقلانيّة في العصر الحديث تبرز أسئلة مهمّة هيّ :

أ. إذا كان الشّيخ "محمّد عبده" بهذا الانحراف، فلماذا تأثّرت جمعيّة العلماء به لو كانت جمعيّة سلفيّة حقيقيّة كما ادّعاها بعض إخوتنا السّلفيين مؤخّرا ؟

ب. ومن الّذي شهد من رجال جمعيّة العلماء المسلمين الجزائرييّن بأنّ "ابن باديس" يشبه "محمّد عبده" ؟ أهذا أمر مؤكّد أم أنّه مجرّد فرية على الشّيخ "ابن باديس" وجمعيّته ؟

هذه أسئلة تتبادر إلى الذّهن بمجرّد الاطّلاع على ما كان عليه الشّيخ "محمّد عبده" من ابتعاد عن خصائص منهج السّلف الصّالح والجواب عليها يكون من عدّة وجوه :

لقد مرّ بنا في فصول سابقة كيف حاد الشّيخ "ابن باديس" عن السّلفية في مسائل عديدة، منها مثلا ردّه لحديث الآحاد في مسألة والديّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو في هذه النّقطة من الجانحين للمدرسة الّتي خلّفتها المعتزلة والأشاعرة، والمعتزلة والأشاعرة ومن بعدهم كان لهم وزر تأسيس هذه الفكرة، فكرة أنّ حديث الآحاد لا يفيد عقيدة باعتباره يفيد الظّن، ولا يجوز معارضة الآيات القرآنية حتّى وإن كانت عامّة، بأحاديث الآحاد الّتي تأتي مخصّصة لما ورد في الآية مثلا، فرأينا كيف استدلّ "ابن باديس" بقوله عزّ و جلّ :

---

[2] أسئلة وأجوبة في المسجد النّبوي بتاريخ 1404/6/22هـ.

«وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا»[1]، واستدلّ بها على نجاة والدي المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، باعتبارهما من أهل الفترة معارضا بذلك ما ورد في الحديث الصّحيح من أنّ أبويّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في النّار، فمن الطّبيعي أن يلتقي "ابن باديس" مع رأي "محمّد عبده" في هذه النّقطة، وهلّم جرّا..

كما أنّ "ابن باديس" يلتقي مع "محمّد عبده" في العمل لمصلحة الوطن قبل كلّ اعتبار، وفي توحيده للمسلمين في مسائل الاعتقاد توحيدا مختلاًّ، فالرّجلان مستعدّان للالتقاء مع كلّ الطّوائف في سبيل الصّالح العام ـ زعموا ـ، وكلاهما يعمل بطريقة وطنيّة وكأنّهما من المصلحين السّياسيين. قد يقول قائل: كيف يستقيم هذا الكلام، وقد عُرف الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله بحربه الشّعواء على الطّرقية، فسحقهم سحقا في العديد من مقالاته، والرّد على هؤلاء ـ والله أعلم ـ أنّ "ابن باديس" في بداية أمره قَبِل انضمام "الطّرقية" إلى جمعيّته، وهذا بتصريح الشّيخ "الطّيب العقبي" الّذي ذكر في كلام أوردته سابقا ما يلي: « فكان لكّل مسلم جزائري حقّ الانتساب إليها كعضو مؤيّد، فتأسّست وهي تشتمل على المصلحين والطّرقيين والمالكيين والإباضييّن لم ينظر فيها إلى مذهب دون آخر ولا إلى طريقة دون غيرها».. فالجمعية قبلت عضوية "الطّرقيين" في جمعيّتها، ولم تتبرّأ من الطّرقية والطّرقيين إلاّ بعد أن ظهروا على حقيقتهم من أنّهم عملاء الاستعمار الفرنسي وجلاوزته، فكانت الحرب من "ابن باديس" ورجال جمعيّته على الطّرقيين من أجل الوطن ومن أجل العمالة، وأنا لا أعني بهذا الكلام أنّ خيانة الوطن مع أعدائه المستعمرين أمر هيّن، بل هو أمر بشع، وفيه موالاة لأعداء الله من النّصارى الّذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم، وسيبقى هذا الأمر وصمة عار في جبين الطّرقية والطّرقيين إلى أن يلقوا ربّهم ما لم يتوبوا عن بدعة الطّرائق الّتي أملت عليهم التّملّق لأعداء الله عزّ و جلّ وأعداء نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، ولكنّني في هذا السّياق أودّ أن أشير إلى أنّ الطّرقية لو كانوا أوفياء لوطنهم ولم يخونوا الجزائر مع فرنسا لما أنكر عليهم الشّيخ "ابن باديس" طرائقهم الضّالة، ولكن لمّا وقعت هذه الخيانة للجزائر حاربهم "ابن باديس" بادئ ذي بدء من أجل ذلك ثمّ بعد ذلك تتالت هجماته عليهم في النّواحي الأخرى.. ولو كان "ابن باديس" يفكّر بالمنظور العقدي السّلفي الصّحيح ما قبلهم أصلا ولا قَبِل غيرهم من أهل الأهواء والبدع، وكأنّ الخلاف العقدي مع أهل الزّيغ والضّلال كالمعتزلة والأشاعرة والخوارج، وأحفادهم الإباضيّة والمرجئة والشّيعة ليس خلافا ذا بال عنده، وكلّ الأدلّة التّاريخيّة دلّت على أنّ الجمعية وبتصريح رجالها الكبار كالشّيخ "الطّيب العقبي" مثلا تقبل كلّ جزائري مسلم، مهما كانت عقيدته زائغة ومهما كان منهجه معوجًّا.. وهذا عين ما يقوله شيوخ مصر ابتداء "بمحمّد عبده" مرورا بمن جاء من بعده.. وهذه نقطة التقاء بين "عبده" و"ابن باديس"، ونقطة افتراق مع الفهم السّلفي الصّحيح.. وكون "ابن باديس" وبعض رجال

---

[1] سورة الإسراء، [الآية 15].

جمعيّته مُتيّمين "بمحمّد عبده"، أمر لا يتطلّب تعبا كبيرا لمن يبحث في كتب هؤلاء وسأستعرض أدلّة ذلك والّتي تكون كالتّالي :

1. في ترجمة حياة "ابن باديس" ذكر أنّه تزوّج لمّا بلغ خمسة عشر عاما، ولمّا أنجبت زوجته مولودا سمّاه "محمّد عبده" إسماعيل، ولعلّ هذا الشّطر من حياة "ابن باديس" يبيّن لنا مدى حبّه للشّيخ "محمّد عبده" لدرجة أنّه يطلق اسمه على مولوده، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يـدلّ دلالـة واضحة على مـدى تأثيـر شخصيـة "مـحمّـد عـبـده" في حياة الشّيخ "ابن باديس" وعلى مدى تأثّره به.. ولو قال قائل بأنّ ذلك صدر من الشّيخ "ابن باديس" وهو في بداية حياته لأنّه تزوّج في سنّ مبكّرة، فإنّه ليس لدينا ـ فيما طالعته بنفسي ـ نقل واحد يتبرّأ فيه "ابن باديس" من فكر "محمّد عبده"، بل على العكس من ذلك فإنّ الأدلّة بقيت تدلّ بقوّة على ولوعه "بمحمّد عبده" حتّى بعد أن صار علم الجزائر الأوّل.. ودليل ذلك فيما ورد على ألسنة رجال الجمعية المعروفين، ومنهم رجل الجمعية الثّاني وشيخها الّذي تولّى رئاستها بعد رحيل "ابن باديس" الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي"، وهو شيخ الجمعية المعروف الّذي ملأت شهرته أرجاء الوطن وأرجاء بعض البلاد العربيّة الإسلامية.. « قال الشّيخ "الإبراهيمي" في مقال عن الاحتفال بختم "ابن باديس" تفسير القرآن الكريم[1]، نشر في مجلّة "الشّهاب" وأثبت في "التّصدير" من هذا الكتاب[2] : ثمّ جاء إمام النّهضة بل منازع، وفارس الحلبة بلا مدافع، الأستاذ "محمّد عبده"، فجلا بدروسه في تفسير كتاب الله عن حقائقه الّتي حام حولها من سبقه ولم يقع عليها، وكانت تلك الدّروس آية على أنّ القرآن لا يفسّر إلا بلسانين : لسان العرب ولسان الزّمان، وبه وبشيخه "جمال الدّين" استحكمت هذه النّهضة واستمرّ مريرها، ثمّ جاء الشّيخ "رشيد رضا"، جاريا على ذلك النّهج الّذي نهجه "محمّد عبده" في تفسير القرآن، كما جاء شارحًا لآرائه وحكمته وفلسفته في الدّين والأخلاق والاجتماع.. ثمّ جاء أخونا وصديقنا الأستاذ الشّيخ "عبد الحميد بن باديس"، قائد تلك النّهضة في الجزائر، بتفسيره لكلام الله على تلك الطّريقة وهو ممّن لا يقصر على من ذكرناهم في استكمال وسائلها، من ملكة بيانية راسخة، وسعة اطلاع على السّنّة وتفقّه فيها، وغوص على أسرارها، وإحاطة وباع مديد في علم الاجتماع البشري وعوارضه وإلمام بمنتجات العقول ومستحدثات الاختراع ومستجدّات العمران يمدّ ذلك كلّه قوّة خطابية قليلة النّظير وقلم كاتب لا تفل له شباة» [1]، ثمّ قال "الإبراهيمي" في موضع آخر ما يلي :

---

[1] أشرنا إلى أنّ مثل هذه الاحتفالات بدع لم يَعرفها سلفنا الصّالح، ولكنّ رجال الجمعيّة مصرّون على ذلك.. فتأمّل..

[2] هو كتاب (مجالس التّذكير من كلام الحكيم الخبير)..

[1] (مجالس التّذكير من كلام الحكيم الخبير)، [ص 10 و11].

« أتمّ الله نعمته على القطر الجزائري بختم الأستاذ "عبد الحميد بن باديس" لتفسير الكتاب الكريم درسا على الطّريقة السّلفية.. وكان إكماله إيّاه على هذه الطّريقة في خمس وعشرين سنة متواليات مفخرة مدّخرة لهذا القطر وبشرى عامّة لدعاة الإصلاح الدّيني في العالم الإسلامي كلّه، تمسح عن نفوسهم الأسى والحزن لما عاق إمام المصلحين "محمّد عبده" عن إتمامه درسا[2]. فهذه الأقوال تثبت ثبوتا قاطعا أنّ الشّيخ "الإبراهيمي" محبّ كبير للشّيخ "محمّد عبده"، وأنّه مسرور بوصف "ابن باديس" بأنّه سار على نهج "محمّد عبده"، وهنا أطرح سؤالا : هل الشّباب السّلفي الّذي جاءنا في الفترة الأخيرة برأي لم نسمعه من قبل إلاّ من عند شانِئِي السّلفية ومبغضيها بأنّ الشّيخ "ابن باديس" سلفي خالص بالمعنى الّذي نعرفه عن الدّعوة السّلفية المباركة السّليمة، هل هذا الشّباب يعرف "ابن باديس" أكثر من معرفة "محمّد البشير الإبراهيمي" له ؟ الجواب أكيد : لا..لأنّ الشّيخ "الإبراهيمي" من المحبّين الأوفياء "لابن باديس" ومن الّذين عرفوه عن قرب، كيف لا وهما اللّذان وضعا مع بعضهما لبنة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فمن الطّبيعي أن لا تقارن معرفة شبابنا اليوم "لابن باديس" بمعرفة صديقه الحميم وخليفته في جمعيّته الشّيخ "الإبراهيمي"، فإذا قال شبابنا السّلفي : بأنّ الشّيخ "محمّد عبده" سلفي فتلك طامّة ما أعتقد أنّ أبسط السّلفيين يقول بها.. فإذا اعترفوا بأنّ "ابن باديس" تأثّر فعلا "بمحمّد عبده" فيكون اعترافهم آنذاك دليلا واضحا على أنّ سلفية الشّيخ "ابن باديس" محلّ نظر ومحلّ بحث وتنقيب.. وهذا الشّيخ "محمّد العيد آل خليفة" الّذي يعتبر الشّاعر الأوّل لجمعيّة العلماء المسلمين يمدح "ابن باديس" في قصيدة له، ويصفه بأنّه امتداد "لجمال الدّين الأفغاني" و"لمحمّد عبده".. فيقول في هذه القصيدة الّتي ألقاها بمناسبة الاحتفال بختم دروس تفسير القرآن الكريم في مدينة قسنطينة ما يلي :

بمثلك تعتزّ البلاد وتفخر	❖❖	وتزهر بالعلم المنير وتزخر
طبعت على العلم النّفوس نواشئا	❖❖	بمخبر صدق لا يدانيه مخبر
نهجتَ لها في العلم "نهج بلاغة"	❖❖	ونهج مفاداة كأنّك "حيدر"
حَبتْكَ عمالاتُ الجزائر حُرمة	❖❖	مشرّفة عظمى بها أنت أجدر
ففي كلّ وفدٍ راشد لك دعوة	❖❖	وفي كلّ حفل حاشد لك منبر
يراعُك في التّحرير أمضى من الظّبي	❖❖	وأقصى من الأحكام أيّان يُشهرُ
ودرسُك في التّفسير أشهر من الجنى	❖❖	وأبهى من الرّوض النّضير وأبهرُ

---

[2] (مجالس التّذكير من كلام الحكيم الخبير)، [ص 15].

ختـــمتَ كـتـاب اللّـه خـتـمــةَ دارس ❖❖ بصير له حـلّ الـعـويـص مـيـسّرُ

فَكَمُ لـك فـي الـقـرآن فـهم مـوفّـــق ❖❖ وكـم لـك فـي القـرآن قـول محرّرُ

قـبستَ مـن القـرآن مـشـعـل حـكـمـة ❖❖ يـنـار بـه السّـر اللّطـيـف ويبصـرُ

وبـيّنـتَ بـالـقـرآن فـضـل حـضـــارة ❖❖ أقـرّ لـهـا كـسـرى وأذعـن قـيـصـر

حـكـيـتَ "جـمـال الـدّين" في نظراتـه ❖❖ كـأنّ "جـمـال الـدّيـن" فيك مصوّر

وأشـبـهـتَ فـي فـقـه الشّـريعة "عبده" ❖❖ فـهـل كُـنـتَـه أم "عـبـده" فيك يُنْشَرُ

أعـدْ يـا "ابن باديـس" الحديـث وأَبْـدِهِ ❖❖ بأنـعـمـك الـلآتي بـهـا أنـتَ تُؤثَـرُ

فهذه القصيدة دليل واضح على أنّ رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين متأثّرون بمدرسة "محمّد عبده" وشيخه "جمال الدّين الأفغاني" تأثّرا بالغا، ومن كان يعلن الولاء "لمحمّد عبده" وينتهج منهجه فقد برئت منه السّلفية الحقيقيّة، لأنّ الرّجل كان شيخ المدرسة العقلانيّة في هذا الزّمان، ومدرسته كانت سببا في انحراف متخرّجي "الأزهر" عن الخطّ السّلفي فهو في عقيدته أشعريّ معتزلي مقدّس للعقل، وهو في منهجه الّذي يسمّيه البعض بالمنهج التّربوي الإصلاحي متأثّر بكلّ نظرية غربيّة لأنّه أُشْرِب في قلبه حبّ الحضارة الغربيّة بكلّ ما فيها من كُفر وفجور وانحلال وفسق وبعد عن الدّين، وهو من الّذين جنحوا إلى التّأويل الفاسد المنحرف في تفسيره للقرآن الكريم، وهو من النّوع المكذّب بكلّ عقيدة غيبيّة وردت عن طريق حديث الآحاد، وهو في منهجه السّياسي وطنيّ صرف يرفع مصلحة "مصر" فوق الاعتبار الدّيني، وشطحاته وانحرافاته، كما قلت سابقا جديرة بأن تجمع في كتب ومجلّدات لو أُفردت بالدّراسة التّحليليّة، فكيف أعجبت جمعية العلماء.. وعلى رأسها الشّيخ "ابن باديس" بالشّيخ "محمّد عبده"، وكيف جعلته رائد النّهضة وفارس الحلبة بلا منازع لو لم تكن بينهما نقاط التقاء..؟!

إنّ الشّيخ "محمّد عبده" هو المعلّم الّذي تخرّج على يديه ـ أي تخرّجوا على طريقته ومن مدرسته على الرّغم من أنّهم لم يتلقّوا عنه العلم مباشرة ـ، قلت : هو المعلّم الّذي تخرّج على طريقته أمثال الشّيخ "محمود شلتوت" و"محمّد أبي زهرة" و"محمّد الغزالي" وغيرهم من أساطين النّزعة العقلانيّة، ولا يوجد سلفيّ قُحّ كما يقال ينكر أنّ الشّيخ "محمّد الغزالي" مثلا يمثّل المدرسة العقلانيّة في خطّه ومنهجه، وهو متأثّر بالمعتزلة والأشاعرة نظرا لتأثّره بخطّ "محمّد عبده"، وقد يتساءل بعض القائلين اليوم فيوجّهون هذا السّؤال : « هل المعتزلة موجودون اليوم ؟ يرى بعض الباحثين أنّ الجهميّة والمعتزلة من الطّوائف الّتي عاشت في السّاحة الإسلامية ردحًا من الزّمن ثمّ اختفت، وأنّ مناقشة أفكارهم وعقائدهم صراع مع الرّميم يتنزّه عنه العقلاء، فنجد بعضهم يعقد في كتابه مبحثًا بعنوان "من أسباب اضمحلالهم" فيذكر بعض الأسباب، ثمّ يقول : "ولعلّ ممّا عجّل بانقراضهم كثرة اختلافاتهم"

ويقول آخر : «إذا كان الإسلام لا يتعارض مع العقل فما المدى الّذي يسمح فيه للتّفكير العقلي في أصول الدّين، حتّى لا تتكرّر مأساة اختفاء المعتزلة»، ويقول : «قام المعتزلة بدور رئيسي في الحياة العقليّة للحضارة الإسلاميّة منذ القرن الثّاني إلى القرن الخامس الهجري حتّى تواروا بعد ذلك عن مسرح الفكر».. ثمّ يطمئن نفسه بأنّ تراث المعتزلة باق فيقول : «وقد قام الإمام المنصور بالله "عبد الله بن حمزة بن سليمان" [ت 614هـ] أحد أئمّة الزّيديّة باليمن بإرسال دعاته إلى خارج اليمن لاستنساخ الكتب والمصنّفات الّتي توافق مذهب الزّيدية وخاصّة مؤلّفات المعتزلة، بذلك حفظت لنا مكتبات اليمن وأقبيّتها تراث المعتزلة».

ويقول د. "يوسف القرضاوي".. مقلّلا من أهميّة بقاء الحوار مع المتكلّمين المؤوّلة : "ولهذا قلت لإخواننا العلماء في قطر والمملكة العربيّة السّعوديّة حيث سمعت بعضهم يجادل في قضيّة الصّفات بين السّلف والخلف، وما فيها من جدل وكلام طويل الذّيول : إنّ المعركة اليوم ليست مع الأشاعرة ولا مع الماتريديّة، ولا المعتزلة والجهميّة : إنّ معركتنا الكبرى مع الملاحدة الّذين لا يؤمنون بإله ونبوّة ولا كتاب، ليست معركتنا مع الّذين يقولون عن الله : ليس له مكان، بل مع الّذين يقولون : ليس له وجود وعلينا أن نخلقه كما قال أحدهم!.. ليست معركتنا مع الّذين يؤوّلون صفات الله تعالى، بل مع الّذين يجحدون الله بالكليّة، وأي تحويل للمعركة عن هذا الخطّ يعتبر توهينا للصّف، وفرارا من الزّحف وإعانة للعدوّ، ومن الإنصاف أن أقول : إنّي وجدتُ تجاوبا رائعا من علماء قطر والمملكة العربية السّعوديّة[1] نحو هذا الاتجاه فيما عدا القليل منهم.." أقول : هذا كلام غير مقبول لأمور :

***الأوّل* :** أنّ هذا التّوجه الأُحادي الانتقائي تجاه الملل والنّحل الضّالة ينافي المنهج الإسلامي القويم الّذي بعث الله به رسله، والّذي يقضي بوجوب إقامة الدّين الحقّ، ومحاربة كلّ ملّة أو نحلة ضالّة مخالفة للدّين، قال تعالى : « هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه» [التّوبة : 33 والفتح : 28].

***الثّاني* :** مقتضى هذا القول : أنّ المعركة ليست بيننا وبين اليهوديّة والنّصرانية المحرّفتين باعتبار أهلهما مقرّين بوجود الله، وهذا ضرب من الإرجاء الخطير..

***الثّالث* :** ممّا يقرّب هذا اللاّزم أنّ كلام "القرضاوي" هذا وإن كان غريبا لدى سائر المسلمين، ليس غريبا على منهج المدرسة الّتي ينتمي إليها» [2] والمدرسة الّتي ينتمي إليها "القرضاوي" وإن كانت منسوبة إلى "حسن البنّا" باعتباره أوّل رجل أسّس جماعة ذات بنود

---

[1] أتحدّاك يا شيخ "يوسف القرضاوي" أن تجد هذه الفكرة تجاوبا في المملكة العربيّة السّعودية، بلد علماء التّوحيد، ومشايخه الكبار يحاربون هذه الأفكار بكلّ ما أتوا من قوّة، ولعلّ التّجاوب الرّائع الّذي ذكرته . إن وُجد . فهو من قِبل الّذين تأثّروا بهذه الدّعوات من الشّباب هناك..

[2] (جناية التّأويل الفاسد على العقيدة الإسلاميّة) للشّيخ "محمّد أحمد لوح" [ص 237 و238].

معيّنة وهي جماعة الإخوان المسلمين، إلاّ أنّ جذور مدرسة "البنّا" نفسها منبثقة في الكثير من جوانبها من فكر الشّيخ "محمّد عبده" الّذي مات قبل ميلاد "حسن البنّا"، رغم أنّ هذا الأخير حاول وضع تعاليم جديدة تختلف عن مدرسة "محمّد عبده" ومع ذلك فقد بقيت آثار « محمّد عبده" بأفكاره الشّهيرة طاغية على المصريين ذوي الاتّجاه الإسلامي على اختلاف مشاربهم، فأفكار الاعتزال والأشعرية بقيت مؤثّرة على عقيدة كلّ هؤلاء، « والحقّ الّذي لا ريب فيه أنّ المعتزلة وإن رحلت بأعلامها ومشاهيرها فقد بقي الاعتزال بكلّ معانيه وصوره، بقي الاعتزال تحت فرق تسمّت بأسماء أخرى وبقي بمناهجه وأصوله تحت أشخاص ينتسبون إلى السّنة بألسنتهم»[1]. وهذا ما حدث للشّيخ "محمّد عبده" الّذي يعتبر حامل لواء الاعتزال والعقلانية في زمانه، ولو كان الشّيخ "ابن باديس" سلفيّا صرفا لبادر إلى انتقاد "عبده" وإلى الرّد عليه في كلّ انحرافاته، ولمنع تشبيهه "بمحمّد عبده" ولتبرّأ من انحرافاته.. ولكنّ "ابن باديس" ظلّ معتزّا بمدرسة الشّيخ "محمّد عبده"، وظلّ رجاله كذلك معتزّين بالانتماء لمدرسة زعيم "العقلانية"، كيف لا وقد وصفه الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي" بأنّه (إمام النّهضة بلا منازع وفارس الحلبة بلا مدافع)، فكيف يستقيم العود والظّل أعوج.. وعلى حدّ تعبير الشّاعر :

وإذا المعلّم ساء لحظّ بصيرة ❖❖ جاءت على يده البصائر حولا

فإذا كانت جمعية العلماء سلفية فأين ردودها على ضلالات الشّيخ "محمّد عبده" على كثرتها وانتشارها[2] ؟ بل أين وقوفها في وجهه بالرّدود السّلفية على جميع الأصعدة سواء على صعيد العقيدة أم التّفسير أم التّربية والإصلاح أم العبادات أم المنهج ؟.. إنّ من يرتكب الخطأ العقدي ويزيغ عن المعتقد الصّحيح لا ننتظر منه أن يعلنها صريحة بأنّه معتزلي أو أشعري أو مرجئي أو شيعي.. بل يكفينا منه أن يعتقد بعقائد هؤلاء ليُحسب عليهم حتّى وإن حاول التّملص من ذلك والهروب من التّسمية لأنّ "البعرة تدلّ على البعير" على حدّ تعبير أحد الأعراب.. فالشّيخ "أبو يعلى الزّواوي" مثلا لمّا ذكر أنّ القرآن معدن من أنفس المعادن، هل يتساهل معه في هذا ؟ أليست تلك العبارة دالّة على أنّه وصف القرآن بوصف مردود ومرفوض يفضي إلى القول بخلقه والعياذ بالله تعالى ؟ إنّ المطلوب هو تصحيح الخلل، أمّا كون صاحبه يقصد ذلك أو لا يقصد فذاك فيما بينه وبين ربّه عزّوجلّ.. وانظر إلى الشّيخ "محمّد الغزالي" كيف شرح أحد الأحاديث النّبوية المتعلّقة بالقدر بما هو عين شرح المعتزلة له فقال : « ومن ثمّ فإنّنا نتناول بحذر شديد ما جاء في حديث مسلم : "فو الّذي لا إله غيره إنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنّة حتّى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النّار فيدخلها.. وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النّار...إلخ"، إذا

---

[1] (جناية التّأويل الفاسد على العقيدة الإسلاميّة) للشّيخ "محمّد أحمد لوح" [ص 237 و238].

[2] وما أكثر الأخطاء العقديّة عند أصحاب الأقلام المسعورة من العقلانيين والحركيين والفكريين، فإلى الله المشتكى من فساد هؤلاء.

كان الحديث المذكور تنويها بشمول العلم الإلهي، وأنّ بدايات بعض النّاس قد تكون مخالفة لنهاياتهم فلا بأس من قبوله بعد الشّرح المزيل للّبس المبطل للجبر، أمّا المعنى القريب للحديث فمردود يقينا..، والمثير هنا مطابقة نظر "الغزالي" مع نظر "النّظام" في ردّ هذا الحديث حيث نسب راويه ابن مسعود رضيّ الله عنه إلى الكذب وعدّ مدلوله من الجبر»[1]، فهل ننتظر من "الغزالي" بعد هذا أن يقول : «اسمعوا أيّها القرّاء أنا هنا في مسألة الحديث عن موضوع القضاء والقدر "معتزلي" وأتبنّى رأي واحد من أساطين المعتزلة وهو "النّظام"»..لا طبعا.. يكفينا منه ـ ومن غيره ـ أن يكون خطّه هو نفس الخطّ الّذي سار عليه أولئك الضّلال الّذين زاغوا عن فهم الكتاب والسّنة كما فهمهما الصّحابة رضيّ الله عنهم ومن اهتدى بهداهم.. وقد يقول قائل : إنّ عقيدة الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" سلفية صرفة لا غبار عليها والجواب أنّني قد اطّلعت على كتاب "العقائد الإسلاميّة" من الآيات القرآنية والأحاديث النّبوية" "لابن باديس" رحمه الله والّذي نشر بمقدّمة أولى ومقدّمة ثانية لواحد من الّذين تتلمذوا عنده وهو "محمّد الصّالح رمضان" فوجدت في هذا الكتاب كلاما مجملا عن بعض أصول الاعتقاد الّتي ينبغي على المسلم الإيمان بها ومعرفتها ووجدت أنّ الشّيخ "ابن باديس" من الصّعب الحكم على عقيدته لأنّه تعرّض إلى مسائل عامّة وقرّر في بعض المواطن عقيدة السّلف، ولكن عدم تعرّضه لعرض العقيدة الصّحيحة وما يضادّها هو الّذي يجعل مهمّة الحكم على عقيدته من الأمور العسيرة، وكأنّ الرّجل تعمّد عدم التّعرّض لمناهج الفرق المنحرفة حتّى يكون عوانا بين ذلك والله أعلم.. لقد شهد له بعض معاصريه بأنّه كان على عقيدة السّلف ولكن ما يزالون مصرّين أنّ خطّه العقدي هو نفسه خطّ "جمال الدّين الأفغاني" والشّيخ "محمّد عبده"، وهنا الخلل في هذا الموضوع بالذّات.. لأنّ "ابن باديس" إذا كان سلفي العقيدة فلا يمكن أن يكون على درب "الأفغاني" و"عبده"، لأنّ هذين الأخيرين من أكثر النّاس تمسّكا بعقيدة الفرق المنحرفة كالاعتزال والأشعرية عند "عبده" وبعض معالم الرّفض والتّشيع عند "الأفغاني".. وإذا كان تلاميذ "ابن باديس" ورجال جمعيّته مصرّين على أنّه نَهَجَ نَهْجَ "الأفغاني" و "محمّد عبده" في العقيدة فتلك شهادة منهم على أنّ (سلفية) "ابن باديس" ليست السّلفية بمعناها الصّحيح، وإنّما سلفية أخرى مشوّشة لا تمت بصلة للسّلفية المنبثقة جذورها من الصّحابة والتّابعين ومن سار على دربهم من العلماء الأخيار في كلّ العصور، فهذا التّلميذ من تلاميذ "ابن باديس" وهو "محمّد الصّالح رمضان" يقول في المقدّمة الثانية لكتاب العقائد الإسلامية ما يلي : « وكأنّ صوت إمامنا ما يزال يرنّ في أذني حين إملاء هذه الدّروس بالجامع الأخضر، وقد حذا فيها الإمام حذو السّلفية الرّشيدة من اعتماد كتاب الله، والصّحيح من سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قبل تفسيرات المذاهب المختلفة وتأويلات أصحابها في مرحلة الاختلاط والاستشهاد بما عند الأقدمين من أصحاب الأديان والفلسفات والمذاهب الأخرى، ومن المحقّق أنّ بعض هذه الآراء كما كان لها فضل التّجلية ودقّة الاستشهاد كان لها أيضا

---

[1] (جناية التّأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية) للشّيخ "محمّد أحمد لوح" [ص 241]، والكلام في البداية للشّيخ "الغزالي" والتّعليق للشّيخ "محمّد أحمد لوح" الّذي قدّم هذه الرّسالة النّافعة.

أثرها الضّار في التّعمية أو البعد عن جادة الصّواب أحيانا، ممّا أثار البلبلة والحيرة وتشعّب الآراء وانبهام الحقيقة أمام الدّارس.. وكان ذلك ممّا دعا المصلحين إلى ضرورة العودة إلى إصلاح العقائد الإسلاميّة وشرح المصطلحات، وحلّ القضايا على نمط سلفي واضح بصريح نصّ الكتاب والسّنة الصّحيحة لا برأي الجبرية والقدرية وغير ذلك من الآراء الفلسفيّة، فخير طريقة في تعليم العقائد في التّوحيد هي طريقة الشّارع الحكيم المبنيّة على مراعاة الفطرة الإنسانيّة السّليمة، البعيدة عن الأوضاع والتّقنيّنات البشرية الّتي تعب الأوائل في وضعها فتعبوا وأتعبوا النّاس في فهمها، ولعلّ أوّل الصّيحات الّتي ارتفعت بقوّة في هذا الصّدد صيحات المصلحين العظيمين السّيد "جمال الدّين الأفغاني" والإمام "محمّد عبده" في دعوتهما وكتابتهما وتدريسهما، وعلى هذا النّحو جاء كتابا : الرّد على الدّهريين ورسالة التّوحيد، وعلى هذا السّنن و- بطريقة أوضح وأبسط - سار الإمام "ابن باديس" الّذي وضع هذه العقائد على أسس من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبوية الصّحيحة، فكانت تحقيقا ودفعا قويّا لتحقيق أماني الإمامين "الأفغاني" و"عبده"».. فالملاحظ أنّ كلّ من تكلّم عن الشّيخ "ابن باديس" يقطع بأنّه الامتداد الحقيقي "لمحمّد عبده" ولشيخ هذا الأخير "جمال الدّين الأفغاني".. فكيف يمكننا الجمع بين هذه المتناقضات ؟ إنّه من ثمار العقيدة الصّحيحة أنّها تعلّمنا أن لا نحابي في دين الله أحدا حتّى ولو كان من أرحامنا، فكيف يوصف "ابن باديس" بالسّلفية ويوصف في الوقت نفسه بأنّه (خليفة) "محمّد عبده" الّذي يعتبر بحقّ رجلا يناقض السّلفية في مفهومها الصّحيح جملة وتفصيلا..؟.. ولتكون الأمثلة أكثر وضوحا أضرب للقارئ هذا المثال :

في عقيدة "الميزان" قال الشّيخ "ابن باديس" تحت عنوان (وزن الأعمال والجزاء عليها) :

« نؤمن بأنّ الله تعالى ينصب الميزان يوم القيامة، فتوزن أعمال العباد ليجازوا عليها، ويقتص من بعضهم البعض، فمن رجحت حسناته نجا ومن رجحت سيّئاته عذّب إذ ذاك واجب في عدل الله لقوله تعالى : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة، فلا تُظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين»، « فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره»، «فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأمّا من خفّت موازينه فأمّه هاوية»، «أم حسب الّذين اجترحوا السيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السّماوات والأرض بالحقّ ولتجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون». ولحديث أبي هريرة رضيّ الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم : « أتدرون ما المفلس ؟ فقال : إنّ المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة.. ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيتْ حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحتْ عليه

ثمّ طُرح في النّار» (رواه مسلم)»[1] ، "فابن باديس" رحمه الله ذكر أنّه من الواجب علينا أن نؤمن بأنّ الله تعالى ينصب "الميزان"، ولم يذكر بالتّفصيل عقيدة السّلف الصّالح في "الميزان" وإنّما ركّز على الآيات (والحديث) الّتي ورد فيها ذكر وزن الأعمال والمجازاة عليها إن خير فخير وإن شرّ فشرّ، وبهذه الاستدلالات حول موضوع الإيمان بالميزان يمكن القول إنّ كلامه هذا عام يرضي كلّ الأطراف المتنازعة في العقيدة في هذا الموضوع بالذّات، ولو دقّق أكثر في موضوع "الميزان" لظهر رأيه الحقيقي أهو من الّذين يجنحون إلى التّأويل الفاسد أم أنّه يثبت عقيدة السّلف في "الميزان" الّذي يُنصب يوم القيامة كما وردت بها الأدلّة في أحاديث صحيحة، واستدلاله بالآيات كان في موضعه ولكن كان ينقصُه الاستدلال بالأحاديث النّبوية الّتي وردت في الميزان، قال العلاّمة "ابن أبي العزّ الحنفي" رحمه الله وهو شارح العقيدة الطّحاوية للإمام "الطّحاوي" رحمه الله، وكتاب (العقيدة الطّحاوية) قرّر فيه صاحبه عقيدة السّلف وهو من أروع المصادر في ذلك لولا أنّ الإمام "الطّحاوي" زلّ في مسألة الإيمان حيث عرّف الإيمان بأنّه تصديق بالقلب وإقرار باللّسان، ولم يُتمّ التّعريف الكامل للإيمان لمّا أسقط (عمل الجوارح والأركان)، ولكنّ الكتاب تلقّته الأمّة بالقبول جيلا بعد جيل محذّرة من مسألة "الإيمان" الّتي زلّت فيه قدمه رحمه الله.. قلتُ : قال الإمام "الطّحاوي" رحمه الله : « ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثّواب والعقاب والصّراط والميزان»، وقال الشّارح "ابن أبي العزّ" في شرح ذلك : « والّذي دلّت عليه السّنة أنّ ميزان الأعمال له كفّتان حسيّتان مشاهدتان. روى الإمام أحمد من حديث أبي عبد الرّحمان الحُبلي، قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «إنّ الله سيخلّص رجلا من أمّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كلّ سجل مدُّ البصر، ثمّ يقول له : أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتي الحافظون ؟ قال : لا يا ربّ، فيقول : ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرّجل، فيقول : لا يا ربّ، فيقول : بلى، إنّ لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك فَتُخْرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدا عبده ورسوله، فيقول : أحضروه، فيقول : يا ربّ، وما هذه البطاقة مع هذه السّجلات ؟ فيقال : إنّك لا تظلم، قال : فتوضع السّجلات في كفّة [والبطاقة في كفّة]، قال : فطاشت السّجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرّحمان الرّحيم» »[1]. و في كتاب "مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطيّة" للشّيخ العلاّمة "عبد العزيز المحمّد السّلمان" :

---

[1] (العقائد الإسلامية) للشّيخ "ابن باديس" بتعليق الأستاذ "محمّد الصّالح رمضان" [ص 123 و124].

[1] (شرح العقيدة الطّحاوية) للإمام "الطّحاوي" [وبشرح "ابن أبي العزّ الحنفي" وبتعليق شيخنا علاّمة العصر الشّيخ "الألباني" رحمه الله]، قال الشّيخ العلاّمة "الألباني" في تخريج هذا الحديث : صحيح، وصحّحه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذّهبي وحسّنه التّرمذي وفي روايتيهما : فلا يثقل مع اسم الله شيء، وأمّا رواية الكتاب فهي رواية لأحمد [213/2] وهي شاذّة، وقد تكلّمت على إسناد الحديث في سلسلة الأحاديث الصّحيحة [135]..

«ما هو الميزان وهل هو حقيقي وما هو الدّليل على ذلك..الخ..» فأجاب جزاه الله خيرا بما يلي : الميزان حقيقي له لسان وكفّتان توزن به أعمال العباد قال تعالى : «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة» الآية..وقال : «فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأولئك الّذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون» وقال : «والوزن يومئذ الحقّ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه»الآية، وقال : «فأمّا من ثقلت موازينه» الآيتين.. قال ابن عبّاس رضيّ الله عنهما توزن الحسنات في أحسن صورة والسّيئات في أقبح صورة وفي الصّحيح أنّ البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان أوغيايتان أوفرقان من طير صوّاف وفي قصّة القرآن وأنّه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللّون..الحديث.. وفي قصّة سؤال القبر فيأتي المؤمن شاب حسن اللّون طيّب الرّيح فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصّالح وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق.. وقيل يوزن كتاب الأعمال واستدلّ له بحديث البطاقة وقيل يوزن صاحب العمل كما في الحديث يؤتى بالرّجل السّمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة ثمّ قرأ « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا»..إلخ..»[1]، ففي مسألة الإيمان بالميزان ذكر "ابن باديس" أنّنا نؤمن بالميزان دون أن يتعرّض لذكر الأحاديث الّتي وردت في وصف الميزان، وطريقته هذه في عرض العقيدة يمكن أن ترضي كلّ الفرق، أمّا طريقة الشّارح "ابن أبي العزّ الحنفي" وكذا ما مرّ بنا من كلام الشّيخ العلاّمة "عبد العزيز السّلمان"، فإنّها تجد المعارضة من طرف الفرق المنحرفة الّتي ترفض الإيمان بوصف الميزان كما وصفه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وتجنح إلى التّأويل الفاسد، وخير دليل على ذلك أنّ شارح (العقائد الإسلامية) "لابن باديس" رحمه الله وهو الأستاذ "محمّد الصّالح رمضان" ذكر في شرحه لقول "ابن باديس" : «نؤمن بأنّ الله تعالى ينصب الميزان يوم القيامة» ما يلي :

«الميزان : مخلوق من مخلوقات الله تعالى لا نعرف شكله ولا كيفيّته، فهو ممّا نؤمن به بلا كيف ووهم من يفسّره بكفّتين ولسان، لأنّ ذلك من البدائيّة في التّفكير والتّشبيه»[2]، فهذا الانحراف بالتّكذيب بصفة الميزان المذكورة في أحاديث صحيحة يعدّ تأويلا فاسدا هو بقية باقية من ميراث التّأثر بعقلانية المعتزلة وتأويلات الأشاعرة.. وهذا الكلام يُحسب على صاحبه "محمّد الصّالح رمضان"، ولكنّه يجعلنا نخرج بنتيجتين هما :

---

[1] راجع هذه النّقطة في كتاب (مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية) للشّيخ "عبد العزيز السّلمان"، [ص 113 و114].

[2] تجد هذا الكلام في (العقائد الإسلامية) "لابن باديس" شرح "محمّد الصّالح رمضان" . الهامش (1) من [ص 123].

1. هذا الرّجل وهو "محمّد الصّالح رمضان" يذكر عن نفسه أنّه حضر دروس العقيدة عند الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله فقال : « واستمرّ بي المقام في رحاب الشّيخ خمس سنوات وهي مدّة ليست بالطّويلة في عمر الزّمان، ولكنّها ـ والحمد لله ـ أثرت وأثمرت بعدما أينعت فيما أظنّ، إذ استدعاني الإمام بعد ثلاث سنوات فقط من التّلمذة عليه لأعاونه في التّدريس لطلاّبه بقسنطينة مع معاونيه، ثمّ عيّنني معلّما في مدرسة التّربية والتّعليم بقسنطينة، ومع ذلك لم أنقطع عن دروسه وخاصّة درس التّفسير حتّى لقي ربّه في 1940/4/16م...»،[1] فمن خلال ما حكاه هذا الرّجل يمكن القول إنّ "ابن باديس" أجازه كتلميذ له، وبهذا يمكن القول إنّ هذا التّلميذ تعلّم من شيخه هذا التّأويل الفاسد في مسألة الإيمان بالميزان ربّما أثناء شرح الشّيخ للدّرس.. فيكون الشّيخ "ابن باديس" لاجئا إلى تأويل الأحاديث بطريقة فاسدة بنفس طريقة الشّيخ "محمّد عبده"..

2. أمّا إذا كان التّلميذ شرح هذا الموضوع من معلوماته الخاصّة، فيمكن القول إنّ طريقة "ابن باديس" المجملة في عرض العقائد دون التّعرّض للرّد على المنحرفين العقلانيين كانت سببا في انحراف التّلاميذ من بعده بهذه التّأويلات الفاسدة.. لأنّ الشّيخ لو ذكر لطلابه وجوب الإيمان بأنّ الميزان له كفّتان حسّيتان ورد ذكرهما في أحاديث صحيحة لترك آثار ذلك على تلاميذه وطلاّب العلم عنده، لأنّ عرض العقيدة بدون التّعرض للرّدود المُبيّنة لفساد عقائد الفرق المنحرفة عن منهاج أهل السّنة والجماعة، يجعل دارس العقيدة غير مدرك لمخاطر هذه الفرق فيحسب نفسه على عقيدة السّلف الصّالح، وهو في حقيقة أمره في مواطن مع المعتزلة وفي مواطن مع الأشاعرة ومع غيرهم من أهل الانحراف والزّيغ من حيث يدري أو لا يدري.. وهذه هي المنفعة الكبرى لكتب "الرّدود"، لأنّ هذه الكتب النّافعة تعرض انحرافات الضّلال وتكشف عوارها للنّاس والّذي يقرأها وينتفع بها حقّا يصبح كالجبل الرّاسي في عقيدته ومنهجه، لا تهزّه الضّلالات ولا تؤثّر فيه الشّبهات.. أمّا عرض العقيدة بألفاظ عامّة مجملة لا يتعرّض فيها مدرّسها لأباطيل الضّلال فهو ممّا يلبّس الأمر على التّلميذ، وإذا دعاه زائغ إلى اتّباعه يتّبعه دون أن يدري أنّه على شفا هلكة.. لذلك قلتُ فيما سبق بأنّ الشّيخ "ابن باديس" قد يبدو في كتابه (العقائد الإسلامية) سليم العقيدة لأنّه أجمل القول في العقائد، ولو تعرّض للتّفصيل لظهرت مزالقه والله أعلم، مثلما ظهر في مسألة ردّ حديث الآحاد في العقيدة أثناء شرحه لموضوع والدي المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أهما في النّار أم لا، فبمجرّد خوضه في تفاصيل الموضوع ظهر أنّه متأثّر بمنهج الأشاعرة في استدلاله بعموم الآية ورفض تخصيصها بالحديث الصّحيح لأنّه آحاد، والآحاد لا تفيد عقيدة في نظر الأشاعرة ومن كان على شاكلتهم.. المهمّ أنّ الكلام العام في العقائد لا يمكّننا من الحكم على عقيدة صاحبه لأنّه (وبضدّها تُعرف الأشياء).. وانظر إلى الشّيخ "ابن باديس" وهو يتكلّم عن صفات الله تعالى فيذكر أنّه من صفاته عزّوجلّ " الحياة، القدرة، الإرادة، العلم، السّمع، البصر، الكلام.." وهذا التّرتيب الّذي رتّبه "ابن باديس" هو

---

[1] (العقائد الإسلامية) "لابن باديس"، شرح "محمّد الصّالح رمضان" [ص 6].

نفسه ترتيب "الأشاعرة" لأنّ الأشاعرة هم الّذين أثبتوا لله سبحانه وتعالى سبع صفات فقط وهي (الحياة، القدرة، الإرادة، العلم، السّمع، البصر، الكلام) وهي الّتي سمّوها بصفات "المعاني"، وكان على الشّيخ "ابن باديس" أن يذكر صفات أخرى وصف الله بها نفسه، ولا يخضع لنفس ترتيب "الأشاعرة" حتّى يجتنب الطّريقة الأشعرية الحائدة عن منهج السّلف الصّالح.. كما أنّ "ابن باديس" تفادى الحديث عن الصّفات الّتي دار الخلاف حولها بين أهل السّنة والجماعة، وبين غيرهم من الفرق المنحرفة عن منهج السّلف الصّالح كصفة الوجه وصفة اليدين وصفة العينين وغيرها من صفات الله جلّ جلاله، والّتي تأوّلها الأشاعرة بتأويلات جانبت منهج الحقّ وانحرفت عنه انحرافا شديدا..

لقد بيّنت في هذا الفصل مدى تأثّر الشّيخ "ابن باديس" "بمحمّد عبده"، وبيّنت اعترافات الشّيخ "البشير الإبراهيمي" رحمه الله الّتي قطع فيها بأنّ "ابن باديس" هو امتداد "لجمال الدّين الأفغاني" و"لمحمّد عبده"، وحيث أنّ هذا التّشابه بين الرّجلين معترف به من طرف رجال جمعية العلماء المسلمين أنفسهم تبيّن لي أنّ سلفية الشّيخ "ابن باديس" ـ ما دامت هي الامتداد عينه للسّلفية المزعومة عند الشّيخ "محمّد عبده" ـ فيها كدر، وليست هي السّلفية الّتي يعمل علماء السّلفية قديما وحديثا على نشرها، وقد مرّ بنا في هذا الفصل كلام الشّيخ "محمّد أمان الجامي" رحمه الله في ردّه على مدرسة الشّيخ "محمّد عبده"، فجاء كلامه رحمه الله قاطعا ومبيّنا بأنّ خطّ "محمّد عبده" بطريقته العقلانيّة وزيغه عن منهج السّلف الصّالح ليس هو الخطّ السّلفي الأصيل ولا هو "السّلفية"، ومن جمع بين السّلفية الحقيقيّة وبين خطّ الشّيخ "محمّد عبده" يكون قد جمع بين نقيضين فيصدق فيه قول القائل :

إثبات ضدين في حال ❖❖ أقبح ما يأتي من المحال

إنّ الشّيخ "محمّد عبده" لا يُذكر عند محبّيه إلاّ برائد النّهضة الحديثة وصاحب فهم "عصري"، ويعتبر أتباعه "عصريّته" هذه أو "عصرانيّته" من أعظم مزاياه، و« إنّ العصريّة والتّحديث لا ينبغي أن يعتزّ بها سلفي لأنّها منذ وُجدتْ لا تُعرف إلاّ بمضادتها للسّلفية واحتقارها واحتقار أهلها فهي لفظ ومعنى ضدّ السّلفية، وما سميّت السّلفية بالسّلفية إلاّ لأنّها ضدّ المحدثات، فهي ضدّ عصريّة المتكلّمين والفلاسفة والمناطقة وضدّ عصرية الخوارج والجهمية والمعتزلة وضدّ عصرية الصّوفية، وضدّ عصرية الإلحاد والعلمنة وضدّ عصرية البدع السّياسية والحزبيّة الّتي تتطاول على السّلفية بدعاواها الباطلة، بأنّها تفقه الواقع ومكايد الأعداء وأسرار الدّول ودراسة كتب ميكافيلي وبروتوكولات حكماء صهيون وكتب المخابرات الأمريكيّة والصّحف والمجلاّت الخليعة، ويتطاولون بها على أهل الحقّ بأشدّ وأنكى من تطاول العلمانيين وغيرهم، والسّلفي الصّادق وإن عرف هذه الأشياء فإنّه لا يزداد إلاّ احتراما وتقديرا لهذا المنهج وأهله ولا يزداد إلاّ احتقارا لهذه الأمور وأهلها واحتقارا لمن يتطاول بها، إذ الكرم والشّرف لا يكون إلاّ بالتّواضع والتّقوى

(إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)، والمدح إنّما يكون بعلم الإسلام وعقائده وشعائره وأحكامه ومواعظه وزواجره..إلخ.. لا بدراسة كتاب ميكافيلي وبروتوكولات حكماء صهيون وما شاكلها ودار في فلكها، وهذا أمر بدهي عند علماء الإسلام لا عند فقهاء الواقع الّذين فتنتهم العصرية وكانت أساسا لكلّ بلاياهم»[1]، فلكلّ هذه الأسباب تبـرّأت السّلفية من خطّ "عبده" وتبرّأت أيضا من كلّ من دار في فلك الشّيخ "محمّد عبده" أو سار على دربه.. فهل من مُدّكِر ؟!..

[1] من كلام نفيس للعلاّمة الشّيخ "ربيع بن هادي" حفظه الله في كتابه (جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات)، [ص 126].

لماذا نُسبت السّلفية لابن باديس مؤخّرا ؟ وما هي الدّوافع من وراء هذه الظّاهرة ؟

من خلال متابعتي لما يقع في بلادي من ظواهر وأحداث، لاحظت وكما قلتُ في المقدّمة أنّه قد برز عند بعض الشّباب السّلفي مؤخّرا ظاهرة جديدة مفادها أنّ "السّلفية" انبثقت جذورها من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأنّ الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" سلفي صرف لا غبار عليه، فوجدت أنّ هذا الكلام فيه اضطراب شديد، وفيه افتقار إلى دراسة دقيقة، وما اشتهر هذا الكلام وما يشبهه إلاّ في فترة وجيزة، ومن العجيب أنّه ظهر فجأة وبدون مقدّمات، نعم أقول فجأة وبدون مقدّمات لأنّه قبل عشرين سنة من الآن أو ربّما أقلّ ما كان هناك من السّلفيين من يقول بأنّ السّلفية من نتاج "ابن باديس" رحمه الله أو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فالسّلفيون لم ينسبوا السّلفية يوما "لابن باديس" أو لرجال جمعيّته، وفي نظري أنّ هذه الظّاهرة كانت نتيجة للضّغوطات الّتي مورست في بلادنا ضدّ السّلفيين من طرف بعض الأيادي الطّرقية الحاقدة الّتي لها وزنها، وبعد أن عاشت بلادنا في فترة زمنيّة معيّنة فترة رخاء من حيث نشر العلم الصّحيح عقيدة وعبادة ومنهجا، وطغى المنهج السّلفي الأصيل على نسبة كبيرة من الشّباب، عادت الأيادي المناوئة للسّلفية تعمل بنشاط منقطع النّظير على سحق السّلفية على جميع الأوجه، ومثال ذلك فرض الدّرس البدعي قبل خطبة الجمعة، والإصرار على فرض تأدية صلاة العيدين في المساجد وعدم السّماح بأدائها في المصلّيات اقتداء بهديه صلّى الله عليه وسلّم، وفرض العصا على إمام الجمعة، ناهيك عن الوِرْد القرآني الجماعي الّذي ضرب أطنابه في مساجدنا بعد أن استرحنا منه لفترة طويلة، إلى جانب فرض بدع أخرى يكون الهدف من ورائها فرض السّيطرة البدعية على الشّباب السّلفي بكلّ الطّرق وبجميع الوسائل، وبدلا من أن تقابل هذه التّجاوزات المفروضة من قبل أعداء السّلفية وشانئيها من الصّوفية الطّرقيّة وغيرهم من أتباع الفرق المنحرفة عن المنهج السّلفي بالتّضرع إلى الله عزّوجلّ بأن يرفع عنّا ما نجد من عناء وتعب في نشر العقيدة الصّحيحة والعلم السّائر على منهاج النّبوة، وبدلا من أن نصلح أنفسنا وأهالينا ومن حولنا ونعترف بأنّ ما أصابنا من مصيبة فهو بما كسبت أيدينا مصداقا لقوله عزّوجلّ «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم»[1]، ونكثر الاتّصال بمشايخنا الكبار فنعرض عليهم مشاكلنا وظروفنا لنستفيد من علمهم حتى لا نكون من الّذين يفتون بغير علم، فبدلا من كلّ هذه الحلول الشّرعية لجأ شبابنا والله أعلم إلى حيلة مفادها بأنّ السّلفية الّتي ندعو إليها ونأمر النّاس باتّباعها هي نفسها سلفية الشّيخ "ابن باديس" ومن كان معه من رجال جمعيّته، واعتقدوا أنّهم بهذه الحيلة سيصلون إلى نتائج إيجابيّة..

---

[1] سورة الشورى، [الآية 30].

ولو كان هذا الكلام له ما يؤيّده ما حاربناه[2] ولا وجدنا لزاما بضرورة الرّد عليه، ولكن بعد المطالعة المستمرّة والتّمحيص لكتب الشّيخ "ابن باديس" وجدت أنّ شخصية الرّجل فيها جوانب كثيرة بعيدة عن سلفيّتنا، وكلّما تعرّضت للرّد عليه في نقطة كلّما ازدادت دهشتي من محاولة إلصاق السّلفية به وإلصاقه بالسّلفية.. إنّ الضّغوطات والمحن يجب أن لا تجعلنا نقوم بعملية مداهنة مع هذا وذاك حتّى ننجو بأنفسنا، لأنّ دعوتنا دعوة حقّ، ومن سمة دعوة الحقّ أن تتعرّض للفتن والمصائب والمحن، قال تعالى : « ألم ـ أحسب النّاسُ أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الّذين من قبلهم فليعلمنّ الله الّذين صدقوا ولَيَعْلَمَنّ الكاذبين»[3]. إذن هذه الحيلة المستعملة من أجل إقناع بعض المسؤولين بأنّ سلفيّتنا "جزائرية" الأصل لأنّها من نتاج "ابن باديس" رحمه الله وجمعيّته، حيلة مردودة لأنّها تعلّم السّلفييّن المداهنة وعدم الصّدع بالحقّ وتعوّدهم على طريقة جديدة ما عرفوها من قبل، فإذا كانت هذه الحجّة.. حجّة الخوف من الضّربات الطّرقيّة الّتي يترأّسها أناس لهم مكانتهم.. هي الّتي أودت بالشّباب السّلفي إلى ضمّ السّلفية "لابن باديس" فإنّ هذه الحجّة أوهن من بيوت العنكبوت وهذه الحجّة نفسها تحمل أضرارا كثيرة منها :

1. إنّ القول بأنّ السّلفية هي امتداد لِما كان عليه الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" ورجال جمعيّته فيه تلبيس على النّاس في فهم المنهج السّلفي الحقيقي، لأنّهم سيجدون مخالفات كثيرة عند "ابن باديس" وجمعيّته ليست من السّلفية في شيء، فحينئذ سيصعب على النّاس معرفة السّلفية بأبعادها ومفاهيمها والتّعرف على معالمها وركائزها.

2. إنّ هذا الزّعم فيه غمط لمجهودات علماء السّلفية المعاصرين، لأنّهم بذلوا الغالي والنّفيس وتحمّلوا الأذى تلو الأذى من أجل نشر هذه الدّعوة المباركة، فكيف تنسب مجهوداتهم إلى غيرهم ممّن عملوا تحت رايات أخرى غير راية الدّعوة السّلفية الحقيقيّة الّتي لا تشوبها شائبة ؟.

3. إنّ الادّعاء بأنّ "السّلفية" جذورها من عند جمعيّة العلماء المسلمين فيه غمط لمجهودات الشّيخ العلاّمة محدّث العصر وسلطان علماء زمانه الشّيخ "ناصر الدّين الألباني" رحمه الله، فقد كان هذا الشّيخ مجدّد هذا العصر وعالمه الفذّ، ولقد كان له الفضل بعد الله تعالى في شرح مفهوم السّلفية للنّاس بواسطة أشرطته النّافعة وكتبه الرّائعة، حيث أنّ الشّيخ "الألباني" رحمه الله ضرب المثل الطّيب في صموده أمام أعدائه الّذين ما تركوا فرصة تمكّنهم من النّيل من الشّيخ وعلمه إلاّ واستغلّوها، وقد كان له الفضل الأوّل بعد الله تعالى في تعرّف الشّباب الجزائري بالسّلفية حتّى صارت السّلفية رمزا "للألباني"

---

[2] أقصد هنا السّلفيين الّذين بقوا رافضين لفكرة انبثاق السّلفية من "ابن باديس" وجمعيّته والّذين يلتقون معي إن شاء الله فيما قرّرت الكتابة فيه في بحثي هذا..

[3] سورة العنكبوت، [الآية 1 و2].

رحمه الله عند أعدائها وحتّى صار اسمه علامة من علاماتها لِما بذل من عطاء في خدمتها ونشر معانيها السّامية للنّاس، إنّني أجزم بكلّ قوّة وبالبراهين والأدلّة بأنّ السّلفية دخلت إلى الجزائر عن طريق كتب الشّيخ العلاّمة "الألباني" رحمه الله، وبعده عن طريق رسائل مشايخ التّوحيد وكتبهم، إنّ بعض طلاّب العلم عندنا الّذين درسوا في مكّة المكرّمة وفي المدينة وتلقّوا العلم الصّافي على يد المشايخ الفضلاء هناك من حقّهم أن يقولوا تعلّمنا السّلفية في المملكة العربيّة السّعوديّة،[1] أمّا الّذين لم تتيسّر لهم سبل السّفر إلى البقاع المقدّسة لطلب العلم فإنّهم يشهدون أمام الله تعالى يوم لقائه بأنّهم تعلّموا السّلفية بالدّرجة الأولى على كتب الشّيخ "الألباني" وأشرطته الّتي كانت نادرة آنذاك، وكان الأعداء إذا أرادوا شتم السّلفية يشتمون "الألباني"، بل وصل الحال في بعض المساجد الّتي كانت وكرا من أوكار الأشاعرة أن دعوا على الشّيخ "الألباني" جهرة وأمروا النّاس بالتّأمين على ذلك، وهذا غيض من فيض فيما تلقّى الشّيخ العلاّمة "الألباني" من طعنات وضربات جعلته بحقّ ناصر السّنة وقامع البدعة.. أنا لا أقول هذا الكلام تعصّبا للشّيخ رحمه الله، ولكن أقوله من باب التّأريخ لفترة زمنيّة أتشرّف بأنّني عشتها وشهدتُ إن شاء الله عليها.. إنّ مجهودات شيخنا "الألباني" ومجهودات علماء المملكة العربيّة السّعودية وهم مشايخنا الأعزّاء هيّ الّتي كان لها ـ بعد الله تعالى ـ فضل نشر السّلفية فأين كانت يومها فكرة سلفية "ابن باديس" وجمعيّته ؟!..

4. إنّ العلماء السّلفيين سواء في المملكة العربيّة السّعودية أو في الأردن حيث عاش شيخنا "الألباني" فترة زمنيّة طويلة تركوا آثارهم سواء على مستوى بلدانهم أو على مستوى تلاميذهم فحيثما داروا ذُكِر بأنّهم يدعون إلى السّلفية، أمّا آثار الشّيخ "ابن باديس" الّتي خلّفها في تلاميذه فإنّها شاهدة على بُعد هؤلاء عن السّلفية، قد ينسلخ تلميذ وقد ينسلخ آخر وقد ينسلخ ثالث ورابع عن مبادئ السّلفية بعد أن يدرس على يد المشايخ فيصبح بعيدا عن تمثيل دعوتهم، أمّا أن تنسلخ مدرسة بأكملها فهذا ما لا يُعقل أبدا.. فكلّ الّذين درسوا في جمعيّة العلماء المسلمين تخرّجوا وهم أبعد النّاس عن السّلفية، فمنهم الأشاعرة في العقيدة ومنهم الصّوفية ومنهم الإباضيّة، ومن النّاحية الحركيّة فإنّهم إمّا من المنضمّين إلى الإخوان المسلمين بضلالاتهم وإمّا من جماعة "الجزأرة" المعلنة الحرب على السّلفية عقيدة وعبادة ومنهجا وإمّا من المُنضمّين إلى كراسي الوزارة ممّن ينتمون إلى فكرة المصلحة والبحث عن المناصب، ولا تجد أبدا سلفيّا قحّا تخرّج من الجمعية أو من عند تلاميذها.. لقد وقع حوار في إحدى الجامعات بين أخ سلفيّ وبين رجل من مؤيّدي جمعيّة العلماء المسلمين، فقال السّلفي لذلك الأستاذ "الباديسي" إن شئنا التّعبير : إنّ هناك جماعة من السّلفيين أصبحوا يعتقدون بأنّ "ابن باديس" سلفيّ مثلنا تماما، فقال ذلك المناصر "لابن باديس" أو الباديسي

---

[1] ومن نافلة القول أن أذكر بأنّ الشّيخ العلاّمة ومجدّد العصر الشّيخ "الألباني" ترك بصماته العلميّة حتّى في المملكة العربيّة السّعودية، وهذا بشهادة العلماء الكبار الشّاهدين بالحقّ هناك..

كما قلتُ آنفا بأسلوب ساخر : "والله لن تأخذوه.." وفي جوابه هذا قطع منه على أنّ السّلفية شيء ودعوة الشّيخ "ابن باديس" شيء آخر.

انظر معي أيّها القارئ الكريم إلى دعوة العلاّمة الشّيخ مجدّد السّلفية في زمانه "محمّد بن عبد الوهاب" كيف تركت آثارها اليانعة إلى يومنا هذا، رغم مضيّ أكثر من ثلاثة قرون على بروزها وظهورها، بل كانت دعوته ـ بعد الله ـ صاحبة الفضل العظيم فيما ترفل فيه المملكة العربيّة السّعوديّة من نعيم من حيث الدّعوة إلى سلامة العقيدة وسلامة المنهج والعضّ على طريقة السّلف الصّالح بالنّواجذ.. انظر إلى آثاره العظيمة كيف بقيت شاهدة على عظمة الرّجل وعلى دعوته النّقية الصّافية، أفمن المعقول أن تبقى الدّعوة الّتي ترأسّها الشّيخ العظيم "محمّد بن عبد الوهاب" باقية إلى يومنا هذا رغم مرور قرون على شموخها في حين تندثر معالم دعوة "ابن باديس" بهذه السّرعة ؟ وأقصد باندثار معالمه عدم بروز الجانب السّلفي الأصيل في دعوته، أمّا دعوته في حدّ ذاتها فما تزال تُذكر، ولكنّها ليست من معالم السّلفية، بل تُذكر تاريخيا كما تُذكر غيرها من الدّعوات مهما كان اعوجاجها ومباينتها لمنهج السّلف الصّالح.. أين الآثار السّلفية الّتي تركها الشّيخ "ابن باديس" ؟ وأين الآثار السّلفية الّتي تركها تلاميذه من بعده ؟ وأين الشّيوخ السّلفيون في بلادنا لنقول بأنّهم بقية باقية من سلفية جمعيّة العلماء المسلمين ؟.. إنّ الّذين بقوا هم امتداد لفكر "ابن باديس" رحمه الله الّذي كان بدوره امتدادا لفكر الشّيخ "محمّد عبده" رحمه الله، أمّا أن نجد سلفييّن خالصين جزائرييّن تربّوا على يد "ابن باديس" فهذا ما لم أجده إلاّ في خيال الشّباب السّلفي الّذي خرج علينا بهذه الظّاهرة مؤخّرا.. إمّا خوفا من الضّغوطات، وإمّا لأسباب أخرى موّهت عليه فكره، وإمّا أن تكون هناك يد خفية أرادت تخريب السّلفية حتّى تشوّش معناها على النّاس فعاثت في أذهان شبابنا بهذه الفكرة الّتي قلّد فيها كلّ طالب علم زميله.. ولم يقدّم واحد منهم دراسة مستفيضة يبيّن للنّاس من خلالها سلفية الشّيخ "ابن باديس"، وإنّما اكتفى بعض الشّباب بمقتطفات من كلام الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله ومن كلام الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي" رحمه الله واستدلّوا بها على سلفية هؤلاء جملة وتفصيلا.. ألا فليعلم شبابنا السّلفي أنّ أخذ الجُمل من هنا وهناك والاستدلال بها على سلفية الأشخاص ضرب من المغامرة، لأنّ إثبات سلفيّة الشّخصيات المعروفة يحتاج إلى النّظر في أفكارهم ودراستها والبحث في مضمونها بالتّدقيق، ولا يُكتفى فيها بالكلام العام الّذي قد يلبّس على النّاس طريقهم ويوقعهم في الخطأ.. ولو فتحنا كتب الشّخصيات المناوئة للدّعوة السّلفية قلبا وقالبا، وأخذنا جملا مبتورة كما فعل شبابنا السّلفي مع كلام "ابن باديس" و"الإبراهيمي" وغيرهما من رجال جمعيّة العلماء المسلمين لحكمنا على الجميع بأنّهم سلفيّون، وهذه مغالطة أوقعت الكثيرين في الخطأ وربّما تكون هذه المغالطة نفسها هي الدّافع الثّاني ـ بعد دافع الضّغوطات والخوف ـ الّتي جعلت شبابنا السّلفي يحكم بأنّ السّلفية (باديسيّة) الجذور.. وسأقف مع القارئ الكريم وقفة بعرض أقوال مبتورة لرجال مشهورين بمعاداتهم للمنهج السّلفي وللدّعوة السّلفية المباركة فتجد الكلام جميلا في ظاهره ما دام قد بُتر بترا، وغُضّ النّظر فيه عن الكلام الّذي سبقه أو الكلام الّذي لحقه، ليعلم الجميع أنّه ما

من مسلم ولو كان عاديا من أبسط النّاس إلاّ ونجد عنده عبارات تروق للبعض وتُظهر أنّه على المنهج القويم والصّراط المستقيم.. لذلك يجب على شبابنا السّلفي أن لا يغتر بعبارة تصدر مرّة في العمر من صاحبها فيهرع إلى الحكم على قائلها بأنّه سلفي صرف، لأنّ السّلفية عقيدة وعبادة ومنهج، وللحكم على المسلم بأنّه سلفي ـ ولا أقصد المسلم العاصي بل أقصد المسلم الدّاعية أو العالم المعروف ـ للحكم على سلفية أمثال هؤلاء من الشّخصيات المشهورة يجب دراسة كتبهم عن كثب وسماع أشرطتهم ومعرفة المنهج الّذي يدعون النّاس إلى اتباعه واعتناقه، ولا يغتر بما قد يصدر عنهم من عبارات جميلة لا يقصدون بها ما يقصده السّلفيون، بل ربّما تلتقي العبارات من حيث مفرداتها وتراكيبها ولكن تختلف كلّ الاختلاف في مضمونها ومعانيها، وهذا ما وقع لشبابنا في بعض المقتطفات الجميلة الّتي اقتطفت من كلام المشايخ "كعبد الحميد بن باديس" والشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي" والشّيخ "العربي التّبسي" وغيرهم من رجال جمعيّة العلماء المسلمين، وسأبدأ بكلام الرّجال المشاهير المعروفين بمجانبتهم للمنهج السّلفي في كلّ جوانبه لأبيّن للقرّاء أنّ تلك الجمل "المبتورة" قد تظهرهم في صورة دعاة سلفييّن، ولكنّ الحقيقة غير ذلك تماما.. قال زعيم الإخوان المسلمين ومؤسّس جماعتهم الشّيخ "حسن البنّا" رحمه الله ما يلي :

« وكلّ بدعة في دين الله لا أصل لها ـ استحسنها النّاس بأهوائهم سواء بالزّيادة فيه أو بالنّقص فيه ـ ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها»[1]، فهذا القول بمجمله جميل بلا شكّ ولو قرأه مسلم لا يعرف "حسن البنّا" حقّ المعرفة لاعتقد أنّ قائله سلفي منافح للبدع محارب لها، وواقع "حسن البنّا" وجماعته خلاف هذا القول تماما، لأنّ جماعته تعتبر عشّا للبدع والمبتدعة، فأين هذا الكلام الطّيب عن البدع من حقيقة أمر الإخوان المسلمين وقائدهم "حسن البنّا" رحمه الله ؟!.. وانظر إلى "حسن البنّا" في موضع آخر وهو يوصي أتباعه بما يلي : « أن تعمل ما استطعت على إحياء العادات الإسلاميّة وإماتة العادات الأعجميّة في كلّ مظاهر الحياة، ومن ذلك التّحية واللّغة والتّاريخ والزّي والأثاث ومواعيد العمل والرّاحة والطّعام والشّراب، والقدوم والانصراف والحزن والسّرور..إلخ.. وأن تتحرّى السّنة المطهّرة في كلّ ذلك» [1]، وليس هناك جماعة تأثّرت بعادات المغضوب عليهم والضّالين في الملبس وغيره مثل جماعة الإخوان فأين تحرّي السّنة في كلّ ذلك ؟!.. وانظر إليه وهو يعرض مسألة (الاسم الأعظم) لله تبارك وتعالى فيختم مبحثه بهذا الكلام : « وخلاصة البحث أنّ بعض النّاس ولِعوا بالمعميّات وادّعاء الخصوصيّات والزّيادة في المأثورات، فقالوا ما لم يرد في كتاب ولا سنّة، وقد نهيّنا عن ذلك نهيا شديدا فلنقف مع المأثور» [2]، فأين وقوف الإخوان المسلمين مع الكتاب والسّنة وهم من أكثر النّاس تسيّبا في ما ورد في السّنة بالذّات ؟!.. والمقتطفات في كلام "البنّا" كثيرة وكثيرة ولو أُخذ الكلام

---

[1] كتاب (مجموعة رسائل الإمام الشّهيد "حسن البنّا")، [ص 358].

[1] (مجموعة الرّسائل "لحسن البنّا")، [ص 367].

[2] (مجموعة الرّسائل "لحسن البنّا")، [ص 390].

بظاهره لحُكم على صاحبه بسلامة الخطّ، ولكن هيهات هيهات.. فالخطّ الإخوانيّ والخطّ السّلفي خطّان متوازيان لا يلتقيان أبدا..

ومن "حسن البنّا" أنتقل إلى الشّيخ "محمّد الغزالي" وهذا الأخير معروف بميله في الكثير من المسائل الاعتقادية إلى المعتزلة والأشاعرة ولطالما استهزأ هذا الشّيخ بالسّلفية والسّلفيين، ولطالما أتى بأفكار لا تمت بصلة إلى العقيدة الصّحيحة والمنهج القويم، ومع ذلك تجده في بعض كتبه يقول بعد أن ملأ كتابه استهزاء بالعقيدة السّلفية : « هذا هو الهدف من الرّأي الّذي أؤيّده مع أنّي ـ كما ذكرت ـ على عقيدة السّلف الصّالح والحمد لله »[3].. ألا ترى معي أيّها القارئ أنّ الّذي لا يعرف فكر "الغزالي" وشدّة عداوته للسّلفية في كلّ مراميها قد يغترّ بهذه العبارة ويحسب صاحبها حقّا على عقيدة السّلف الصّالح ؟!.. ويقول في موضع آخر : « وقد ألّفتُ كتابي "عقيدة المسلم" مؤثرا مذهب السّلف لاقتناعي بعجز العقل البشري عن اكتناه المغيبات» [4]، فهل "الغزالي" حقّا نصر مذهب السّلف في العقيدة أم أنّ السّلف في نظره هم المعتزلة والأشاعرة ومن اهتدى بهديهم.. الرّاجح أنّه يقصد "السّلف" لغة وهم القوم السّلاف أي المتقدّمون، أمّا اصطلاحا فلا يقصدهم أبدا لأنّ عقيدته في تأويل صفات الله تعالى، وأفكاره في القضاء والقدر وما إلى ذلك من المسائل الاعتقادية الخطيرة أشهر من نار على علم من حيث نفورها عن المنهج السّلفي الأصيل.. وإنّما العبارات مُجرّد تمويه في تمويه ومغالطة لمن لا يعرف حقيقة هؤلاء.. وها هو الشّيخ "عمر التّلمساني" رحمه الله وهو المرشد الثّالث لجماعة الإخوان المسلمين يذكر في مذكّراته الّتي نشرتها (الشّرق الأوسط) أنّه من مبادئ الإخوان المسلمين. « سلامة الاعتقاد : وأعلّق على هذا المبدأ بأنّه الرّكيزة الرّاسخة الّتي لا تتزعزع عند الإخوان المسلمين والّتي أسأل الله من كلّ قلبي أن نلقاه عليها خالصين مخلصين»[1]، فهل الإخوان المسلمون حقّا ركّزوا على سلامة الاعتقاد أم أنّهم اعتبروا الخلاف في المسائل العقديّة من الأمور الّتي تحول دون اجتماع الأمّة وتفرّقها ؟ و"سلامة الاعتقاد" عندهم لا يقصدون به ما نقصده نحن السّلفيين وخير دليل على ذلك أنّهم يجمعون في جماعتهم الواحدة أناسا متضاربين في مشاربهم العقديّة فمنهم السّلفي ومنهم الأشعري ومنهم الماتريدي ومنهم الصّوفي ومنهم الخارجي ومنهم المعتزلي بل ومنهم من عنده ميل إلى الرّفض والتّشيع، فلو كانوا حقّا يركّزون على سلامة الاعتقاد ما جمعوا كلّ هذا الغثاء تحت راية واحدة.. وانظر إلى فقيه الإخوان المسلمين الشّيخ "يوسف القرضاوي" وهو يقول في أحد كتبه : « وقد اجتهدت أن تكون كتابتي علمية موثّقة، وأن أسند كلّ قول إلى قائله وأؤيّد كلّ دعوى بدليلها، وألا أحتجّ إلاّ بحديث صحيح أو حسن حتّى لا أقع فيما أنكرته على غيري، وأن أرجع إلى علماء الأمّة ـ وخصوصا في خير قرونها ـ لأقتبس من نورهم وأستفيد من نهجهم»[2]. من قرأ هذا الكلام

---

[3] و [4] (سرّ تأخّر العرب والمسلمين).

[1] (ذكريات لا مذكّرات) "لعمر التّلمساني"، [ص 273].

[2] (كيف نتعامل مع السّنة النّبوية معالم وضوابط) للشّيخ "يوسف القرضاوي"، [ص 19].

يشعر أنّ صاحبه "سلفيّ" يركّز على صحّة الأحاديث ويجتنب سقيمها ويرتبط بعلماء الأمّة قديما وحديثا، ولكن واقع الشّيخ "القرضاوي" يثبت لك خلاف هذا الكلام، فهو كثيرا ما يردّ الأحاديث الصّحيحة إذا خالفت منطقه العقلي ضاربا بها عرض الحائط ومتأوّلا لها بطريقة عقلانيّة محضة تبعده عن الارتباط الحقيقي بعلماء الأمّة القدماء والمعاصرين، فمثلا تجده يردّ الحديث الصّحيح الّذي فيه ذكر والديّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأنّهما في النّار، وبطريقة استهزائيّة قال فيها : ما ذنب عبد الله والد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأن يكون في النّار؟ وردّ الحديث بحجّة أنّ والديّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم من أهل الفترة تماما كما فعل الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" كما ذكرتُ في فصول سابقة.. فالّذي يأخذ كما قلت آنفا جملا "مبتورة" ويستلّها من عند هذا وذاك استلالا، سيجد بلا شكّ كلمات جميلة أو عبارات طيّبة، ولكن الّذي يعرف مناهج القوم وحقائقهم وخطّهم الّذي يسيرون عليه لن تخدعه العبارات مهما كانت برّاقة، ومهما كان الكلام معسولا. إنّ طريقة شبابنا السّلفي ـ الّذي بات يقتطف فقرات من كلام الشّيخ "ابن باديس" رحمه الله أو الشّيخ "محمّد البشير الإبراهيمي" رحمه الله ويعرضها وكأنّها دليل قاطع يصلح حكما على سلفية الرّجلين أو على سلفية جمعية العلماء المسلمين ـ بلا شكّ طريقة مردودة من النّاحية العلمية، لأنّ البحث العلمي الصّحيح يقتضي دراسة مجهريّة لكتب القوم، ثمّ تكون النّتيجة إن شاء الله في نهاية المطاف.. إنّ سلفنا الصّالح قديما لم ينخدعوا بالعبارات الجميلة أو الكلمات الطّيبة الّتي تصدر من عند مبتدع أو من عند من خالف منهجهم، وكانت لديهم قوّة كبيرة في معرفة أسرار الكلمة والهدف الّذي يرمي إليه قائلها، وكان السّلف متفطّنين لأيّ فخّ ينصبه أهل الزّيغ والضّلال مهما كانت الكلمات لمّاعة وبرّاقة تنال إعجاب من لا علم له، ولكيّ يكون كلامي أكثر وضوحا أضرب للقارئ هذا المثال : لقد اشتهرت فرقة المعتزلة شهرة واسعة، ومع كونها فرقة ضالّة زائغة عن المنهج القويم فهي فرقة عرف أصحابها الانحراف بمعناه الواسع والضّلال بمعناه الشّامل، واشتهر المعتزلة بأصولهم الخمسة الّتي جعلوها منهجهم في كلّ شيء، وأصولهم الخمسة هذه هي : "التّوحيد ـ العدل ـ الوعد والوعيد ـ المنزلة بين المنزلتين ـ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.." فمن لم يكن متضلّعا بمكايد القوم وقرأ هذه الكلمات كالتّوحيد والعدل والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، سيعتقد أنّ المعتزلة أناس همّهم الوحيد هو نشر التّوحيد، وغيره من المبادئ العظيمة، فهل المعتزلة يقصدون بالتّوحيد ما يقصده السّلف أم أنّهم استعملوا هذا اللّفظ العظيم ليلبّسوا به على العوام وينشروا عبره ضلالاتهم الكثيرة وأباطيلهم المتعدّدة ؟! ولقد حسب المعتزلة أنّ أفكارهم هذه ستنطلي على علماء السّلف ولكن هيهات أن ينخدع هؤلاء الجهابذة بتلك الانحرافات وهيهات أن يسيروا وراء ألفاظ مجرّدة جميلة في ظاهرها قبيحة في معناها.. لقد فضح علماء السّلف ضلالات المعتزلة وكشفوها وكشفوا ما يخفون وراء الأسماء اللاّمعة الجميلة كالتّوحيد وغيره، فكان شرح السّلف للأصول الخمسة للمعتزلة عظيما ومنهم عرف النّاس، أنّ المعتزلة يختفون وراء الألفاظ المقبولة ليتمكّنوا من نشر سمومهم عن طريق الخداع والتّغطية فعن طريق الأصل الأوّل وهو "التّوحيد" يصلون إلى :

أ. نفي جميع الصّفات الإلهية الّتي يجب علينا أن نثبتها لله تعالى كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

ب. نفي رؤية الله عزّوجلّ في الآخرة.

ج.القول بأنّ القرآن الكريم مخلوق وعن طريق هذه الفرية يصلون إلى تأويل كلّ النّصوص الواردة في وصف الله جلّ جلاله.

وعن طريق الأصل الثّاني وهو "العدل" يصلون إلى :

« نفي قضاء الله وقدره، وإثبات أنّ العباد خالقون لأفعالهم، وترتب عليه تأويل جميع النّصوص المتواترة الّتي تثبت القضاء والقدر وأنّ الله لا يكون في كونه إلاّ ما يريد، وأنّه لا يرضى لعباده الكفر وأنّه يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء»[1].

وعن طريق الأصل الثّالث وهو "الوعد والوعيد" يصلون إلى :

أ. وجوب معاقبة العصاة أو يوجبون ذلك على الله تعالى الّذي لا يُسأل عمّا يفعل.

ب. عدم جواز خروج أحد من النّار ولو مات وهو مسلم يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله وكأنّ الأمر بأيديهم.

ج. إنكار حديث الشّفاعة لأهل الكبائر من أهل القبلة رغم صحّته ورفضهم أنّ الله عزّ و جلّ يغفر للعاصي معصيّته، وأنّ الله يغفر الذّنوب جميعا ما عدا الشّرك، وأنّه عزّ و جلّ يخرج من النّار كلّ من شهد له بالوحدانية ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم بالرّسالة ومات على ذلك مهما كان عاصيّا، وليس لأحد من الخلق كائنا من كان أن يعترض على الله في حكمه لأنّه لا يُسأل سبحانه وتعالى عمّا يفعل ولا معقّب لحكمه، فإن عذّبنا فبعدله وإن رحمنا فبرحمته فتبارك الله أحسن الخالقين.

وعن طريق الأصل الرّابع وهو "المنزلة بين المنزلتين" يصلون إلى:

---

[1] (جناية التّأويل الفاسد) للشّيخ "محمّد أحمد لوح"، [ص 218]، وهذه رسالة جامعية نافعة فضح فيها مؤلّفها جزاه الله خيرا كلّ الطّرق الضّالة عند المعتزلة بما فيها أصولهم الخمسة هذه.. فلتراجع هذه الرّسالة فإنّها عظيمة النّفع.

أ. إلغاء كلّ نصّ ورد فيه بأنّ العاصي مؤمن لا يخرج من دائرة الإيمان إلاّ بجُحود ما أدخله فيه.

ب. أنّ فسّاق المسلمين ليسوا مؤمنين (وهذه النّقطة تكمّل سابقتها) وليسوا كفّارا.

ج. وأنّ هؤلاء الفسّاق في "منزلة بين المنزلتين".

فاخترع المعتزلة أمرا ما أنزل الله به من سلطان بهذه المنزلة بين المنزلتين.

وعن طريق الأصل الخامس وهو "الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر" يصلون إلى:

«أ. جواز قتل الأنفس البريئة المؤمنة غيلة بسبب المخالفة.

ب. إباحة الخروج على وليّ الأمر الشّرعي والاستيلاء على الحكم بالقوّة عند المقدرة، وترتّب على هذا تأويل أورد جميع النّصوص الواردة في وجوب صون دم المسلم بغير حقّ، وكافّة النّصوص الصّريحة الّتي تحرّم الخروج وشقّ عصا الطّاعة ونزع اليد بعد البيعة من غير وجود كفر بواح»[1].

ففي تعرّضي للحديث عن المعتزلة بيّنت بما لا يدع مجالا للرّيب كيف كان السّلف العظماء سائرين على منهج النّبوة دون أن ينخدعوا ببهرجة الألفاظ مع معرفتهم بزيغ أصحابها، ولهذا يجب على شبابنا السّلفي أن يعلم ما يلي:

1. أنّه ليس كلّ من يقول أنا على عقيدة "السّلف" يكون كذلك حقّا لأنّه قد يكون قصده عقيدة الأشاعرة الضّالة والّتي يعتقد صاحبها أنّها عقيدة السّلف الصّالح، وهذا إفك مردود لأنّ الأشاعرة خالفوا عقيدة السّلف الصّالح في أصول عظيمة وابتعدوا عنها أيما بعد.

2. وليس كّل من يدّعي أنّه على منهج السّلف الصّالح هو أيضا كذلك حتى نعرف ماذا يقصد بمنهج السّلف، وخير دليل على ذلك أنّ الشّباب المنتمي إلى جماعة التّكفير والهجرة يسطّر في بنوده مبادئ يحسبها الجاهل حقيقة من أصول السّلف، مع أنّ الأمر خلاف ذلك تماما، فهم يزعمون في بلادنا:

---

[1] (جناية التّأويل الفاسد) للشّيخ "محمّد أحمد لوح"، [ص 218].

- أنّ دعوتهم هي دعوة إلى الكتاب والسّنة على هدي سلف الأمّة.
- وأنّ دعوتهم دعوة إلى نبذ الشّرك ونشر التّوحيد.
- وأنّ دعوتهم دعوة إلى نشر السّنة ومحاربة البدعة.
- وأنّ دعوتهم دعوة إلى تصفية الإسلام ممّا علق به من الشّوائب وتربيّة جيل يحمل العقيدة الصّحيحة.
- وأنّ دعوتهم دعوة إلى نشر العلم الصّحيح ومحو الأميّة.. ويختمون كلامهم في منشوراتهم الّتي غرّت مئات الشّباب الغافل عندنا بقولهم: "وأيّ دعوة لا تقوم على الكتاب والسّنة وفهم سلف الأمّة ولا يكون السّيف البتّار حارسها لا عزّة لأهلها".. وبهذه العبارات الرّنانة غفّلوا الكثيرين مع أنّهم في حقيقة أمرهم حفدة للخوارج ومنهجهم لا يمت بصلة لمنهج السّلف الصّالح، وكيف يكونون من منتهجي منهج السّلف الصّالح وقد يتّموا الأطفال ورمّلوا النّساء وهتكوا الأعراض وسلبوا الأموال عن أصحابها ظلما وعدوانا وعاثوا في الأرض فسادا...؟ إنّ منهج السّلف ليس مجرّد كلمات يلوكها النّاس بألسنتهم بل هو طريق وعمل وعقيدة وعبادة يُقتدى في كلّ ذلك برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصحابته رضيّ الله عنهم والتابعين الكرام رحمهم الله وعلماء الأمّة في كلّ عصر، الّذين أحيوا منهج السّلف حقيقة.

3. كذلك يجب على شبابنا السّلفي ألا يغترّ بقول ما لطالب علم ما، في حكمه على سلفية جمعية العلماء المسلمين حتّى يأتي ذلك الطّالب بما يثبت كلامه.. أمّا أن يقلّد هذا ذاك في الأمر دون توثيق ودراسة فهذا شيء لا يزيدهم إلاّ بلبلة على بلبلة.

هذه نصائح وجّهتها لشبابنا السّلفي الّذي أصبح يستدلّ "بابن باديس" وجمعيّته على أنّهم علماء سلفيّون أصليّون حقيقيّون، دون أن يرجعوا إلى كتب الشّيخ وكتب رجال جمعيّته، ولو درسوها حقّا ما غضّوا النّظر عن هذه الأخطاء الّتي ذكرتها في الفصول السّابقة وما أحسبها بالأخطاء الهيّنة، وقد يقول قائل ما بال كاتبة هذه الرّسالة توجّه سهام الرّد للشّيخ "ابن باديس" ورجال جمعيّته وقد أثنى الكثيرون ممّن يحسن الظّن بعلمهم على "ابن باديس" وجمعيّته؟ فمثلا الشّيخ "علي حسن الحلبي" وهو من خيرة تلاميذ شيخنا العملاق "الألباني" رحمه الله كتب في كتابه "التّصفية والتّربيّة" كلاما جميلا عن الشّيخ "ابن باديس" والإبراهيمي رحمهما الله فهل كاتبة هذا الكتاب أعلم من الشّيخ "علي حسن عبد الحميد الحلبي" ؟

والجواب عن هذا الاحتمال بما يلي:

1. أوّلا حاشا لله أن أعتبر نفسي أعلم من الشّيخ "علي حسن" وهو شيخ عالِم جليل في علمه رغم صغر سنّه وهو من خيرة التّلاميذ الّذين تتلمذوا على شيخنا محدّث العصر وعملاق السّلفية في هذا العصر الشّيخ "محمّد ناصر الدّين الألباني" رحمه الله.

2. أنّ احترامي للشيخ "علي حسن" لا يجعلني أنزّهه عن الخطأ لأنّ كل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك إلاّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، ودعوتنا ليست دعوة أفراد وأشخاص بقدر ما هي دعوة لاتباع الحقّ، ولله درّ الشيخ العظيم وأحد مجدّدي هذا القرن الشيخ "ابن باز" رحمه الله الّذي أفتى بفتوى فحاول بعض الشّباب التّضييق عليه بأنّ شيخه الكبير الرّاحل "محمّد بن ابراهيم" يفتي بخلافها فما كان منه إلاّ أن ذكّرهم بأنّ الشّيخ "محمّد بن ابراهيم" بشر وأنّه معرّض للخطأ وأنّ كلّ إنسان يؤخذ من كلامه ويترك إلاّ الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

3. أنّ الشّيخ "علي حسن" في كتابه "التّصفيّة والتّربيّة" تكلّم عن قيمة التّربيّة في الفصل الأخير وضرب المثل بالشّيخ "ابن باديس" والشّيخ "الإبراهيمي" على وقوفهما في وجه فرنسا بتعليم النّاشئة وتربيّتهم، وهذا ممّا لا ينكره أحد.. ولكنّ الشّيخ "علي حسن" لم يَدَّعِ أنّه قدّم دراسة مستفيضة عن الرّجلين وربّما لو اطّلع على أخطائهم في العقيدة أو العبادة أو المنهج لكان له رأي آخر إن شاء الله.

4. أنّني لاحظت أنّ الكثير من الفقرات الّتي كتبها الشّيخ "علي حسن" حفظه الله كانت منقولة عن أشخاص دراستهم أصلا عن "ابن باديس" رحمه الله كانت (غير سلفيّة) إن صحّ التّعبير كرسالة (أثر دعوة الإمام "محمّد عبد الوهاب" في الفكر الإسلامي الإصلاحي بالجزائر) للدّكتور "عبد الحليم عويس"، وهذه الدّراسة الّتي أجراها صاحبها فيها تضارب فيما بينها لأنّه في الوقت الّذي يذكر فيه أنّ الشّيخ "ابن باديس"

متأثّر بدعوة الإمام المجدّد "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله في الوقت نفسه يجزم أنّ دعوة الشّيخين "جمال الدّين الأفغاني" و"محمّد عبده" من المتأثّرين بدعوة الإمام المصلح "محمّد بن عبد الوهاب"، وهذا ضرب من الخلط لأنّ الّذي درس كتب "محمّد بن عبد الوَهاب" وعرف صفو دعوته السّلفية العظيمة يقطع يقينا أن لا علاقة لمدرسته السّلفية بمدرسة "الأفغاني" و"عبده" وهما من أسياد العصرنة والتجديد ونبذ السّلفية الحقّة بجميع مراميها، والحقيقة أنّ (المفكّرين) "كعبد الحليم عويس" وغيره إذا كتبوا عن السّلفية لا يقصدون أبدا سلفيّتنا الّتي نعرف ونحبّ بل يقصدون الحديث عن الشّخصيات "الإسلامية" المعروفة أو بعبارة أوضح الشّخصيّات المتديّنة، فتكون كلمة "السّلفية" هنا متّجهة إلى الجانب اللّغوي لا الاصطلاحي، أي أنّ هذه الشّخصيّات لها سلف وهم القوم السّابقون أو المتقدّمون، أمّا العالم السّلفي حين يقول عن فلان إنّه سلفي بعد الدّراسة والتّمحيص، فإنّه لا يقصد المعنى اللّغوي فقط لكلمة "السَلف" بل يقصد بها سلامة الاعتقاد وسلامة المنهج وسلامة العبادات وسلامة الخطّ أو الطّريق الّذي يكون عليه صاحبه على درب السّلف الصّالح في كلّ شيء، فإن قيل "محمّد عبده" رحمه الله سلفي، فمعنى ذلك أنّه

أحيا طريقة أسلافه أي الّذين سبقوه، ولو كان هؤلاء الّذين سبقوه من الأشاعرة أو المعتزلة أي كلمة سلفي هنا تطلق كما قلتُ مرارا لغة لا اصطلاحا.. ولهذا فإنّ الحكم على مناهج الأشخاص لا يؤخذ من عند المفكّرين أو الباحثين الأكاديميين إن صحّ التّعبير، بل يؤخذ من عند العلماء الثّقات المشهود لهم بأنّهم أجروا دراسة دقيقة حول تلك الشّخصيّة وبعد ذلك حكموا عليها، أهي سلفيّة أم خارجة عن السّلفية، وانظر إلى شيخنا العلاّمة العظيم ومجدّد السّلفية في هذا القرن الشّيخ "محمّد ناصر الدّين الألباني" رحمه الله كيف اعتبر مسألة الحكم على الأشخاص من حيث مناهجهم وعقائدهم مسألة تحتاج إلى مختصّين، رغم أنّه هو نفسه رحمه الله مختصّ في ذلك، وبناء على كلامه هذا ذكر الشّيخ "الألباني" رحمه الله أنّ العالِم الّذي يقال عنه إنّه حامل لواء الجرح والتّعديل ـ وبحقّ ـ في هذا العصر هو الشّيخ العلاّمة الكبير "ربيع بن هادي" حفظه الله ورعاه.. لأنّ هذا الأخير قبل حكمه على الشّخص يجري دراسة دقيقة (مجهريّة) عنه وعن كتبه ورسائله ومؤلّفاته وأشرطته، فإذا حصد أخطاءه نبّهه عليها إن كان من الأحياء، فإن تاب الشّخص المنبّه على أخطائه فالحمد لله على نعمائه، وإن أبى واستكبر شرع الشّيخ "ربيع" حفظه الله في التّحذير منه بما تقتضيه ضوابط الجرح والتّعديل، وبهذا يُعلم أنّ إطلاق "السّلفية" بهذه السّهولة على "ابن باديس" رحمه الله وعلى جمعيّته ورجالها إطلاق ليس فيه دراسة معمّقة من قِبل من يصلحون لهذه المهام، لا من قبل المفكّرين والباحثين ذوي الدّراسات الخالية من روح السّلفية الحقيقيّة وليس السّلفية اللّغوية فقط.

5. وفي الجزائر مثلا باعتبارها بلد الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" لم تُقدّم دراسة من لدن طالب سلفيّ حول شخصية "ابن باديس" وكتبه ورجال جمعيّته وكلّ ما في الأمر بروز مقالات من هنا وهناك تقطع بسلفية "ابن باديس" بدون دراسة معمّقة وبأمور محدودة أو ألفاظ عامّة مع أنّ السّلفية معناها واسع وشامل كما لا يخفى على أيّ ذي لبّ، وسلفيّة "ابن باديس" رحمه الله هذه ظهرت فجأة، ولم تبرز إلاّ مؤخّرا كما ذكرت في فصول سابقة.

6. أنّ المؤلّف السّلفي حينما يقتطف فقرة من كتاب لمؤلّف غير سلفيّ لا يُعتبر استدلاله بتلك الفقرة تزكيّة لمن لم يكن سلفيّا، لأنّ المؤلّف أحيانا قد تخونه العبارة أو تضيع منه الكلمات فيجد ربّما في كلام غيره ضالته المنشودة، وإن كان ذلك الكلام موافقا للحقّ، ويعثر على فقرة طيّبة تخدم بحثه فينقلها، وهذا لا يعني أبدا أنّ المؤلّف "السّلفي" بهذه الطّريقة يزكّي ـ غير السّلفي ـ عقيدة وعبادة ومنهاجا ويحكم بأنّه سلفيّ، فالشّيخ "علي حسن الحلبي" ـ حفظه الله ـ مثلا ختم كتابه النّافع "التّصفية والتّربيّة" بفقرة مقتطفة من كتاب "لسيّد قطب" رحمه الله، وقد استلّها خدمة لموضوع كتابه، وهذا لا يعني البتّة أنّ الشّيخ "علي حسن الحلبي".. وهو من هو في علمه ـ غافل عن فساد عقيدة "سيّد قطب" ومنهجه و أخطائه الكثيرة، بل هو من الّذين نبّهوا النّاس إلى أخطاء "سيّد قطب وإلى أخطاء جماعة الإخوان المسلمين.. هذه هي ردودي على ذلك الاحتمال الّذي قد يرد على أذهان بعض الشّباب فيما يتعلّق بكتاب "التّصفية والتّربيّة" "لعلي حسن الحلبي"، وإطنابه فيه على الشّيخين "ابن باديس" و"الإبراهيمي" من حيث عملهما التّربوي، وأسأل

الله أن أكون قد وفّقت في إزالة بعض الغبش عن هذه النّقطة ومازال للحديث عن "ابن باديس" بقيّة إن شاء الله في الكلام الّذي سيأتي لاحقا..

هل صحيح أنّ دعوة ابن باديس هي امتداد لدعوة الإمام محمّد بن عبد الوهّاب ؟

كثيرا ما قرأت في كتب بعض الباحثين دراسات عن الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله، وبعض هذه الدّراسات تأتي في قمّة الجودة حيث يحاول فيها أصحابها إعطاء الصّورة الحقيقية لذلك المصلح العظيم، الّذي باتت الدّيار السّعودية ترفل بفضله بعد الله عزّ وجلّ في نعيم العقيدة السّلفية الصّادقة، «والشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله صار إماما كغيره من أئمة السّنة وشرف ونبل بذلك، وكذلك أتباعه وأنصاره شرفوا باتّباعهم مذهب السّلف الصّالح، واتّخاذ طريقهم في الوسيلة والغاية»[1]، ولقد حاول بعض المفكّرين أن يعقدوا دراسات في المقارنة بين دعوة الإمام المصلح العظيم "محمّد بن عبد الوهاب" رحمه الله، وبين دعوة الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" رحمه الله، وأرادوا الخروج بنتيجة مفادها أنّ دعوة "ابن باديس" هي امتداد لدعوة الشّيخ الرّائد "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله، والحقيقة أنّ هذا الكلام يحتاج إلى أدلّة قاطعة من أجل إثباته لأنّ خطّ "محمّد بن عبد الوهّاب" خطّ سلفي لا غبار عليه في حين يمتزج خطّ "ابن باديس" برائحة "جمال الدين الأفغاني" و"محمّد عبده"، وكلّ هذا الكلام محلّ نظر وتمحيص خاصّة وأنّ هناك دعوات حاولت أن تلصق نفسها إلصاقا بدعوة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله ولكن دون جدوى، لأنّ البون شاسع بين دعوة هذا ودعوة ذاك وفي دراسة قدّمها الشّيخ "صالح بن عبد الله العبّود" عن عقيدة الشّيخ "ابن عبد الوهّاب" السّلفية وأثرها في العالم الإسلامي، ذكر الشّيخ "العبّود" حول ما يُقال عن تأثّر بعض الحركات والدّعوات بعقيدة الشّيخ السّلفية ما يأتي :

---

[1] عقيدة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" السّلفية وأثرها في العالم الإسلامي للشّيخ "صالح بن عبد الله العبّود"، [ص 372].

« وما قيل من تأثّر بعض الحركات والدّعوات في خارج سلطان أنصار عقيدة الشّيخ مثل : حركة السّنوسي في ليبيـا، وحركة أحمد بن عرفات في الهند، وحركة الفرائضيين في الهند وحركة نزار علـي في الهند أيضا، وحركات البدري الثّلاث في أندونيسيا، وحركة الإخوان المسلمين وبعض دعاة في البلدان قيل إنّهم تأثّروا بدعوة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" مثل الشّيخ "محمّد عبده" و"جمال الدّين الأفغاني"، والجمعيّة الشّرعية في مصر، وما قيل أيضا إنّ الثّورات الّتي انطبعت بطابع ديني تأثّرت بدعوة الشّيخ، كالثورة المهدية في السّودان، وثورة إيش محمّد كول في التّركستان، وما قيل من أنّ إصلاح سلطان المغرب المولى سليمان بن محمّد في المغرب و"عبد الحميد بن باديس" في الجزائر، قد تأثّرا بدعوة الشّيخ كلّ ذلك يحتاج إلى دقّة وتحقيق ودليل يثبت أنّ هذه الدّعوات والحركات تأثّرت بعقيدة الشّيخ وحركته ودعوته وقيام أنصاره، وأغلبُ ما تعتمد عليه هذه الأقاويل على مصادر غريبة بعيدة معادية لا دقّة لديها ولا تحقيق، ولكن تعتمد على الظّنون وما تريده من تشويه للصّورة الصّحيحة حتّى لا يفهم النّـاس الحقيقة، والحقيقة أنّ هذه الدّعوات والحركات والثّورات نابعة من أهلها، وهم بأنفسهم لا يذكرون أنّهم من أتباع الشّيخ ولا أنّهم تتلمذوا عليه أو قرأوا كتبه ومؤلّفاته وأرادوا تطبيقها، ولا أحد يثبت ذلك فيذكره، بل إنّ هؤلاء لا يعترفون بهذه التّبعية ولا بالـتّأثر به، وربّما أنّ أكثرهم لا يعرفه، إلاّ عن طريق أعدائه ودعاياتهم الكاذبة، وبصورة مشوّهة غير حقيقيّة، أو يعرفه بعضهم ولكن لا يعترف بطريقته السّلفية، وإن كان ينتسب إلى السّلف، كما هو شأن الأشعريّة والصّوفية وأهل الكلام وأهل السّياسة الدّنيويّة الّتي تريد العلوّ في الأرض والرّئاسة أو تريد الدّنيا ولا تريد الآخرة، فكلّ هذه المذاهب وما كان على هذه الشّاكلة لا تعترف بعقيدة السّلف الصّالح، وهي العقيدة الّتي يعتقدها الشّيخ، فأصحابها يخالفونها في كثير أو قليل والأمثلة على ذلك كثيرة»[1].

وبعد أن ضرب الشّيخ "صالح بن عبد الله العبّود" مثالا بـالحركة السّنوسيّة ومجانبتها للدّعوة السّلفية، وبيّن أخطاء "السّنوسي" وكيف أنّه كان على عقيدة الأشاعرة كما بيّن ذلك أبناء الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله والشّيخ "محمّد بن ناصر بن معمر رحمه الله واصل الشّيخ "العبّود" كلامه عن تلك الدّعوات أوالحركات الّتي يزعم بعضهم أنّها تأثّرت بدعوة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله فقال ما يأتي : « وبعضهم الآخر في نصوص الصّفات سلك مسلك من يفوّض المعنى والكيف، ولا يقول بأنّ المعنى معلوم والكيف مجهول، إذ لا فرق عنده بين المعنى والكيف، ثمّ صحّح مذهب الخلف أهل التّأويل المذموم، وهو صرف اللّفظ عن معناه الرّاجح من ظاهره إلى المعنى المرجوح بحجّة فرارهم من التّشبيه والتّمثيل، وهم قد وقعوا في شرّ ممّا توهّموه وفرّوا عنه، ورجح

---

[1] عقيدة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" السّلفية وأثرها في العالم الإسلامي للشّيخ "صالح بن عبد الله العبّود"، [ص 463 و464 و465].

مذهب أهل التّفويض، وجعلهم هم السّلف[1]، ولم يذكر مذهب السّلف الصّحيح الّذي عبّر عنه الإمام مالك حيث قال : "الاستواء معلوم، والكيف مجهول" ففرّق بين المعنى والكيف، وأنّ المعنى معلوم والكيف مجهول، وكذلك الإمام الطّحاوي قال : "العلم علمان : علم موجود، وعلم مفقود"، فالموجود علم المعنى والمفقود علم الكيف في باب صفات الله المقدّسة. وقد ردّ الشّيخ "عبد الرّحمان بن حسن آل الشّيخ" قول من قال في وسيلة دعوته الله : وأتوسّل إليك بصفاتك الكاملة الّتي لا يعلمها إلاّ أنت.. فقال الشّيخ "عبد الرّحمان" : اعلم أنّ الّذي لا يعلمها إلاّ هو كيفية الصّفة، وأمّا الصّفة فيعلمها أهل العلم بالله، كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول، ففرّق هذا الإمام بين ما يعلم منه معنى الصّفة على ما يليق بالله، فيقال : استواء لا يشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه، وأمّا الكيف، فلا يعلمه إلاّ الله فتنبّه لمثل هذا، فالإمام مالك تكلّم بلسان السّلف[2] »، ثم يواصل الشيخ "العبّود" كلامه المفيد بالحديث عن الفساد العقدي عند "حسن البنّا" وعن بنوده المنحرفة عن العقيدة الصّحيحة، والّتي تنفي بالكليّة تأثّر دعوة "حسن البنّا" بدعوة الشّيخ المجدّد المصلح العظيم "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله، فيقول عن كلّ ذلك ما نصّه: « ويدّعي هذا البعض من أولئك الدّعاة أنّ في نصوص الصّفات ما يوهم التّمثيل والتّشبيه بينما أنّه ليس في نصوص الصّفات ما يوهم ظاهره اللاّئق بالله تعالى تمثيلا أوتشبيها، ومن توهّم شيئا من ذلك، فهو لأنّه لم يعط النّص حقّه من التّأمل والتّدبر وإمعان النّظر، ولو فعل ذلك، لم يجد في ظاهره اللاّئق بجلال الله تعالى ما يوهم تمثيلا أوتشبيها، وحاشا أن يكون ظاهر كلام الله وكلام رسوله يوهم ذلك، والسَلف والأئمة لم يكونوا يتوهّمون أنّ ظاهرها التّمثيل، ولا يرضون بذلك، كما حقّقه شيخ الإسلام "ابن تيميّة" وعلى ذلك الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" وسائر السّلف الصّالح، وفي تعاليمهم أنّ أركان بيعتهم عشرة، أوَلها الفهم ويريدون بالفهم أن يفهم الإسلام في حدود ما يسمّونه بالأصول العشرين، وفي أكثرها نظر، ومن ذلك تأصيلهم أنّ الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا، فهو دولة ووطن أوحكومة وأمّة وهو خلق وقوّة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أوعلم وقضاء، وهو مادّة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أوجيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة، وهذه كلمات مجملة غامضة يدخل فيها ما هو من الإسلام وما ليس منه، ولا يفهم منها تحديد للمقصود كما يفهم من تعريف السّلف الصّالح للإسلام، وعلى رأسهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا سأله جبريل عن الإسلام قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتقيم الصّلاة، وتؤتي الزّكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلا.. وقال صلّى الله عليه وسلّم : بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدا رسول الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء

---

[1] يقول الشّيخ "العبّود" في الهامش : (انظر العقائد للشّيخ "حسن البنّا") [ص : 75 و 78]، أي أنّه يقصد بهذا الكلام "حسن البنّا" وأمثاله.

[2] عقيدة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" السّلفية للشّيخ "العبّود"، [ص : من 465 إلى 467].

الزّكاة وصوم رمضان وحجّ بيت الله الحرام.. ولمّا كان أصل هذه المباني هو شهادة أن لا إله إلاّ الله كما بيّن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ذلك حين بدأ بها وحين بعث معاذا إلى اليمن، أمره أن يبدأهم بها، وقد ذكر ذلك البخاري في أوّل كتاب التّوحيد من صحيحه لذلك.

قال الشيّخ "محمّد بن عبد الوهّاب" : "الإسلام هو الاستسلام لله بالتّوحيد والانقياد له بالطّاعة والبراءة من الشّرك وأهله، وهو ثلاث مراتب : الإسلام والإيمان والإحسان، وكلّ مرتبة لها أركان فأركان الإسلام خمسة..إلخ.. ويرون [1] الاستعاذة بالمقبورين ونداءهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنّذر لهم، وما يلحق بذلك المبتدعات كبائر بينما هي شرك ينقض الإسلام وليست مجرّد كبائر ومبتدعات على المصطلح في مفهوم الكبائر والمبتدعات الّتي لا تخرج من الملّة، وهكذا لا يركّزون في دعوتهم على إبعاد النّاس عن الشّرك مثل دعاء غير الله والنّذر له، طلبا للنّفع ودفع الضّر، ليُصحّحوا التّوحيد وهو أوّل شيء، ولكن يركّزون على الحاكمية تركيزا جعل دعوتهم أشبه بدعوة سياسية تطلب الحكم، بينما دعوة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" تتركّز على أنّه لا يُدعى إلاّ الله، ولا يذبح إلاّ له، ولا يصرف شيء من أنواع العبادة المشروعة لغيره، فهي دعوة توحيد الله بالعبادة الّتي شرّعها الله لرسوله صلّى الله عليه وسلّم ولأتباعه، ثمّ طلب من الأمير الموهوب ملكات الإمارة أن ينصر ذلك، وبيّن له أنّ الدّولة والملك ثواب لمن نصر ذلك، لا أنّ الإسلام هو الدّولة، كما تُوهِمه تعاليمهم بأنّ الإسلام دولة ووطن أو حكومة وأمّة.. وضياع الحكومة والملك من المسلمين إنّما يكون عقوبة للتّفريط منهم بدينهم، فإذا عادوا إلى حفظ دينهم وصحّحوا توحيدهم عاد الله عليهم بالعزَ والتّمكين، كما في حديث ابن عبّاس : "احفظ الله يحفظك"، فمشكلة المسلم ليست في نزع الملك من يده، وإنّما مشكلة المسلم هي عدم تصحيحه شهادة أن لا إله إلاّ الله، فإذا صحّحها وعمل بمقتضاها وصبر على ذلك، ملكه الله بها العرب، ودانت له بها العجم والله أعلم »[1]، وبعد هذا البيان الواضح عن البعد الشّاسع بين دعوة "محمّد بن عبد الوهّاب" الإمام المجدّد، وبين دعوة الشّيخ "حسن البنّا"، وكيف أنّ دعوة هذا الأخير مليئة بالخرافات والبدع والشّركيات أيضا فهي بعيدة كلّ البعد عن دعوة "محمّد بن عبد الوهّاب" في الأصول والفروع، يواصل الشّيخ "صالح العبّود" ـ جزاه الله خيرا ـ كلامه عن بقيّة الحركات والدّعوات وكيف أنّها لاتمت بصلة إلى دعوة "محمّد بن عبد الوهّاب" فيذكر "محمّد عبده" وضلالاته بما يأتي:« وهذا الأستاذ الإمام الشّيخ "محمّد عبده" في رسالة "التوحيد" الّتي ألّفها لا يذكر تعريف التّوحيد الّذي هو حقّ الله على العبيد حين أراد أن يعرف علم التّوحيد ويبيّن معناه، وقد استدرك عليه تلميذه "محمّد رشيد رضا"، فقال : ((فات الأستاذ أن يصرّح بتوحيد العبادة وهو أن يعبد الله وحده ولا

---

[1] الشّيخ "العبّود" يقصد الإخوان المسلمين أيضا..

[1] عقيدة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" السّلفية وأثرها في العالم الإسلامي للشّيخ "صالح بن عبد الله العبّود"، [2/ من 467 إلى 469].

يعبد غيره بدعاء ولا بغير ذلك ممّا يتقرّب به المشركون إلى ما عبدوا معه من الصّالحين والأصنام المذكّرة بهم، وغير ذلك كالنّذور والقرابين الّتي تذبح بأسمائهم أو عند معابدهم، وهذا التّوحيد هو الّذي كان أوّل ما يدعو إليه كلّ رسول قومه، بقوله : "اعبدوا الله مالكم من إله غيره"))، وقال شيخنا "محمّد خليل هرّاس" : (وقد غلط الشّيخ "عبده" في اعتبار توحيد الرّبوبيّة والانفراد بالخلق هو الغاية العظمى من بعثة الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، فإنّ هذا النّوع من التّوحيد كانت تقرّ به الأمّم الّتي بعثت إليها الرّسل، ولم يقع فيه نزاع بينهم وبين الرّسل، وإنّما كان النّزاع في توحيد الإلهية والعبادة، ولهذا لم يجئ على لسان الرّسل عليهم السّلام الدّعوة إلى اعتقاد أنّ الله وحده هو الخالق، وإنّما كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، فكلّ منهم كان مفتتح دعوته لقومه، "اعبدوا الله مالكم من إله غيره".. إلى أن قال الشّيخ "الهرّاس" : «ولعلّ فضيلة الشّيخ "عبده" في هذا كان متـأثّرا بالأشعرية الّذين جعلوا الانفراد بالخلق هو أخصّ خصائص الإلهية، واهتمّوا في كتبهم بإقامة البراهين على هذا النّوع من التّوحيد، دون أن يشيروا إلى توحيد الإلهية الّذي هو أقصى الغايات ونهاية النّهايات..)، وغير ذلك من شطحاته في الملائكة والجنّ و نحو ذاك كما في "تفسير المنار" نقلا عنه..»[1] ثمّ ينتقل الشّيخ "العبّود" للحديث عن "المهدي" السّوداني الّذي حاول البعض أيضا إلصاق دعوته بدعوة الإمام "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله فقال : « وذلك المهدي في السّودان رضي أن يطلق عليه المهدي، بل أعلن أنّه قد رأى رؤية للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يدعوه فيه[2] إلى قيادة المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله، وتَدافَع عليه الآلاف يحلفون له على الطّاعة.. وهذا يدلّ على أنّه اغترّ بنفسه أنّه المهدي، بناء على إعلانه أنّه رأى رؤية للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ إنّ هذه الرّؤية[3] لم يبيّن هل هي منام أو يقظة كما يدّعيه جهلة الصّوفية أنّهم أو أحدهم يرى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة، ويحضر المولد أو ما أشبه ذلك، وهذا أقبح الغلط، وغاية التّلبيس، وأعظم الخطأ المخالف للكتاب والسّنة وإجماع أهل العلم، لأنّ الموتى إنّما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدّنيا، ومن قال خلاف ذلك، فهو كاذب كذبا بيّنا، أو غالط ملبّس عليه، لم يعرف الحقّ الّذي عرفه السّلف الصّالح ودرج عليه أصحاب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأتباعهم بإحسان، ولو تبيّن أنّ هذه الرّؤية منام، فعلى كلّ الاحتمالين هي ليست بصحيحة، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يدعو إلى خلاف الحقّ، ولا يشير ولا يقول بخلاف الحقّ لا في حياته ولا بعد موته، وقد تبيّن أنّ "مهدي السّودان" ليس هو المهدي الّذي يقود المؤمنين كمهدي مخلص أرشده الله، بل لم يخلص حتّى أهل السّودان من الخرافات ومخالفة التّوحيد ومن الاستعمار النّصراني، فقد استولى كتشنر الإنكليزي على

---

[1] عقيدة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" السّلفية وأثرها في العالم الإسلامي. للشّيخ "صالح العبّود". [2/ 470 و471].

[2] هكذا وردت في الكتاب ولعلّ الصّواب يدعوه فيها.. والله أعلم.

[3] هكذا وردت عدّة مرّات في الصّفحة، ولعلّ الصّواب رأى رؤيا.. والله أعلم.

السّودان، وأمر بتدمير قبر المهدي، والتمثيل بجثّته، وعرض رأسه في القاهرة، وكان أتباعه يعتقدون بمعجزة رجوعه.. وقد سئل الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله عن الرّؤيا السّارة في المنام ؟ فقال : الرّؤيا أرجو أنّها من البشرى، ولكن الرّؤيا تسرّ المؤمن ولا تغرّه..»،[1] ثمّ يعطي الشّيخ "العبّود" خلاصة لكلامه بعدم إثبات تأثّر الدّعوات والحركات الآنفة الذّكر بما فيها دعوة الشّيخ الجزائري "عبد الحميد بن باديس"، بدعوة الإمام الكبير "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله رحمة واسعة، فيكتب في ختام كلامه عن تلك الدّعوات ومناهجها الضّائعة الكلام الآتي : « وكلّ تلك الدّعوات والحركات لا تخلو واحدة من سمة تدلّ على عدم ارتباطها بعقيدة الشّيخ دلالة واضحة، فليس في عقيدة الشّيخ شيء من هذه الطّرق الصّوفية ولا الأشعريّة ولا القبوريّة ولا المذاهب السّياسية الّتي تريد التّسلّط ولا النّزعات الثّورية، كلّ ذلك ليس من عقيدة الشّيخ السّلفية، كما هو ليس من عقيدة السّلف الصّالح جميعا في شيء، وما وافقوا فيه الإسلام من أمور، فهذه الموافقة ليست دليلا على أنّهم تأثّروا بالشّيخ كما قرّرنا، وكون أحدهم حجّ مرّة أو مرّتين حتّى لو قابل أحدا من حملة عقيدة السّلف الصّالح، ليس هذا اللّقاء مقتضيّا لتأثّره ما لم يثبت دليل من أدلّة التّأثّر أو صيغة من صيغ التّحمّل والاقتناع، هذا بالإضافة إلى أنّ هؤلاء لا يقولون بأنّهم من أتباع الشّيخ كما قرّرنا، ولا الشّيخ وأتباعه وأنصاره يحتضنون شيئا من هذه الدّعوات بقصد احتوائهم وجعلهم تبعا لهم، ولا يطمئنّون لبعض طرقهم المخالفة، كالنّزعات الصّوفية أو الكلامية أو البدع الأخرى، حتى في تعريف العبادة، فأكثر هؤلاء لا يعرف أنّ العبادة مبناها على الأمر الشّرعي، ولا يعرف أنّ التّوحيد من مقامين : مقام توحيد المعرفة والإثبات، ومقام توحيد القصد والطّلب، ولا يعرف أنّ توحيد القصد والطّلب الّذي هو توحيد الألوهية والعبادة متضمّن لتوحيد الرّبوبيّة ولا عكس، لكن توحيد الرّبوبيّة يستلزم توحيد الألوهيّة، وكثير منهم إذا عرّف التّوحيد إنّما يعرّفه بأنّه توحيد الرّبوبيّة كما ذكرت عن الشّيخ "محمّد عبده" وسائر من تأثّر بالأشاعرة الّذين اشتهر عنهم هذا المنهج في تعريفهم التّوحيد، ومعلوم أنّ الإقرار بتوحيد الرّبوبيّة لا يكفي عن الإتيان بلازمه، وهو توحيد الألوهيّة، وكم من يقرّ بالرّبوبيّة وينكر توحيد الإلهيّة!.. ولعلّ في ذلك كفاية في بيان عدم صحّة الرّأي القائل بأنّ مثل هذه الدّعوات والحركات متأثّرة بالشّيخ ودعوته وحركته وحركة أنصاره من أجل نصرة دين الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم والله أعلم...»[1].. إنّ هذا الكلام النّافع الّذي

---

[1] عقيدة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" السّلفية وأثرها في العالم الإسلامي. للشّيخ "صالح العبّود". [2/ 470 و471].

[1] عقيدة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" السّلفية وأثرها في العالم الإسلامي للشيّخ "صالح بن عبد الله العبّود" [ص : 473 و 474].

كتبه فضيلة الشّيخ العبّود هو نفسه ما أذهب إليه في هذه الرّسالة[2]، وهو أنّ الادّعاء بأنّ دعوة الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" متأثّرة بدعوة الإمام المصلح "محمّد بن عبد الوهّاب"، دعوى مفتقرة إلى أدلّة وبراهين لإثبات صحّتها، والرّاجح أنّها لا تمت بصلة لدعوة "ابن عبد الوهّاب" رحمه الله لعدّة اعتبارات منها :

1 ـ أنّ دعوة الإمام "محمّد بن عبد الوهّاب" ركّزت على أصل الأصول والمتمثّل في الدّعوة إلى سلامة العقيدة وضرورة التّمسّك بعقيدة السّلف الصّالح، وقد كانت دعوة الإمام "محمّد بن عبد الوهّاب" سلفية صرفة، فقد حارب رحمه الله الشّرك بكلّ صوره وبكلّ مظاهره، ولم يداهن أحدا من أهل الزّيغ والضّلال، سواء كان هؤلاء من حفدة الخوارج أو الشّيعة أو المعتزلة أو المرجئة أو الأشاعرة أو الصّوفيّة، لقد حاربهم الشّيخ بكلّ قوّة، ولم يسالم واحدا ممّن زاغ عن المنهج القويم والصّراط المستقيم، وكلّ من تمسّك بدعوة الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" تجده سلفيّ العقيدة، سلفي الوجهة سلفي الاتّجاه، لا يسالم هذا على حساب ذاك ولا ذاك على حساب هذا، ولقد عمل الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" على إحياء عقيدة السّلف الصّالح بكلّ صورها، وعاش من أجل هدفه هذا حتّى توفّاه الله عزّوجلّ تاركا وراءه أجيالا ترفل في نعيم العقيدة الصّحيحة بفضل الله عزّ وجلّ ثمّ بفضل هذا الرّجل الّذي عمل على إحياء عقيدة السّلف الصّالح حتّى حقّق الله له ما كان يصبو إليه. أمّا دعوة الإمام "ابن باديس".. فإنّها ليست متّسمة بالتّركيز على سلامة الاعتقاد والدّعوة إلى ذلك ليلا ونهارا وخير دليل على ذلك وجود رجال في جمعية "ابن باديس" بعيدين كلّ البعد عن عقيدة السّلف الصّالح، كالإباضية مثلا وعلى رأسهم مشايخهم الكبار "كأبي اليقظان" و"إبراهيم بيّوض" والشّيخ "اطفيش" وغيرهم من أساطين الإباضيّة في بلادنا.. ولو كان "ابن باديس" يدعو حقّا إلى العقيدة الصّافية ويركّز تركيزا كليّا في توجيه دعوته إلى سلامة الاعتقاد لما قبل التّعاون أصلا مع إباضيّة يعلنون في كتبهم بكلّ صراحة أنّ القرآن الكريم مخلوق، وينفون رؤية الله تعالى في الآخرة ويردّون كلّ النّصوص الدّالة على ذلك، ويكفّرون مرتكب الكبيرة بدون تردّد، وضلالاتهم أشهر من نار على علم كما يقال، ولو قال قائل بأنّ مصلحة الجزائر كانت تقتضي التّعاون مع الجميع داخل جمعية "ابن باديس" فهذا دليل قاطع على أنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين لا تعير الدّعوة إلى العقيدة الصّحيحة أدنى عناية، وهنا مفترق الطّرق بينها وبين دعوة الشّيخ المصلح "محمّد بن عبد الوهّاب" لأنّ هذا الأخير لا يمكن أبدا أن يقبل التّعاون مع الإباضيّة ولا مع غيرهم من المنحرفين لأنّ العقيدة الصّافية هي هدفه الأسمى، وهو غير مستعدّ للتّنازل عن الدّعوة إليها والمنافحة عنها لا من أجل مصلحة البلاد ولا مصلحة أحد، ولا مجاملة فلان ولا علاّن، وقد يقول قائل إنّ "ابن باديس" حارب الطّرقية حربا لا هوادة فيها، فالجواب أنّه كما

---

[2] وأشهد الله أنّني بدأت كتابي هذا بصفحات وصفحات، وبعد ذلك عثرت على كتاب الشّيخ "العبّود" فوافق كلامه كلامي والحمد لله..

حارب الطّرقية كان عليه أن يحارب أيضا حتّى الإباضيّة ويحارب كلّ من خالف عقيدة السّلف الصّالح، وقد بيّنت فيما مضى أنّ جمعيّة العلماء في بداية أمرها وبتصريح أحد رجالها الكبار وهو الشّيخ "الطّيب العقبي" قبِلت حتّى الطّرقية في صفوفها، وبعد أن خان الطّرقية وطنهم الجزائر وأعلنوا حربهم على جمعية العلماء المسلمين آنذاك فقط غيّرت جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين موقفها تجاه الطّرقية وانبرت الأقلام للرّد عليهم وفضح عوارهم، وكان على جمعية العلماء وعلى رأسها "ابن باديس" أن لا تهادن أيّ عقيدة لا تدين الله بعقيدة السّلف الصّالح، ولكن أنّى لجمعية العلماء محاربة ذلك وهي الّتي انضوى تحت لوائها الغثّ والسّمين من حيث الفساد العقدي، إنّ دعوة "محمّد بن عبد الوهّاب" دعوة جعلت نصب أعينها العقيدة بالدّرجة الأولى، ولذلك لم تقبل كما قلتُ سابقا مجاملة أحد ممّن يعتنق عقيدة زائغة عن عقيدة أسلافنا الصّالحين، ولم يُسجّل للشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" أيّ كلام فيه زيغ عن العقيدة الصّافية السّلفية، أمّا "ابن باديس" نفسه فمن أجل وطنه وحرارة حبّه لوطنه صدرت منه عبارة خاوية على عروشها، ومنحرفة عن العقيدة السّلفية، حيث أنّه في خضم حديثه عن فرنسا في سنة (1939م) قال : « والله لو طلبت منّي فرنسا أن أقول لا إله إلاّ الله ما قُلتها»، وهذا القول تقشعر منه جلود الّذين آمنوا وعرفوا قيمة "لا إله إلاّ الله"، وقد حاول الكثيرون أن يعذروا الشّيخ "ابن باديس" في هذه العبارة واعتبروها موقفا "وطنيّا" شامخا منه، ولكن الّذي يؤمن بلا إله إلاّ الله ويعرف مقتضياتها ويعمل بها يستقبح هذا القول ويردّ على صاحبه بحدّة معتبرا صدور مثل هذه العبارة من شيخ عالم يقود حركة إصلاحيّة طامّة من الطّامات، أمّا أنصار الوطنيّة فبلا شكّ يعذرونه في ذلك بل ويلتمسون له العذر تلو الآخر، قال أحد هؤلاء المؤلّفين الوطنيّين وهو "محمّد الميلي" عن "ابن باديس" في كتابه « ابن باديس وعروبة الجزائر» [ص 63 وص 64] عن هذه النّقطة ما نصّه : « تكشف كتابات "ابن باديس" عن شخصيّة متعدّدة الجوانب وفكرا نادرا ما يغرق في الجزئيّات، كما تكشف عن وجود تصميم وتخطيط لمكافحة الاستعمار، بوصفه نظاما يهدف إلى فَرْنَسَةِ الجزائر وتفتيت شخصيّتها، وسواء كان "ابن باديس" واعيا بهذا التّخطيط، أم أنّه كان يطوّر مواقفه حسب الظّروف المعاشة، فإنّ كتاباته تشعر بوجود نيّة وعزم على تخليص الجزائر من عواقب وتبعات الاستعمار، إذ أنّها تتوفّر على معظم الأبعاد الضّروريّة لتحقيق التّغيير في اتّجاه التّمايز عن فرنسا والانفصال عنها.. وهذا ما دفع "ابن باديس" إلى أن يقول في (1939م) : «والله لو طلبت منّي فرنسا أن أقول لا إله إلاّ الله ما قُلتُها». وقد يبدو هذا القول غريبا من رجل دين ـ بل إنّ بعض تلامذته ينكرون أن يكون قد صدر مثل هذا القول عن "ابن باديس" وهم يدعّمون هذا الإنكار بحجج فقهيّة دينيّة تغفل عن الجانب السّياسي في الموضوع.. في حين أنّ الّذين ينسبون تلك الكلمة إلى "ابن باديس"، يضعونها في سياق زمنيّ معيّن، هو سياق الحرب العالميّة الثّانية وبداياتها.. وكان الاستعمار في الجزائر آنذاك قد استشعر بإمكانيّات الرّضوض الّتي تحدّثها الحرب في هياكل سيطرته، فأراد أن يضمن مؤخّرته، ويتحصّل على تأييد الشّعب الجزائري في الحرب، من خلال تسخير رجال الدّين حتّى يتولّوا الإفتاء

بشرعيّة "الجهاد" ضدّ الألمان إلى جانب الفرنسيّين. وكان الاستعمار الفرنسي يدرك آنذاك أنّ رجال الدّين المتعاونين معه، لن يكون لكلمتهم التّأثير المطلوب ـ لذلك توجّه إلى العناصر القياديّة في جمعيّة العلماء، يطلب منهم أن يدعوا الشّعب إلى التّجنّد ضدّ النّازيّة، فكان هناك من أجاب متملّصا "هذه حرب سياسيّة ونحن علماء دين، فإذا كنتم تطلبون فتوى في هذا الموضوع فاطلبوها ممّن تعتبرونهم سياسيّين، مثل الدّكتور "ابن جلّول".. وكان الدّكتور "ابن جلّول" آنذاك قد فقد كلّ تأثير سياسي بعد أن اتّضح للجميع تواطؤه مع الاستعمار وخيانته لمطالب الشّعب. وكان هناك من رجال جمعية العلماء، من فضّل التّعرض للنّفي والتّشريد على أن يقول كلمة تأييد لفرنسا بمناسبة الحرب. هذا هو الظّرف الزّمنيّ الّذي قال فيه "ابن باديس" كلمته : «والله لو طلبت منّي فرنسا أن أقول لا إله إلاّ الله ما قلتها»، والّذين يعرفون "ابن باديس" يتحدّثون عن حدّته وصلابته وصياغته للأحكام القاطعة، ولذلك لا يستبعد أن تكون الكلمة قد صدرت عن "ابن باديس"، تعبيرا عن رفضه المطلق لكلّ ما تشمّ منه رائحة النّزول عند رغبة فرنسا». انتهى.. هذه هي أعذار الوطنيّين الّذين لا ينضبطون بضابط الشّرع، ولو كانوا يعلمون أنّ هذه الكلمة لها ثقلها في الانحراف عن العقيدة القويمة ما ساقوا مثل هذه الأعذار الواهية، إنّ "ابن باديس" أتى شيئا إدّا بهذه العبارة الخطيرة، عبارة : «والله لو طلبت منّي فرنسا أن أقول لا إله إلاّ الله ما قلتها».. فهذه العبارة لو صدرت من أبسط عاميّ لا يعرف من الإسلام إلاّ اسمه لقمنا عليه بالإنكار وتبيين فظاعة قوله في ميزان العقيدة فما بالنا حينما تصدر العبارة من زعيم إصلاحي يقود حركة بأكملها ويعدّ عالم بلاده الأكبر؟!.. والله إنّ هذه العبارة تنافي التّوحيد من جذوره وتقتلع أصوله والعذر الوحيد "لابن باديس" في ذلك ليس بتلك المواقف الّتي ذكرها ذلك الكاتب الوطنيّ النّزعة بل العذر الوحيد له أن لا يكون قد قال هذه العبارة أصلا، أمّا وأنّها اشتهرت عنه فلا يمكنني نفيها عن الشّيخ "ابن باديس" إلاّ بالأدلّة والبراهين، وهذا ما لم يتيسّر لي.. إنّ هذه العبارة تبيّن الوجه الحقيقي للشّيخ "ابن باديس" وتكشف عن زعيم سياسي أكثر منه شيخ من العلماء أو الدّعاة وفي هذا تفريق واضح بيّن بين دعوة "محمّد بن عبد الوهّاب" القائمة على أرضيّة صلبة من حيث سلفيّة العقيدة وبين دعوة "ابن باديس" الرّافعة للقيّم الوطنيّة أكثر من العقيدة السّليمة وقد اشتهر "ابن باديس" كثيرا بأقواله الدّالة على وطنيّته الّتي تكاد تسبق كلّ المعايير الهامّة وعلى رأسها الدّين فقد أعلن في جريدة "المنتقد" الّتي أسّسها قوله : « الحقّ فوق كلّ أحد والوطن قبل كلّ شيء»، وكلمة الوطن قبل كلّ شيء تحتاج بدورها إلى وقفات لأنّ الإسلام جاء ليمحو هذه الفوارق خاصّة حينما تحول هذه الفوارق دون تحقيق مهمّة الإنسان في هذا الوجود وهي عبادة الله عزّوجلّ وحده لا شريك له وعبادته بما شرع، وليس من العيب أن يحبّ الإنسان وطنه، بل الخطأ الأعظم أن يجعل الرّابطة الوطنيّة أو القوميّة فوق الرّابطة الدّينية لأنّه آنذاك يكون قد زاغ عن الفهم الإسلامي السّلفي الصّحيح فالوطن ليس قبل كلّ شيء لأنّ الدّين يسبق الوطن ولا مقارنة إطلاقا بين هذا وذاك.

2 ـ من الفوارق الظّاهرة بين دعوة الإمام "محمّد بن عبد الوهّاب" ودعوة الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" أنّ المصلح الأوّل وهو الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله يولي عناية كبيرة لمحاربة البدع ودحضها والقضاء عليها، فهو يرفض أن تكون دعوته قائمة على محدثات الأمور بل كانت غايته القصوى إحياء منهج السّلف في رفض البدع وعدم استحسانها، بينما نجد الثّاني وهو الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" يشارك في إحياء البدع ويلقي الدّروس والمحاضرات بمناسبة ذلك، كمشاركته الفعّالة مرارا وتكرارا في إحياء بدعة المولد النّبوي وهي بدعة فاطميّة شنيعة ليست من عبادات السّلف في شيء، هذا إلى جانب بدع أخرى تزخر بها جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين ويعتّز بذلك رجالها كبدعة الاحتفال بختم القرآن الكريم وختم الموطّأ والاحتفال بقدوم الحجّاج وبحفلات الختان وغيرها من الاحتفالات الّتي لم يعرفها سلف الأمّة رضي الله عنهم، إلى جانب اختلاف الرّجلين في مسألة التوسّل بذات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

3 ـ وممّا عُرف عن الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" جهاده في سبيل الله، ونداؤه وسعيه لإعلاء راية لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، وهذا الجهاد ما عُرف عن "ابن باديس"، بل كان أسلوبه مع فرنسا في مرحلة من مراحل حياته أسلوب تقيّة ومداهنة بينما الوقت حينها كان يقتضي مجاهدة أولئك الكفّار الغزاة الّذين عاثوا في بلادنا فسادا ودمارا وتخريبا، إنّ المرء حينما يقرأ بعض العبارات الّتي صدرت من الشّيخ "ابن باديس" في بعض مراحل حياته في مدح فرنسا وتزكيّتها يشتّد تعجّبه ويزداد يقينا بأنّ دعوة الشّيخ "ابن باديس" أبعد ما تكون عن دعوة المجدّد "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله، وكان "ابن باديس" قد ختم حياته بمواجهة فرنسا بكلام صارم، وتراجع عماّ صدر منه قبل ذلك دون أن يعلن أنّه أخطأ في بعض العبارات القديمة كقوله مثلا وهو ينصح الجزائري بوصايا متعددة : "حافظ على مبادئك السّياسية، ولا سياسة لك إلاّ سياسة الارتباط بفرنسا"[1].. وقد عُلّق على هامش الكتاب الّذي وردت فيه هذه العبارة بما يلي : هذه تقيّة من "ابن باديس" لأنّه يؤمن بأنّ الشّعب الجزائري سيستقلّ عن فرنسا متى حان الوقت وقد حان وتحقّق.. قلتُ : إنّ التقيّة ليست من منهج أهل السّنة والجماعة في شيء بل هي من أصول الشّيعة الرّوافض الّذين يقصدون بها مداهنة المسلمين الّذين ليسوا على مذهبهم الباطل وذلك بأن يظهروا لهم خلاف ما يبطنون، وهذا هو النّفاق عينه، إنّ شيخا "كابن باديس" ما كان له أن تصدر منه هذه العبارة مهما كانت الظّروف ومهما كانت الأسباب، بل كان عليه أن يشجّع الجزائريّين على مجاهدة العدوّ الفرنسي الغاشم بكلّ ما أوتي من قوّة لأنّ عبارة مثل هذه من شأنها أن تؤثّر على الشّعب الجزائري وقتئذ فيبقى تحت سلطة الاستعمار الفرنسي عن رضى وطواعية، وهذه المداهنة ليست من أسلوب الشّيخ "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله الّذي عُرِف بشجاعته الفائقة وصدعه بالحقّ مهما كانت النّتائج.. وقال الشّيخ "ابن باديس"

---

[1] (آثار الإمام "عبد الحميد بن باديس")، [44/4] . من مطبوعات وزارة الشّؤون الدّينية الجزائريّة.

رحمه الله مخاطبا الشّعب الجزائري في موطن آخر: "أيّها الشّعب الكريم : كنّ ـ كلّك ـ مع الحكومة الفرنسوية الممثّلة للشّعب الفرنسي الدّيموقراطي أصدق تمثيل ـ كُنّ كلّك ـ ضدّ كلّ متعصّب ضدّ أيّ جنس وأيّ دين.. كُنّ متّحدا فبالاتّحاد تبلغ غايتك الشّريفة الإنسانيّة ـ كنّ مستيقظا، منظّما لتبرهن على أنّك شعب لا تريد إلاّ العيش والحرية والسّلام.. ارفع عقيدتك بالاحتجاج ضدّ جميع الّذين يستعملون العنف والقسوة والأساليب الشّيطانيّة الخفيّة ليحدثوا الفتنة والشّغب ضدّ فرنسا والجزائر.. ناد من كلّ قلبك : لتحيا الجزائر ـ لتحيا فرنسا الشّعبية.. ليسقط الظّلم والاستعباد ! ليسقط أضداد الأجناس وحريّة الأديان والأفكار..." [(2)]، هذا المنشور مليء بالطّامات إذ فيه محاذير وأخطاء فظيعة من جملتها :

أ. حضّ "ابن باديس" الشّعب الجزائري على أن يكون مع الحكومة الفرنسيّة قلبا وقالبا.

ب. تضليل الشّعب بفكرة الدّيموقراطيّة والدّيموقراطيّة هي الكفر عينه إذ أنّها تنادي بوجوب إخضاع الحكم للشّعب، والحكم لله عزّ وجلّ في شريعتنا وعقيدتنا ـ فكيف خفي هذا على شيخ "كابن باديس"؟

ج. تشجيع الجزائريّين على الاتحاد مع فرنسا وبالتّالي فلا جهاد ولا حرب.

د. ماذا يقصد "ابن باديس" بحريّة الأديان؟ أي حريّة لأديان حرّفت وغيّرت؟ إنّ هذا الكلام الأجوف قد يؤدي بقائله إلى اعتقاد وحدة الأديان وبالتّالي يكون على شفا هلكة من هذه الأفكار السّامة الّتي تهدف إلى إسقاط الإسلام وهو دين الله العظيم.

هـ ـ وإن قال قائل: تلك ظروف عاشها الشّيخ "ابن باديس" في وطنه، ومصلحة البلاد أملتْ عليه وقتها أن يقول هذا الكلام، آنذاك يكون الرّد: بأنّ في هذه الفرضيّة أكبر دليل على أنّ الشّيخ "ابن باديس" رجل سياسة ـ بما تقتضيه هذه الأخيرة من تلوّن وتقلّبات في المواقف والقرارات ـ وليس عالما يحكّم شريعة الله وينادي بتطبيقها حتّى في أيّام الاستعمار الماكر المدمّر.. ورغم أنّ "ابن باديس" فيما بعد أعلنها أنّ:

شعب الجزائري مسلم	❖❖	وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله	❖❖	أو قال مات فقد كذب

إلى آخر القصيدة الّتي وقف بها في وجه فرنسا، إلاّ أنّنا نتأسّف كثيرا على تلك العبارات المضلّلة الّتي صدرت منه قبل ذلك مؤكّدة أنّه سياسيّ أكثر منه عالم يعلن عن الأحكام الشّرعية مهما كان الثّمن.. وبهذا يتّضح أنّه شتّان..شتّان..بين دعوة "محمّد

[(2)] مجموعة جريدة البصائر..العدد 32 [ص 259].

بن عبد الوهّاب" الشّامخة، الرَاسخة في جذورها، الصّلبة في أصولها، الواضحة في أبعادها ومراميها، وبين دعوة الشّيخ "ابن باديس" الّتي يمكن القول بأنّها مزيج من دعوة "جمال الدّين الأفغاني" و"محمّد عبده" ومن دعوة الشّيخ "حسن البنّا"، رغم أنّ "ابن باديس" لم يعلن تأثّره بدعوة الإخوان المسلمين، ومع ذلك نجده في الكثير من القضايا يسلك مسلكهم سواء أعلن ذلك أم لم يعلنه.. ولا ننسى أنّ دعوة الإخوان المسلمين تأسّست سنة (1928م) بينما تأسّست جمعيّة العلماء المسلمين في سنة (1931م)، وقد يكون "ابن باديس" قد تأثّر ببعض جوانب دعوة الإخوان المسلمين دون أن يذكر ذلك لا من قريب ولا من بعيد.. وسواء ذكر أم لم يذكر فإنّ التّشابه بين جمعية العلماء في بعض بنودها وبين الإخوان المسلمين غير خفي على كلّ ذي بصيرة، في حين يمكن القطع بأنّ جمعية العلماء المسلمين لا صلة لها بدعوة "محمّد بن عبد الوهّاب" مهما حاول بعض المفكّرين إلصاق هذه بتلك، وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض المفكّرين الّذين يزعمون تأثّر جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين بدعوة الشّيخ المصلح العلاّمة "محمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله، لم يقدّموا البراهين القاطعة على هذه الدّعوى، وإنّما عمدتهم في ذلك أمور منها:

أ ـ اعتمادهم على مراجع لا تصلح أبدا كمراجع المستشرقين من أعداء الإسلام الّذين يريدون تشويه صورة دعوة "ابن عبد الوهّاب" بجميع الطّرق والوسائل.. وهم لا يصلحون بتاتا لعقد مثل هذه المقارنات لأنّهم لم يدرسوا إلاّ بعض الأفكار الإسلاميّة ليس لمصلحة أمّتنا وإنّما لتدمير الإسلام بكلّ ما أُوتوا من قوّة.

ب ـ أنّ هؤلاء المفكّرين أنفسهم لديهم انحراف في فهم السّلفية، والسّلفية عندهم هي التّديّن بالإسلام فقط بصرف النّظر عن سلامة المعتقد وسلامة المنهج.. وإلاّ فكيف يفسّر العاقل مقارنة "محمّد عبده" زعيم المدرسة العقلانيّة "بمحمّد بن عبد الوهّاب" رحمه الله مجدّد السّلفية في زمانه ؟.

ج ـ أنّ تلك الدّراسات لديها هدف معيّن وهو تسوية جميع العاملين في الحقل الإسلامي بدرجة واحدة.. وهنا يكون الخلط ولا تتّضح المفاهيم فيعتقد النّاس أنّ "حسن البنّا" و"محمّد بن عبد الوهّاب" وجه واحد وهذا والله عين التّزوير وعين التّضليل فلا علاقة إذن بين دعوة "ابن باديس" ودعوة "محمّد بن عبد الوهّاب" بناء على كلّ ما قلته آنفا...

وقفة أخيرة

إنّ الدّعوة السّلفية هي دعوة الحقّ المبين لأنّها سارت على الخطّ الّذي رسمه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، واجتنبت الوقوع في مناهج الخطوط الأخرى الّتي كان على رأس كلّ واحد منها شيطان يدعو النّاس لاتّباعه وملازمته، وإنّه لمن الملاحظ أنّ الفرقة قد حصلت في أمّتنا بالإرادة القدرية الكونية الخلقيّة، ولذلك يلاحظ المرء أنّ كلّ العاملين في حقل الدّعوة إلى الله يدعون أنّهم أولى النّاس بالاتباع ويزعمون أنّهم على الطّريق القويم والصّراط المستقيم، ولكن دعاواهم هذه مفتقرة إلى أدلّة تثبت أنّهم حقّا أهل الحقّ، بل الأدلّة دلّت على مجانبتهم للحقّ وزيغهم عنه، أمّا الدّعوة السّلفية فهي الدّعوة الوحيدة الّتي نادت بأعلى صوتها أنّها تريد العودة بالنّاس إلى ما كان عليه السّلف الصّالح، وهيّ الدّعوة الّتي علّمت النّاس أنّ النّجاة كلّ النّجاة في التّمسك بمنهج الفرقة النّاجيّة وهيّ الطّائفة المنصورة والمتمثّلة في أهل الحديث، وأهل الحديث هم أهل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وإن لم يصحبوه أنفاسه صحبوا، وقد يقول قائل : لماذا التّمسك بالذّات بأهل الحديث ؟ ما سبب تفضيلهم على غيرهم؟ ولماذا لا يكون التّمسك بمناهج أخرى متّبعة غير منهج أهل الحديث؟ ومن يكونون حتّى تعطى لهم كلّ هذه الميزة دون غيرهم؟ وقد أجاب عن كل هذه التّساؤلات الشّيخ العلاّمة "ربيع بن هادي" بكلام عظيم النّفع قال فيه ما يأتي: « هم من نهج نهج الصّحابة والتّابعين لهم بإحسان في التّمسك بالكتاب والسّنة والعضّ عليها بالنّواجذ، وتقديمهما على كلّ قول وهدى، سواء في العقائد أوالعبادات أوالمعاملات أوالأخلاق أوالسّياسة والاجتماع.. فهم ثابتون في أصول الدّين وفروعه، على ما أنزله الله وأوحاه على عبده ورسوله محمّد صلّى الله عليه وسلّم.. وهم القائمون بالدّعوة إلى ذلك بكلّ جدّ وصدق وعزم، وهم الّذين يحملون العلم النّبوي، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.. فهم الـّذين وقفوا بالمرصاد لكلّ الفرق الّتي حادت عن المنهج الإسلامي كالجهميّة والمعتزلة والخوارج والرّوافض والمرجئة والقدريّة، وكلّ من شذّ عن منهج الله، واتّبع هواه في كلّ زمان ومكان لا تأخذهم في الله لومة لائم.. هم الطّائفة الّتي مدحها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقوله: «لا تزال طائفة من أمّتي على الحقّ ظاهرين لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتّى تقوم السّاعة».. هم الفرقة النّاجية الثّابتة على ما كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه الّذين ميّزهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحدّدهم عندما ذكر أنّ هذه الأمّة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلاّ واحدة فقيل من هم يا رسول الله؟ قال : «من كان على ما أنا عليه وأصحابي» لا نقول ذلك مبالغة ولا دعاوى مجرّدة، وإنّما نقول الواقع الّذي تشهد له نصوص القرآن والسّنة، ويشهد له التّاريخ وتشهد به أقوالهم وأحوالهم ومؤلّفاتهم.. هم الّذين وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى : « واعتصموا بحبل اللّه جميعا ولا تفرّقوا» [آل عمرا ن، الآية 103]، وقوله : « فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أويصيبهم عذاب أليم» [النور، الآية 63]، فكانوا أشدّ بعدا عن مخالفة أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبعدهم عن الفتن.. وهم الّذين جعلوا دستورهم : « فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يُحكمّوك فيما شجر بينهم ثمّ

لايجدوا في أنفسهم حرجا ممّا قضيت ويسلّموا تسليما» [النساء، الآية 65].. فقدروا نصوص القرآن والسّنة حقّ قدرها وعظّموها حقّ تعظيمها، فقدّموها على أقوال النّاس جميعا، وقدّموا هديها على هدي النّاس جميعا، واحتكموا إليها في كلّ شيء عن رضى كامل، وصدور منشرحة، بلا ضيق ولا حرج وسلّموا لله ولرسوله التّسليم الكامل في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم.. هم الّذين يصدق فيهم قول الله : « إنّما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليَحكُم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأُولئك هم المفلحون» [النور، الآية 51]...» [1]، وبهذه المميّزات العظيمة تميّز طريق الدّعوة السّلفية عن غيره من الطّرق المنحرفة عن منهج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصحابته رضي الله عنهم والتّابعين الكرام وتابعيهم رحمهم الله تعالى ومن سارعلى هداهم من الأئمة الأعلام في كلّ عصر، واستطاع علماؤنا العظماء عبر عصور التّاريخ أن يقفوا في وجه كلّ منحرف ضلّ عن الصّراط السّوي، ووقفوا في وجوه المبتدعة الّذين شوّهوا الوجه الحقيقي للإسلام في جميع المجالات عقيدة وعبادة ومنهجا وسلوكا وأخلاقا وفكرا، ولذلك عبّر شيخنا العلاّمة ومحدّث العصر الشّيخ "الألباني" رحمه الله عن طريق الدّعوة السّلفية وخطّها في هذا القرن بكلمتين عظيمتين هما التّصفية والتّربية ويقصد بالتّصفية تصفية الإسلام من كلّ ما علق به من أدران الفرق المنحرفة عن منهج أهل السّنة والجماعة فيُردّ على المنحرفين في كلّ المجالات في العقيدة وفي الفقه وفي التّفسير وفي الفكر وفي المنهج وفي العبادة وغيرها ثمّ السّعي إلى تربيّة الأجيال على ضوء هذا الإسلام الصّافي النّقي وقد ذكر الشّيخ العلاّمة "الألباني" رحمه الله أنّ مثل هذا العمل يتطلّب مجهودات جبّارة لتحقيقه من أجل إقامة المجتمع الإسلامي المنشود[1]، وهذه التّصفية الّتي يقوم به علماء السّلفية عبر العصور هيّ الّتي تُسقط القناع عن وجه كلّ ناعق يدّعي التزامه بالسّلفية في حين تكون عقيدته ليست من السّلفية في شيء أو منهجه منهج خارج عن منهج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لأنّ لفظ "السّلفية" اليوم حاول الالتصاق به حتى من كان عدوّا لدودا لها وبتصفيّة هذه المجالات الواسعة يتّضح لكلّ ذي بصيرة من كان سلفيّا حقّا بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة العظيمة من امتثال طريق السّلف الصّالح قلبا وقالبا لا الانتماء للسّلف بما تعنيه هذه الكلمة بمدلولها اللّغوي كما سبق لي وأن بيّنت ذلك في الفصول الّتي تقدّمت. وهذه الوقفة الّتي وقفتها مع الشّيخ "عبد الحميد بن باديس" ومع بعض رجال جمعيّته بيّنت لنا بلا شكّ هل ذلك الشّيخ كان سلفيّا حقّا أم أنّ سلفيّته سلفيّة غريبة لا صلة لها بالسّلفية الصّادقة الدّاعية إلى الاقتداء الكلّي بالسّلف الصّالح وتصفيّة جميع المجالات من كلّ أدران وأوحال الزّائغين والمنحرفين، فهل كانت سلفية "ابن باديس" هيّ حقّا سلفيّة "التّصفيّة والتّربيّة" ؟ الجواب يترك بعد هذا التّفصيل. ففي تصفيّة العقيدة : تعلّمنا من علمائنا الكبار أنّ العقيدة (وصلتنا من طريق الوحيين نقيّة من الخرافة خالصة من الشّوائب، بعيدة عن أباطيل الشّرك، سالمة من هوة

---

[1] مكانة أهل الحديث للشّيخ العلاّمة "ربيع بن هادي" حفظه الله، [ص 4، 5 و6].

[1] راجع كلامه هذا في الجزء الثّاني من سلسلة الأحاديث الضّعيفة، [ص 2].

التّأويل.. لكن لمّا ابتعد النّاس عن سلوك سبيل نهج أهل الحديث في فهم الكتاب والسّنة، وقعوا ـ دونما وعي ـ بالشّرك وأوحاله، وتحريف الصّفات الإلهيّة وتأويلها، وصرفها عن حقيقتها اللّغوية اللّائقة بذات الله سبحانه وتعالى، وأصبحت منكرات الأفكار العقائدية ـ عند أهل الحديث والسّنة ـ مسلّمات بَدَهيَات عند متأخّري أفراخ الخلف)[2]، ولذلك أصبحنا نرى الجمعيّات والجماعات تجمع تحت اللّواء الواحد مجموعة أضداد من حيث المعتقد، ليعمل الجميع وفق مصلحة الحزب الواحد أو الجمعيّة الواحدة أو الجماعة الواحدة، وانتشر هذا الدّاء بشكل فظيع بسبب عدم اعتناء هذه الجماعات أو الجمعيّات بتصحيح العقيدة بدقّة، ولو نظرنا إلى حال "ابن باديس" رحمه الله، وحال جمعيّته نجده على غرار ـ "حسن البنّا" ـ شديد الاعتناء بتوحيد الصّف مع الزّائغين عن العقيدة الصّحيحة وما وجود الإباضيّة في جمعيّته إلاّ بيّنة قاطعة على تساهله في مسائل الاعتقاد ـ حتى ولو كان سلفيّ العقيدة [1] على حدّ زعم البعض، ولكن السّلفي العقيدة لا يداهن القائلين بعدم رؤية الله في الآخرة والقاطعين في عقيدتهم بأنّ القرآن الكريم مخلوق، أو لم يقرأ "ابن باديس" عن فتنة الإمام أحمد رحمه الله، وما أصابه من أذى من أجل وقوفه في وجه القائلين بخلق القرآن الكريم ؟ بلا شكّ قرأ "ابن باديس" عن تلك الفتنة الّتي امتحن فيها إمام السّنة الشّامخ "أحمد بن حنبل" رحمه الله، فكيف طوّعت له نفسه منح العضوية للإباضيّة والتّعامل معهم وكأنّ الخلاف بيننا وبينهم خلاف هيّن يتعلّق بفقه الفروع ولا يتعلّق بمسائل الاعتقاد العظمى ؟ ولو كانت مسألة خلق القرآن من المسائل الّتي يجوز فيها الخلاف ما ميّز السّلف الصّالح بها بين المبتدع وبين المتمسّك بالكتاب والسّنة حقّ التّمسك، ولما عانى من أجلها الإمام "أحمد بن حنبل" رحمه الله كلّ تلك المعاناة (في موقفه من محنة خلق القرآن حيث ظلّ ثابتا على صفو عقيدته، فضرب مثلا عظيما في الثّبات على الحقّ، والتّمسّك به، والدّعوة إليه، فها هو "المروزيّ" ـ أحد أصحاب الإمام ـ يدخل عليه أيّام المحنة، ويقول له : يا أستاذ، قال الله تعالى : «ولا تقتلوا أنفسكم» [النّساء ـ 29]، فقال أحمد : يا مروزيّ ! اخرج، انظر أيّ شيء ترى، قال : فخرجت إلى رحبة دار الخليفة، فرأيت خلقا من النّاس لا يُحصي عددهم إلاّ الله، والصّحف في أيديهم، والأقلام والمحابر في أذرعتهم، فقال لهم "المروزيّ" : أيّ شيء تعملون ؟ فقالوا : ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، قال "المروزيّ" : مكانكم، فدخل إلى "أحمد بن حنبل"، فقال له : رأيت قوما بأيديهم الصّحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه، فقال أحمد : يا "مروزيّ"، أُيضلُّ هؤلاء كلّهم ؟! أقتل نفسي ولا أضلّ هؤلاء)[2]، فلماذا لم يقتدِ "ابن باديس" بأمثال هؤلاء العظماء وبصلابة دينهم وصدعهم بالحقّ ولو على حساب هلكة أنفسهم؟!.. الجواب معروف وهو أنّ "ابن باديس" لو كانت دعوته حقّا دعوة السّلفية

---

[2] (التّصفية والتّربيّة) للشّيخ الفاضل "علي حسن الحلبي"، [ص 13].

[1] هذا لو سلّمنا أنّه سلفيّ العقيدة بمعنى السّلفية الحقيقيّة وإلاّ فموقفه من الإباضيّة يبيّن تساهله في أمور خطيرة من مسائل العقيدة وهذا ليس من هدي السّلف في شيء.

[2] (التّصفية والتّربية) للشّيخ "علي حسن الحلبي"، [ص 10].

بتصفيّتها وتربيّتها لتعاون مع علماء سلفييّن دون أن يضمّ إلى جمعيّته رجالا من مختلف العقائد، وهذه نقطة مهمّة لابدّ من التّركيز عليها عند الحديث عن سلفيّة "ابن باديس" المزعومة، ومن استهان بخطورة "الإباضيّة" يستهين بخطورة مسألة خلق القرآن ورؤية الله في الآخرة وغيرها من انحرافات الإباضيّة الواردة في كتبهم.. فأين تصفية العقيدة عند "ابن باديس" ؟!

أمّا عن تصفيّة الفقه فلا بدّ من الاعتراف بأنّ علماء الإسلام عبر عصور التّاريخ قد تركوا كنوزا فقهيّة عظيمة تشهد بنبوغهم في هذا المجال، ولكنّ الفقه أيضا تعرّض بدوره إلى مخاطر كثيرة أهمّها : غلق باب الاجتهاد.. وإلزام النّاس بالتّقليد والتّعصّب للمذهب الواحد مع أنّ الأئمّة الأعلام ظلّوا مصرّين إلى آخر أعمارهم على نهي النّاس عن تقليدهم تقليدا أعمى واتّخاذ آرائهم دينا يعبد من دون الله عزّ وجلّ، وبسبب أمور كثيرة وقعت في تاريخ أمّتنا[1] تعصّب النّاس للمذاهب وباتوا يرفضون الطّريقة السّلفية في الفتوى فركنوا إلى أقوال الأئمّة ركونا لا نظير له، ولم يعد يهمّهم الدّليل حتّى وإن كانوا من القادرين على فهمه ، ولو كان الأمر متعلّقا بالعوام لكان لهم العذر بأنّه لا طاقة لهم على فهم الأدلّة بالتّفصيل، وإذا رجعنا إلى فقه الإمام "ابن باديس" وجدناه فقها "مالكيّا" خالصا فهو يفتي بما يوافق مذهبه المالكيّ، وحتّى رجال جمعيّته حينما يتكلّمون عن الإباضيّة مثلا يقولون : توحّدنا نحن المالكيّة مع إخوتنا الإباضيّة كما عبّر عن ذلك "ابن باديس" نفسه والشّيخ "الطّيب العقبي" رحمه الله، ولم يقولوا نحن السّلفييّن أو نحن المنتهجين لمنهج أهل السّنة والجماعة وغيرها من الألقاب، وإن كان لفظ السّلفييّن أدقّ حاليا من لفظ أهل السّنة والجماعة لأنّ هذه العبارة بات يتدثّر بها حتّى بعض الزّائغين كالأشاعرة مثلا والماتريديّة ومن كان على درب هؤلاء الضّلال.. "فابن باديس" رحمه الله يرجّح في الكثير من فتاواه المذهب المالكيّ وهو مذهبه الفقهي المتّبع على غرار شعوب المغرب العربيّ، ولذلك لمّا يجد النّاس اليوم سلفيّا يعظّم "الدّليل" لا المذهب يبادرونه بالإنكار كيف تخرج عن مذهب آبائك وأجدادك ؟!.. ولو أنّ الشّيخ "ابن باديس" صفّى الفقه وساهم في دحض فكرة التّمذهب الّتي ترفع المذهب أكثر من رفعها للأدلّة من كتاب الله وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لكان حقّا سلفيّا في فقهه ـ ولكنّه لم يفعل ـ بل ما من سؤال يرد عليه إلاّ ويجيب بمقتضى المذهب المالكي دون غيره ولا يشذّ عن ذلك إلاّ نادرا : مثلا ورد إليه سؤال هو « هل يجوز للمرأة أن تستعمل دواء يمنعها من الحمل لأنّها ضعيفة بالمرض.. فأجاب :

أصل هذه المسألة هي العزل أي عدم إنزال الرّجل المنيّ في الفرج وهذا كرهه البعض، والمشهور في المذهب جوازه بإذن المرأة الحرّة لحقّها في الوطء، والإنزال من تمام لذّتها وفي العزل منع للولادة فيقاس عليه شرب الدّواء لمنع الولادة فيجوز ما لا يلحق

---

[1] راجع مسألة ركود الفقه وانحرافه في كتاب (معالم الهدى إلى فهم الإسلام) "لمروان القيسي".

ضررا بالجسم إذا كان بإذن الزّوج لأنّ له حقّا في الولد، وإذا كانت ضعيفة عن الولادة فلا تتوقّف إلاّ بإذنه..»[1].

لاحظ أنّ الشّيخ "ابن باديس" أجاب بالمشهور من المذهب وهو يقصد المذهب المالكي، وهذه طريقة مذهبيّة وليست من الفقه السّلفي في شيء، هذا بغض النّظر عن تقييم فتواه أأصاب فيها أم أخطأ لأنّ المجال الآن ليس مجال دراسة هذه الفتوى في حدّ ذاتها، بقدر تبيين مدى حرص "ابن باديس" على الإفتاء بالمذهب المالكي بالدّرجة الأولى وشواهد ذلك كثيرة وكثيرة جدّا وهي إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على الحرص المذهبيّ عند "ابن باديس" مع كونه عالما يستطيع التّخلّص من المذهب ويحقّ له لو أفتى بخلاف مذهبه ـ ولكنّه لم يفعل ـ فثبت بذلك تمذهبه المنافي لنداء الدّعوة السّلفية بضرورة نبذ التّعصّب المذهبي لأنّه كان من العوامل الرّئيسيّة لركود الفقه الإسلامي، فالتّعصّب المذهبيّ أنجب رجالا بلغوا قمّة التّعصّب لمذاهبهم من أمثال "أبي الحسن الكرخي" الّذي اشتهر عنه قوله : "كلّ آية تخالف ما عليه أصحابنا فهيّ مؤوّلة أو منسوخة، وحديث كذلك فهوّ مؤوّل أو منسوخ".. وأنا لا أقول أنّ "ابن باديس" بلغ درجة هؤلاء في التّعصّب لمذهبه، ولكن أقول : بأنّ تقيّده في الفتوى بالمذهب المالكي يفضي إلى انتشار بدعة التّعصّب المذهبي، ويقتل في النّاس همّة التّعلّق بالدّليل ويزيدهم تشبثا بفكرة التّمذهب بالمذهب الواحد، وكان على "ابن باديس" أن يذكّر الجزائريين المصرّين على "المالكيّة" دون غيرها بالإمام مالك نفسه وهو إمام دار الهجرة حينما أعلن للنّاس قوله : (إنّما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا رأيي فكلّ ما وافق الكتاب والسّنة فخذوه، وكلّ ما لم يوافق الكتاب والسّنة فاتركوه)، ولقد جمع شيخنا العلاّمة "الألباني" رحمه الله جملة من الأقوال العظيمة للأئمّة الأربعة في كتابه "صفة صلاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم" كلّها تدلّ على نهي الأئمّة عن تقليدهم والتزام المذهب الواحد، لأنّ مثل هذا الالتزام قد يفضي للاعتقاد بعصمة صاحبه، و"ابن باديس لم يكتف بالتّقيّد بالمذهب المالكيّ، بل له فكر يُشبه فكر "حسن البنّا" ومن سار على دربه في الاعتداد بجميع المذاهب حتّى ولو كانت منحرفة كالمذهب الشّيعي الضّال : فقد ردّ على مقال نشرته مجلّة "الرّابطة الشّرقيّة" كتبه صاحبه ليفضح الشّيعة بضلالاتهم على جميع الأصعدة سواء في العقيدة أو في الفقه وفي سائر النّواحي الأخرى، فماذا فعل "ابن باديس" ؟ هل شجّع صاحب المقال الّذي كان محقّا في فضحه لِعَوَار الشّيعة وشاركه في ذلك؟ الجواب : على العكس من ذلك "فابن باديس" لم يعجبه لا المقال ولا تلك الفكرة العظيمة الّتي نادى بها صاحب ذلك المقال والمنادية بكشف ضلالات الشّيعة ومحاربتهم، وحتّى ولو أخطأ صاحب المقال في أمور أخرى فإنّه في حديثه عن الشّيعة أصاب حينما اعتبرهم خارجين على جمهور المسلمين فردّهُ "ابن باديس" بقوله : « وهذا الكاتب لم يكفه أن ينفي

[1] مجلّة (الموافقات) العدد "6" ضمن مقال عنوانه : خصائص الفقه الباديسي.. وهي مجلّة يصدرها المعهد العالي لأصول الدّين في الجزائر..

في أكثر ما كتب عن الإسلام كلّ ما يحسبه فضيلة، حتى جاء يحاول أن ينفي عنه أمما كاملة من أبنائه»[1]، وشبّه "ابن باديس" خلافنا مع الإباضيّة إلى الخلاف بين المذاهب الأربعة مع أنّ البون شاسع بين هذه الصّورة وتلك لأنّنا نختلف معهم في الأصول والفروع في حين تأتي الخلافات بين المذاهب الأربعة خلافات تنوّع.. فأين التّصفية الفقهيّة عند "ابن باديس"، وهو يقبل هؤلاء الضّلال في عقائدهم ويقبلهم بفقههم المنحرف المعوج الّذي يستمدّ أصوله من كتب لا تقوم بها الحجّة عند السّلفيين ككتاب "الكافي" للكليني وهو عند "الشّيعة" بمثابة صحيح البخاري "رحمه الله" عندنا! أين التّصفية السلفيّة في هذا المضمار؟!، ومن مجالات التّصفية عند علمائنا العظماء تصفيّة " التّفسير" (وهو علم عظيم ينبغي ألاّ يخوض فيه إلاّ العارف بمدارك الكتاب والسّنة، الفاهم لحقيقة لغة العرب، المطّلع على ناسخ القرآن ومنسوخه، وأحكامه وآدابه، ولكنّ الواقع الّذي نعايشه مع كتب التّفسير هو كما قال شيخ الإسلام "ابن تيمية" رحمه الله :« وهذه الكتب الّتي يسمّيها كثير من النّاس كتب التّفسير، فيها كثير من التّفسير منقولات عن السّلف مكذوبة عليهم، وقول على الله ورسوله بالرّأي المجرّد بل بمجرّد شبهة قياسية أوشبهة أدبيّة ومعلوم أنّ في كتب التّفسير من النّقل عن ابن عبّاس من الكذب الشّيء الكثير.. فلا بدّ من تصحيح النّقل لتقوم الحجّة..»، ولنضرب مثالا على ذلك بقصّة مشهورة قلّما يخلو منها كتاب من كتب التّفسير وهي قصّة ثعلبة بن حاطب، إذ يذكرون أنّه كان صحابيّا عاهد الله أنّ يرزقه مالاً، ثمّ أنّ الله تعالى آتاه المال، ولم يوفّ ذلك الإنسان عهده، ولم يدفع زكاة ماله، فوصفه الصّحابة الآخرون بالنّفاق إذْ لم يقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ زكاته ولا أبو بكر، ولاعمر، حتى هلك في خلافة عثمان رضي الله عنه ولا يخفى أنّ في القصّة اتّهاما فظيعا لصحابيّ جليل شهد بدرا)[1]، والكثير من كتب التّفسير تحتوي على أخطاء عقديّة جسيمة خاصّة تلك الّتي ينهج أصحابها نهج التّفسير بالرّأي دون المأثور فيلجأون إلى تأويل صفات الله عزّ وجلّ بطريقة المعتزلة والأشاعرة إضافة إلى الاعتماد على الأحاديث الضّعيفة والموضوعة، فإذا كانت هذه هي حالة كتب "التّفسير" فالواجب يحتّم على العلماء تصفيّتها من كلّ الأخطاء عقديّة كانت أوتشريعيّة، وإذا عدنا إلى منهج الإمام "ابن باديس" رحمه الله في التّفسير وجدناه منهجا غريبا عن منهج التّفسير بالمأثور لأنّه جمع بين التّفسير بالمأثور والتفسير بالرّأيّ وهما مدرستان متناقضتان مختلفتان لأنّ المدرسة الأولى وهي المدرسة الصّحيحة يعتمد فيها أصحابها على أصول متينة والمتمثّلة في تفسير القرآن بالقرآن وبالسّنة وبآثار السّلف الصّالح، في حين تعتمد مدرسة التّفسير بالرّأي على اللّغة وعلى أساليب البيان وبالتّالي على النّظر المجرّد فلذلك لا يستطيع المفسّر أن يكون منتميّا إلى مدرسة التّفسير بالمأثور وفي نفس الوقت منتميّا إلى مدرسة التّفسير بالرّأيّ، إلاّ أنّ "ابن باديس" نهج هذا المنهج محاولا

---

[1] راجع مقال (خصائص الفقه الباديسي) ضمن مجلّة (الموافقات) العدد "6".. وهي مجلّة يصدرها المعهد العالي لأصول الدّين في بلادنا كما أشرتُ إلى ذلك سابقا..

[1] (التصفية والتربية) للشّيخ "علي حسن الحلبي"، [ص 27و 28].

الجمع بين هذه المدرسة وتلك فجاء تفسيره خليطا من هذه وهذه، وانظر إليه وهو يعلن عن المراجع الّتي اعتمدها في تفسيره حيث قال : « فقد عدنا ـ والحمد لله تعالى ـ إلى مجالس التّذكير، من دروس التفسير، نقتطف أزهارها، ونجتني ثمارها، بيسر من اللّـه تعالى وتيسيره، على عادتنا في تفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللّغوية، وحمل التراكيب على أبلغ الأساليب البيانية، وربط الآيات بوجوه المناسبات، معتمدين في ذلك على صحيح المنقول وسديد المعقول، ممّا جلاّه أئمّة السّلف المتقدّمون أوغاص عليه علماء الخلف المتأخّرون، رحمة الله عليهم أجمعين.. وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة، تفسير "ابن جرير الطّبري"، الّذي يمتاز بالتّفاسير النّقلية السّلفية، وبأسلوبه التّرسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنيّة، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصّواب ـ وتفسير "الكشّاف" الّذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني، وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب والتّنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام، وتفسير "أبي حيان الأندلسي" الّذي يمتاز بتحقيقاته النّحوية واللّغوية وتوجيهه للقراءات، وتفسير "الرّازي" الّذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونيّة، ممّا يتعلّق بالجماد والنّبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلاميّة، ومقالات الفرق والمناظرة في ذلك والحجاج..»[1]، فتصفيّة التّفسير تتطلّب من "ابن باديس" اعتماد المصادر الصّحيحة كتفسير "الطّبري" وتفسير "ابن كثير" وغيرهما ممّن سار على درب هذين الإمامين الجليلين في السّير على درب المأثور، وكان عليه أن يتفادى ذكر تفسير "الزّمخشري" لأنّه من التّفاسير المرجوحة عند علماء السّلفية مهما بلغ صاحبه من علم في مجال اللّغة ويكفي "الزّمخشري" ضلالا أنّه من أئمّة الاعتزال المؤوّلين لصفات الله تعالى الجانحين إلى تعطيلها والمعتزلة فسّروا كتاب الله بما يرضي أهواءهم ويوافق عقولهم فهم كما قال عنهم العلاّمة "ابن أبي العزّ الحنفي" رحمه الله : « إنّما يذكرون نصوص الكتاب والسّنة للاعتضاد لا للاعتماد إن وافقت ما ادّعوا أنّ العقل دلّ عليه قبلوه، وإن خالفته أوّلوه ! وهذا فتح باب الزّندقة، نسأل الله العافيّة »[2]، "فابن باديس" باعتماده على تفسير "الزّمخشري" دون أن يشير إلى انحراف هذا التّفسير يكون قد وقع في أخطاء هي :

أ. أنّه بعدم الإشارة إلى انحراف تفسير "الزّمخشري" وذكر مناقبه اللّغوية يكون قد دعى النّاس إلى اقتنائه، لأنّ العامّي لمّا يعرف أنّ "ابن باديس" اقتنى هذا التّفسير واعتمده يفعل مثله فيقع في تلك الضّلالات الّتي احتواها تفسير (الكشّاف) "الزّمخشري".

ب. أنّ "ابن باديس" نفسه بهذا الإعلان يكون قد استهان بتلك الانحرافات الواردة في (الكشّاف) "للزّمخشري" وهي أخطاء عقديّة فادحة متعلّقة بجنب الله وصفاته، وعدم الإشارة إلى ذلك يفضي حتما إلى القول بالتّهاون بتلك الضّلالات.

---

[1] (مجالس التّذكير من كلام الحكيم الخبير) للشّيخ "ابن باديس"، [ص 49].

[2] (شرح العقيدة الطّحاوية)، [ص 237].

ج. أنّ "ابن باديس" إذا كـان مقتنعـا بضـلالات (الكشّـاف) والأخطـاء الواردة في ذلك التّفسير لا يكفي أن يعرف ذلك لنفسـه فقط، بـل عليه أن يحذّر مـن هـذا التّـفسيـر الخطـير لتتفادى الأجيـال الوقـوع في مخـالب تـلك الانحرافات الّتي قد ينغمس المرء فيها فلا يستطيع الخلاص منها..

د. أنّه بـذلك التّحذير لـو فعل يكون قد انتهج منهج السّلف في التّحذير من أهل البدع والضّلالات.

هـ. ربّمـا هو يكتفـي بالاستفـادة من تفسيـر (الكشّاف) مـن النّـاحيـة اللّغوية ولـكـنّ غـيـره ممّن ليسـوا في مستـواه العلـمي إذا اقتنـوا هذا التّفسـير يأخذون منه حتّى الضّلالات لأنّهم لا قـدرة لهـم على التّمييـز بين هـذا وذاك..

إضافة لكلّ ما سبق ذكره فإنّ "ابن باديس" رحمه الله ذكر اعتماده أيضا على تفسير "الرّازي" المعروف بالتّفسير الكبير أو باسم آخر وهو (مفاتيح الغيب) فجنح إلى نزعة التّفسير العلمي للقرآن الكريم وهذا النّوع من التّفسير أدخل على تفسير كتاب الله ما لم يفسّره به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا صحابته الأخيار رضي الله عنهم ولا غيرهم من التّابعين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدّين ((وتفسير الفخر الرّازي المعروف (بالتّفسير الكبير) أو(مفاتيح الغيب)، وقد استعمل فيه الحجج العقليّة، وهو تفسير جامع لجميع العلوم لا يترك علما إلاّ ويبحث فيه، حتّى قال عنه بعض العلماء : إنّ فيه كلّ شيء إلاّ التّفسير..))[1]، واعتماد مثل هذه النّوعية من التّفاسير ينأى بصاحبها عن التّفسير السّلفي ويقترب به أكثر فأكثر إلى المدارس التّفسيريّة المناوئة للمدرسة السّلفية الصّحيحة، فأين تصفية التّفسير عند الشّيخ "ابن باديس" لو كان من العلماء السّلفيين ؟!...

ومن مجالات التّصفية تصفية العبادة من البدع ومحدثات الأمور والحقّ أنّ "ابن باديس" وبعض رجال جمعيّته كانوا من حاملي ألوية الكثير من البدع ومحدثات الأمور وعلى رأسها :

أ. بدعة الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف.

ب. بدعة الاحتفال بختم القرآن الكريم وختم (الموطّأ) للإمام مالك رحمه الله.

ج. الدّعـوة إلى الاحتفـال بليلة الإسراء والمعـراج وإحياء ذكرى يوم بدر وذكرى يوم أحد والاحتفال بالسّنة الهجرية الجديدة، وكلّهـا احتفالات ما عرفها السّلف الصّالح ولا سُمع داع سلفي يدعو إلى إحيائها والاحتفال بذكراها.

---

[1] (معالم الهدى إلى فهم الإسلام) "لأبي عائشة مروان القيسي"، [ص 66].

د. الاحتفال بقدوم الحجّاج [1] وإقامة حفلات بمناسبة اختتان الأطفال.

إضافة إلى بدع أخرى جمعت بين الابتداع في الدّين والتّشبّه بالكفّار في احتفالاتهم كالاحتفال بذكرى وفاة فلان وعلاّن كما فعل الشّيخ "ابن باديس" حينما شارك بالقلب واللّسان في إحياء ذكرى وفاة الشّاعرين المصريّين المعروفين "أحمد شوقي" و"حافظ إبراهيم".. والبدع كلّها ضلالات، ومن وقع فيها فقد ردّ قوله صلّى الله عليه وسلّم «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ».[2] فأين تصفية العبادات عند الشّيخ "ابن باديس" في هذا المجال ؟!..

ومن مجالات التّصفيّة تصفيّة السّنة من كلّ الشّوائب الّتي علقت بها ومن كلّ الأباطيل الّتي حاول أعداؤها أن يحيطوها بها و« لقد تعرّضت السّنة مع مرور الأيّام والسّنين للأذى من ثلاث جهات:

أوّلا : الدّس عليها والطّعن في صحّتها، ممثّلا ذلك في وضع الأحاديث والكذب على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في العصور الأولى، ثمّ في الطّعن في صحّة الأسانيد والمتون في العصور المتأخّرة من قبل المستشرقين، وهذا هو أقلّ أذى تعرّضت له السّنة، ولا حاجة لنا للكلام عنه، فقد كفانا علماء الحديث مؤونة تمييز الصّحيح من الضّعيف، كما أنّ حجج المستشرقين واهية، وقد ردّ عليهم وفضح تعصّبهم غير واحد من العلماء.

ثانيا : الجهل بالسّنة وهو الأذى الآخر الّذي تعرّضت له السّنة، وكما أنّ الإنسان عدّو ما يجهل فإنّ الجاهل بالشّيء عدوّ له دون أن يدري.. وقد قيل عدّو عاقل خير من صديق جاهل..إنّ اقتحام أناس لميادين ليسوا لها أهلا أمر يرفضه الإسلام ويرفضه العلم وترفضه الموضوعيّة، والسّنة ميدان له أهله وتخصّص له رجاله، وإنّه ليشتدّ عجب المرء حينما يرى المسلمين وقد جبنوا عن الكلام في غير تخصّصاتهم، لكن الجرأة تأخذهم إلى الكلام في دين الله بغير علم، ولا يدرون أنّ ذلك من أعظم الكبائر وسنتكلّم عن هذا الأذى بالتّفصيل مع الأمثلة فيما يأتي[1] :

---

[1] إقرأ هذا الإعلان في (جريدة البصائر) العدد 14 [ص 116].

[2] متّفق عليه / البخاري 166/2 ومسلم 133/5.

[1] هذه الأمثلة ليست من صميم موضوعي، ولذلك أعرضت عن نقلها ومن أراد التّوسّع فيها، فليرجع إلى كتاب (معالم الهدى إلى فهم الإسلام) "لمروان القيسي"..

ثالثا : أمّا الخطر الأدهى والأمرّ الّذي يهدّد السّنة دوما وكان خطرا حقيقيّا فعلا، فهو ممّن يدّعون أنّهم مسلمون ويزعمون أنّهم يعلمون» [2]، ومن الدّعاوى الفاسدة لهؤلاء زعمهم أنّ حديث الآحاد لا يفيد عقيدة لأنّه ظنّى الدّلالة والعقيدة في نظر هؤلاء يجب أن تؤخذ من الحديث المتواتر أمّا الآحاد فيكتفى به في التّشريع فقط.. قال تعالى : « وما كان المؤمنون لينفروا كافّة، فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون» [3]، وهذه الآية تشمل الأمور العقدية كما تشمل الأحكام التّشريعيّة العملية، وقد ذكر علماء اللّغة أنّ كلمة "الطّائفة" تقع على الفرد الواحد وعلى ما هو أكثر فلو أنّ حديث الآحاد ليس بحجّة في العقائد لما أمر الله تعالى "الطّائفة" المتفقّهة في الدّين والسّاعيّة إلى تفقيه النّاس في دينهم أن يتحمّلوا مسؤوليّة التّبليغ ودعوة النّاس إلى العقيدة والتّشريع معا.. وقد ردّ شيخنا العلاّمة ومحدّث العصر ومجدّده الشّيخ "الألباني" رحمه الله على هؤلاء بقوله : « لقد فرّوا من القول بالظّن الرّاجح في العقيدة فوقعوا فيما هو أسوأ منه وهو قولهم بالظّن المرجوح فيها»[4]، وهذا القول على ضلاله قال به "ابن باديس" وياللأسف، فقد مرّ بنا فيما سبق أنّه ردّ القول بأنّ والدي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في النّار لأنّ الحديث في زعمه حديث آحاد لا يصلح لمعارضة القواطع من القرآن.. فهل كان "ابن باديس" سلفيا في هذا المضمار؟ فأين تصفيّته للسّنة من مثل هذه الفواقر الّتي هي من ميراث أفراخ الخلف ؟..

ومن مجالات التّصفية تصفية الفكر الإسلامي من الأخطاء الّتي روّجها أعداء هذا الدّين ومن أمثال هذه الانحرافات القول باشتراكية الإسلام أو الاشتراكيّة الإسلاميّة وما إلى ذلك من التّرهات والأباطيل، ووصف الصّحابي الجليل "أبي ذرّ الغفاري" رضيّ الله عنه بأنّه أوّل اشتراكي في الإسلام على حدّ تعبير "ابن باديس" أوقع هذا الأخير في التّقوّل على ذلك الصّحابي العظيم رضوان الله عليه من حيث كان يدري "ابن باديس" أو لا يدري، وبهذه الجملة روّج "ابن باديس" للاشتراكيّة الإلحادية الهدّامة الموضوعة من قبل الأعداء لتحطيم الدّين ونقضه من أساسه.. فأين تصفية الفكر عند "ابن باديس" من كلّ هذه التّهم والأباطيل ؟..

ومن مجالات التّصفية تصفيّة التّاريخ الإسلامي من القصص المكذوبة، ونسج البطولات حول شخصيّات لا تستحقّ أدنى تقدير بل تستحقّ اللّعن والتّفسيق وربّما التّكفير إن اقتضى الأمر ذلك، فلا يقع المسلم في الإعجاب بأشخاص من أعداء الإسلام ويضفي عليهم هالات من التّقديس تجعل الحبّة قبّة والنّملة فيلا كما يقال في الأمثال.. ولقد مرّ بنا كيف وقع "ابن باديس" في خطأ تاريخي جسيم متمثّل في إعجابه الشّديد وثنائه الفظيع على

---

[2] (معالم الهدى إلى فهم الإسلام) "لمروان القيسي"، [ص 77 و 78].

[3] سورة التّوبة، [الآية 122].

[4] (الحديث حجّة بنفسه في العقائد والأحكام) للشّيخ العلاّمة فقيد الأمّة "الألباني" رحمه الله [ص 48].

الحاكم العلماني التّركي "مصطفى كمال أتاتورك"، فكتب عنه كل ما يفيض مدحا وتقديرا بل و"تقديسا"، والرّجل كان مرتدّا عن دين الله عزّوجلّ لأنّه كان عدوّا حقيقيا للإسلام والمسلمين.. وفي حوار لشيخنا العلاّمة "الألباني" رحمه الله مع قسّيس لبناني نصراني سأل هذا الأخير شيخنا "الألباني" لماذا يكفّر المسلمون "كمال أتاتورك" فقال الشّيخ وهو يحكي هذه الواقعة ما يلي : « المهمّ كان هناك رجل نصراني وأيضا عسكري.. تحدّثت معه.. بيّنت له أنّ المسلمين ما كفّروا "أتاتورك" لأنّه مسلم، لا، لأنّه هو تبرّأ من الإسلام حينما فرض على المسلمين نظاما غير نظام الإسلام، من جملتها مثلا أنّه سوّى في الإرث بين الذّكر والأنثى والله يقول عندنا : « للذّكر مثل حظّ الأنثيين» ثمّ فرض على الشّعب التّركي المسلم القبّعة!.. قالوا : إيش فيها ؟ القبّعة سمّاها هو بأنّها لباس أممي، لم تعد خاصّة بمن يخالف الإسلام»[1]، ومع أنّ شيخنا العلاّمة "الألباني" رحمه الله كان في موضوع الحديث عن تأثير الظّاهر على الباطن وهو موضوع تفصيليّ رائع إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه من تكفير "مصطفى كمال أتاتورك" وتضليله، وكان الكثير من علماء السّلفيّة الكبار يحكمون بردّته أو على أقلّ تقدير بالإعلان بأنّه ظالم غاشم علمانيّ فاجر.. فكيف طوّعت "لابن باديس" نفسه بأن يمدح حاكما بذلك المستوى المنحطّ دينا وعقيدة وخلقا ؟.. هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على بعد "ابن باديس" عن مواقف علمائنا وسلفيّتهم الأصيلة، فأين تصفية التّاريخ من هذا التّزوير عند "ابن باديس" ؟ هذه هي دعوة التّصفية، وهي الدّعوة السّلفية المباركة، ولقد وقفت بالمقارنة بين "ابن باديس" وبين الدّعوة الصّحيحة فبيّنت بُعده عنها في الكثير من المجالات، وبقي على من يفنّد كلامي أن يأتي بما يلي :

1) ـ أن يثبت أنّ الكلام الّذي قلته عن "ابن باديس" منقول من مراجع غير مُعتمدة، وهذا كلام مردود لأنّ الكتب الّتي اعتمدتها كتب "لابن باديس" نفسه أو لـرجال جمعيّته أو بعض تلاميذه، أو كتب صدرت من الوزارة وأقرّها أهل "ابن باديس" رحمه الله.

2) ـ أن تُتّهم تلك الكتب بالتّزوير وهذا شيء يحتاج إلى أدلّة وبراهين لإثباته لا إلى التّخمين وإطلاق القول بلا بيّنة.

ـ أنّ هذا الكلام المكتوب عن "ابن باديس" هو عين فكره ودعوته فبالتّالي يكون دالاّ على سلفيّة غير السّلفيّة الّتي ندعو إليها بل "سلفيّة" غريبة عن السّلفيين وعن المنهج الصّحيح الأصيل.

---

[1] كتاب "فتاوى الشّيخ الألباني" لعكاشة عبد المنّان الطيّبي ص (263) مع الإشارة إلى أنّ صاحب الكتاب بادر إلى نشر فتاوى الشّيخ عن طريق أشرطته وتدوينها في هذا الكتاب دون إذن من الشّيخ ناصر الدّين الألباني رغم أنّ الشّيخ كان يومها على قيد الحياة..

إنّني أوجّه بحثي هذا إلى علمائنا الأجلاّء وعلى رأسهم حامل لواء الجرح والتّعديل في هذا العصر وهو الشّيخ العلاّمة "ربيع بن هادي المدخلي" حفظه الله، ليدلوا بدلوهم في كلّ ما كتبته، وعلى الشّيخ الجليل العلاّمة "ربيع بن هادي" أن يعطيني رأيه في هذه السّلفية المزعومة "لابن باديس" وللخطّ الّذي سارت عليه جمعيّة العلماء المسلمين، وهو خير من يحكم على مثل هذه المواضيع جزاه الله عنّا خير الجزاء.. ولا شكّ أنّ الشّيخ العلاّمة "ربيع بن هادي" سيكون رأيه "حاسما" بإذن الله تعالى في هذا الموضوع الجدير بالدّراسة والاهتمام بيني وبين إخوتي السّلفيين الّذين طلعوا علينا بهذه الظّاهرة الجديدة وهي ظاهرة الحكم بأنّ السّلفية في الجزائر هي من نتاج عمل جمعيّة العلماء المسلمين وعلى رأسهم الشّيخ "عبد الحميد بن باديس"، وحيث أنّ هذه الظّاهرة فيها غمط لمجهودات محدّث العصر الشّيخ "الألباني" رحمه الله، وغمط لبقيّة علماء السّلفية الكبار الّذين بذلوا الغالي والنّفيس في سبيل نشر هذه الدّعوة العظيمة، فضّلت الوقوف عندها والسّبْر في أغوارها، وذلك بعرض المخالفات الكثيرة الّتي صدرت من "ابن باديس" والّتي تنافي الأصول السّلفية بلا شكّ، وهذا ما دفعني إلى كتابة هذا الموضوع...

الـخـاتـمـة

فقد بيّنت فيما سبق الأصول الّتي بنى عليها "ابن باديس" دعوته، والّتي تتنافى تماما مع الأصول السّلفية، وأتمنّى أن أكون قد وفّقت في إزالة بعض الغبش عن دعوة الشّيخ "ابن باديس" وتجلّيتها أمام إخوتي السّلفيين الّذين طلعوا علينا بسلفيّة هذا الشّيخ دون تقديم بحث مستفيض يتناول الأخطاء الّتي وقع فيها هذا الشيخ سواء في العقيدة أو في المنهج أو في العبادة.

وقد قمت بإنجاز هذا العمل لتجليّة الحقائق أمام من هو جاهل بها، فإن أصبت في ذلك فبتوفيق من الله عزّ وجلّ وفضله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشّيطان فالله أسأل أن يتقبّل منّي هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم، نافعا لمن يقرأه ويستفيد منه، إنّه سميع مجيب.

والحمد لله ربّ العالمين

كتبته الفقيرة إلى رحمة ربّها ـ أم أيّوب نورة غاوي

وفرغت منه يوم الإثنين صفر 1422هـ

(الموافق لـ 30 أفريل 2001م)

محتوى الكتاب

قـائـمـة الـمـراجـع

1.لماذا اخترت المنهج السّلفي للشّيخ سليم الهلالي ـ ط ـ مركز الدّراسات المنهجيّة السّلفية.

2.رفع الحجاب عن الفرق بين أهل السّنة ودعوة أهل البدع والأحزاب لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل طبعة دار الحديث بمأرب.

3.الاعتصام للإمام الشّاطبي، طبعة.

4.الرّد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيميّة، طبعة.

5.آثار الإمام عبد الحميد بن باديس الجزء (4) ـ طبعة وزارة الشّؤون الدّينيّة ـ الجزائريّة ـ الطّبعة الأولى.

6.آثار الإمام عبد الحميد بن باديس الجزء (3) ـ طبعة وزارة الشّؤون الدّينية ـ الجزائريّة ـ الطّبعة الأولى.

7.معالم الهدى إلى فهم الإسلام ـ مروان القيسي.

8.مجالس التّذكير من حديث البشير النّذيرـ للشّيخ ابن باديس ـ مطبوعات وزارة الشّؤون الدّينيّة الجزائريّة (ط الأولى).

9.التّحذير من البدع للشّيخ العلاّمة ابن بازـ مركز شؤون الدّعوة ـ الطّبعة (3).

10.مجالس التّذكير من كلام الحكيم الخبيرـ الطّبعة الأولى ـ مطبوعات وزارة الشّؤون الدّينيّة الجزائريّة.

11.الحديث حجّة بنفسه في العقائد والأحكام ـ للعلاّمة الشّيخ ناصر الدّين الألباني ـ دار الاستقامة للنّشر والتّوزيع.

12.شرح العقيدة الطّحاوية، للإمام الطّحاوي وبشرح العلاّمة ابن أبي العزّ الحنفي.

13.التّوسل أنواعه وأحكامه للشّيخ العلاّمة ناصر الدّين الألباني.

14.وقفات مع كتاب للدّعاة فقط ـ محمّد بن سيف العجمي.

15.كشف الشّبهات في التّوحيد ـ للشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب.

16.أضواء على الحركة الماسونيّة ـ سعيد عبد الله حارب.

17.المعيار لعلم الغزالي في كتابه السّنة النّبويةـ صالح بن عبد العزيز آل الشّيخ.

18.صحيح البخاري ـ الجزء السّادس.

19.أحكام الجنائز وبدعها ـ للشّيخ العلاّمة الألباني.
20.عقيدة الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب السّلفية ـ صالح بن عبد الله العبّود.
21.تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان، للشّيخ عبد الرّحمان بن ناصر السّعدي.
22.التّصفية والتّربية ـ علي حسن عبد الحميد الحلبي ـ دار الكتب الأثرية.
23.الإمام الشّيخ عبد الحميد ابن باديس من آرائه ومواقفه، محمّد الصّالح الصّديق.
24.الحاوي من فتاوى الشّيخ ناصر الدّين الألباني ـ أبوهمام المصري الجزء(1).
25.مجموعة أعداد جريدة البصائر.
26.العقيدة الطّحاويّة شرح وتعليق ـ للشّيخ محمّد ناصر الدّين الألباني.
27.رياض الصّالحين ـ للإمام النّووي.
28.آداب الزّفاف في السّنة المطهّرة ـ الشّيخ الألباني.
29.جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات ـ للشّيخ ربيع بن هادي.
30.جناية التّأويل الفاسد على العقيدة الإسلاميّة، محمّد أحمد لوح ـ دار ابن عفّان
31.العقائد الإسلاميّة ـ الشّيخ ابن باديس ـ تعليق محمّد الصّالح رمضان ـ مكتبة الشّركة الجزائريّة مرازقة بوداود وشركاؤهما.
32.مختصر الأسئلة والأجوبة الأصوليّة على العقيدة الواسطيّة عبد العزيز السّلمان.
33.(مجموعة رسائل الإمام الشّهيد حسن البنّا) كتاب مطبوع من طرف ....
34.كيف تتعامل مع السّنة النّبوية ؟ يوسف القرضاوي.
35.سرّ تأخّر العرب والمسلمين ـ محمّد الغزالي.
36.ذكريات لا مذكّرات ـ عمر التّلمساني.
37.مكانة أهل الحديث للشّيخ ربيع بن هادي المدخلي ـ طبعة منار السّبيل بالجزائر ـ
38.سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة للشّيخ ناصر الدّين الألباني، الجزء الثّاني.
39.مجلّة "الموافقات" ـ العدد السّادس ـ المعهد العالي لأصول الدّين.
40."فتاوي الشّيخ الألباني" ـ عكاشة عبد المنّان الطّيبي.
ابن باديس وعروبة الجزائر ـ محمّد الميلي ـ دار الثّقافة.